

دفاع عن الرسول

ضد الفقهاء والمحدثين

صالح الورداني

هوية الكتاب

الكتاب: دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

المؤلف: صالح الورداني

المؤلف: سيرة وتاريخ

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٤٣٢ هـ

عدد النسخ: ٣٠٠٠

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}

صدق الله العلي العظيم

تقديم

- هناك أمة قتلت رسل الله ..

- وهناك أمة ألهمت رسل الله ..

- وهناك أمة شوهت رسل الله ..

- الأولى هي أمة اليهود ..

- والثانية هي أمة النصارى ..

- والثالثة هي أمة المسلمين ..

أما كيف شوّه المسلمون رسل الله فذلك ما يجيب عنه هذا الكتاب من خلال النصوص المعتمدة والثابتة التي يعتنقها القوم ويتعبدون بها حتى اليوم ..

وهذه النصوص بالطبع خارج دائرة القرآن ..

فالقرآن لم ينص على شيء يمس الرسل ويقلل من شأنهم ويحط من قدرهم ويشوّه صورتهم، إنما تتركز هذه النصوص في دائرة كتب السنن وشروحاتها ..

أي تتركز في نصوص منسوبة للرسول (ص) ..

ونصوص منسوبة للصحابة ..

وشروح للفقهاء تدور حول هذه النصوص ..

وما يجب ذكره هنا هو أن أمة المسلمين لم تنفرد وحدها بأمر تشويه الرسل ورسولها خاصة وإنما سبقتها إلى هذا الأمر أمة اليهود والنصارى، وقد أشار

٦.....دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

القرآن إلى هذا، واشتراك المسلمين مع اليهود والنصارى في هذا الأمر إنما هو تأكيد لنبوءة الرسول (ص) التي تنص على أن أمته سوف تسلك سبل الأمم السابقة لها وتقع فيما وقعت فيه ..

وأخطر ما وقعت فيه الأمم السابقة هو عبادة الرجال، وهو ما نص عليه قوله تعالى : { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } [التوبة: ٣١]
وقد وقعت أمة محمد (ص) في هذا الأمر حين حكمت الروايات وأقوال الرجال في كتاب الله ..

وحين رفعت الرجال فوق النصوص ..

وحين تعبدت بروايات تهين الرسول وغيره من الرسل وقبلت تبريرات وتأويلات الفقهاء حول هذه الروايات..

أما ما يتعلق بتحكيم الروايات وأقوال الرجال في كتاب الله فليس موضوعه هنا، وقد تكون هناك إشارات حوله في دائرة البحث ..

وكذلك ما يتعلق برفع الرجال فوق النصوص فقد القينا الضوء على هذه القضية في عدة بحوث صدرت لنا ..

وبقي الجانب الخاص بشخص الرسول (ص) والرؤية التي يجب أن نتبناها تجاهه وهي رؤية تعتمد في الأساس على القرآن والعقل ..

من هنا فقد طرحنا في هذا البحث عدة قضايا ثابتة في كتب السنن حول شخص الرسول وهي محل تسليم القوم سلفاً وخلفاً، إلا أنه بضبطها بالقرآن وإخضاعها للعقل يتبين لنا أنها من صنع الرجال ..

القضية الأولى هي : علاقة الرسول بعائشة الطفلة وعشقه لها وهيامه بها ..

والثانية : إخراج الرسول من دائرة التبليغ والتبيين إلى دائرة التشريع ..

والثالثة : وصف الرسول بالجهل والخوف والإهمال ..

والرابعة : فضح الرسول جنسياً وهتك ستره ..

والخامسة : تنازل الرسول لعمر عن أهم خصائصه ..

والسادسة : تبشير الرسول بالظلم ..

والسابعة : إهانة الأنبياء وتسفيههم ..

ومثل هذه القضايا وغيرها التي يحتويها هذا الكتاب ليس هناك من هدف ل طرحها سوى تنبيه المسلمين إلى ما هم فيه من انحراف وضلال باعتقادهم مثل هذه الأمور في حق نبيهم وغيره من الأنبياء ..

الهدف هو تأكيد حقيقة ثابتة طمرتها الروايات وأقوال الرجال وهي أن كتاب الله هو العقيدة الحقة والبرهان المبين الذي يبطل حجج الروايات وأقوال الرجال أجمعين ..

الهدف هو تحرير المسلمين من قواعد وعقائد هي بمثابة أغلال تكبل العقل وتحول دون فهم كتاب الله وجعله حكماً في أمور الدين ..

إن مثل هذه الأمور الشائنة والقيحة في حق نبينا وغيره من الرسل والتي تكتظ بها كتب السنن وشروحاتها إنما هي نقطة سوداء في جبين الإسلام تفتح الباب واسعاً لخصومه والمتربصين به للتشكيك فيه وضربه ..

إن هدم شخص الرسول وتشويهه يعني هدم الدين وتشويهه ..

وأوقن وأنا أخط سطور هذا الكتاب أن المسلمين لن يقبلوا بحال تلك الصورة المزرية القبيحة التي تصورها كتب السنن عن الرسول والأنبياء (ص) ..
موقن برفضهم هذه الصورة وثورتهم عليها ..

٨..... دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

وموقن أيضاً برفض هذه الثورة ومحاولة تأكيد هذه الصورة وتبريرها من
قبل كهان الدين وفقهاء السلاطين بل والثورة على هذا الكتاب ..
وعندما تتفجر ثورة المسلمين ..
يكون هذا الكتاب قد حقق الهدف من صدوره ..
والحمد لله أولاً وأخيراً ..

صالح الورداني

SALEH ALWERDANI@ YAHOO

WWW.WEGHAH.COM

الرواية

بين

الشك واليقين



يستند الفقهاء والمحدثون في موقفهم من الروايات المنسوبة للرسول على أساس قاعدة نقد السند لا نقد المتن فهم في مواجهة هذا الكم من الروايات التي تهين الرسل والرسول خاصة وتشكك في الدعوة التي بعث بها لا يعملون عقولهم في نصها ومحتواها وأبعادها .

فقط ما يعينهم من أمرها هو بحث كونها صحيحة أم ضعيفة أم موضوعة من حيث سلسلة الرواة الذين يروونها فإذا سلم هؤلاء الرواة من التجريح ، سلمت الرواية مهما يكن محتواها ونصها ..

وعلى هذا الأساس تم تمرير الكثير من النصوص المنسوبة للرسول ﷺ تحت دعوى صحتها وسلامتها من ناحية السند..

وعاشت الأمة على هذا الوهم الذي باركه الفقهاء والمحدثون طوال تلك القرون منذ تدوين الأحاديث وجمعها وحتى اليوم ..

إلا أنه بقليل من البحث والتأمل سوف يتبين لنا بطلان هذه القاعدة ودخولها من دائرة الشك .

ذلك لكون الفقهاء الذين ابتدعوها هم أيضاً الذين ابتدعوا ضوابطها ومتعلقاتها ..

إن تركيز الفقهاء على أمر السند والحيلولة دون الخوض في أمر المتن وإعمال العقل فيه قد دفع بالمسلمين إلى تركيز جهودهم وطاقاتهم نحو سلسلة الرواة وما يتعلق بها من تعديل وتجريح ..

من هنا فقد اكتظت ساحة الفكر الإسلامي بأمهات الكتب التراثية والمعاصرة التي تتحدث عن التعديل والتجريح وما أسموه بعلم الرجال ..

ولقد أكدت هذه الكتب أن قاعدة بحث السند التي اعتمد عليها الفقهاء لا تخرج عن كونها صورة من صور عبادة الرجال التي وقعت فيها الأمم السابقة . .
وعلى هذا الأساس كثر الخلاف بين فقهاء علم الرجال حول تعديل وتجريح الرواة، ففي الوقت الذي يقول فيه واحد بتجريح فلان يأتي آخر فيوثقه ..

حال الرواة والروايات

وفي الوقت الذي يتفق فيه عدد منهم على تعديل راوٍ، يأتي آخرٌ ويجرحه طاعنا في هذا التعديل . .

ولا يوجد عند فقهاء الجرح والتعديل إجماع محدد على توثيق رواية بعينهم اللهم إلا رواية البخاري ومسلم وهؤلاء أيضاً قد قيل فيهم الكثير . .
وقد وضع ابن حجر العسقلاني شارح البخاري مقدمة طويلة تحت اسم (هدى الساري) دافع فيها عن الطعون التي وجهت للبخاري من قبل فقهاء الحديث ومنهم أساتذة البخاري نفسه . .

وقال القاسمي : وقد تجافى أرباب الصحاح الرواية عن أهل الرأي فلا تكاد تجد اسماً لهم في سند من كتب الصحاح أو المسانيد أو السنن كالإمام أبي يوسف والإمام محمد بن الحسن فقد لئِنهما أهل الحديث^١ . .

ويكاد يجمع فقهاء الحديث على أن التعديل يقبل من غير ذكر سببه، أما التجريح فيجب أن يتذكر سببه ..

نقل ابن الصلاح في مقدمته : ذكر الخطيب الحافظ في (الكفاية) أنه مذهب الأئمة من حفاظ الحديث ونقاده مثل البخاري ومسلم، ولذلك احتج

١ - أنظر الجرح والتعديل لجمال الدين القاسمي . .

البخاري بجماعة سبق من غيره الجرح فيهم، كعكرمة مولى ابن عباس وكإسماعيل بن أويس وعاصم بن علي وعمرو بن مرزوق وغيرهم، واحتج مسلم بسويد بن سعيد وجماعة اشتهر الطعن فيهم .

وهكذا فعل أبو داود السجستاني . وذلك دال على أنهم ذهبوا إلا أن الجرح لا يثبت إلا إذا فسر سببه وقيل إن ذلك هو الصحيح المشهور^٢ ..

وبه أخذ النووي في (التقريب) وقال هو الصحيح^٣ ..

ويروى أن أكثر الحفاظ على قبول التعديل بلا سبب وعدم قبول الجرح إلا بذكر السبب^٤ ..

وقال القاري: التجريح لا يقبل ما لم يبين وجهه، بخلاف التعديل فإنه يكتفي فيه أن يقول: عدل أو ثقة مثلاً^٥ ..

وقال ابن الصلاح: أنه يثبت - أي التعديل والجرح - في الرواية بواحد لأن العدد لم يشترط في قبول الخبر، فلم يشترط في جرح راويه وتعديله بخلاف الشهادة^٦ ..

ويجمع الفقهاء على أن تقبل تزكية كل عدل وجرحه ذكراً كان أو أنثى حراً كان أو عبداً، وخالف بعضهم في عدم قبول النساء في التعديل لا في الرواية ولا في الشهادة^٧ ..

٢ - أنظر مقدمة ابن الصلاح والنظر الجرح والتعديل ، وانظر الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للكنوي.

٣ - أنظر السيوطي في شرحه التدريب وانظر المراجع السابقة، وانظر شرح مسلم للنووي المقدمة.

٤ - أنظر إمعان النظر شرح نخبة الفكر لأكرم عبد الرحمن السندي.

٥ - المرجع السابق بشرح علي القاري ..

٦ - أنظر مقدمة ابن الصلاح ..

٧ - أنظر الرفع والتكميل والسيوطي وابن الصلاح ومقدمة مسلم.

وإذا تعارض الجرح والتعديل في راوٍ واحدٍ فجرحه بعضهم وعدله بعضهم
ففيه ثلاثة أقوال :

الأول : أن الجرح مقدم مطلقاً ولو كان المعدلون أكثر ..

الثاني : إن كان عدد المعدلين أكثر قدم التعديل ..

الثالث : أنه يتعارض الجرح والتعديل فلا يترجح أحدهما إلا بمرجح^٨.

ويقول الصنعاني : قد يختلف كلام إمامين من أئمة الحديث في الراوي
الواحد، فيضعف هذا حديثاً وهذا يصححه ، ويرمي هذا رجلاً من الرواة بالجرح
وآخر يعدله وذلك مما يشعر بأن التصحيح ونحوه من مسائل الاجتهاد التي
اختلفت فيها الآراء .

فقد قال مالك في ابن إسحاق : إنه دجال من الدجاجلة، وقال فيه شعبة : إنه
أمير المؤمنين في الحديث، وشعبة إمام لا كلام في ذلك، وإمامة مالك في الدين
معلومة لا تحتاج إلى برهان، فهذان إمامان كبيران اختلفا في رجل واحد من
رواة الأحاديث^٩..

وينبني على خلاف الأئمة خلاف الأتباع كما أشار الصنعاني فرفض أتباع
مالك قبول رواية ابن إسحاق، بينما يأخذ أصحاب شعبة بروايته ..
ويحدد الفقهاء ألفاظ الجرح والتعديل فيما يلي :

- ١ - في الرواة المقبولين : ثبت حجة وثبت حافظ وثقة متقن . وثقة ثقة ..
ثم ثقة .. ثم صدوق . ولا بأس به . وليس به بأس ..
ثم محله الصدق وجيد الحديث وصالح الحديث وشيخ وسط ..
وشيخ حسن الحديث . وصدوق إن شاء الله وصويلح ونحو ذلك .
- ٢ - في الرواة المجروحين : دجال . كذاب . وضاع . يضع الحديث ..
ثم متهم بالكذب . ومتفق على تركه ..

٨ - الرفع والتكميل وانظر مقدمة ابن الصلاح والمراجع السابقة.

٩ - إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

ثم متروك . وليس بثقة . وسكتوا عنه . وذهب الحديث . وفيه نظر . وهالك .
وساقط . .

ثم واهٍ بمرة، وليس بشئ، وضعيف جداً، وضعفوه، وضعيف وواهٍ، ثم
يضعف، وفيه ضعف، وقد ضعف، ليس بالقوي، ليس بحجة، ليس بذلك، يعرف
وينكر، فيه مقال، تكلم فيه، لين، سئ الحفظ، لا يحتج به، اختلف فيه .
صدوق لكنه مبتدع ونحو ذلك من العبارات التي تدل بوضعها على اطراح
الراوي بالأصالة أو على ضعفه . أو على التوقف فيه . أو على عدم جواز أن
يحتج به..^{١٠}

وإذا قال أهل الحديث : هذا حديث صحيح أو حسن فمرادهم فيما ظهر لنا
عملاً بظاهر الإسناد، لا أنه مقطوع بصحته في نفس الأمر لجواز الخطأ والنسيان
على الثقة . .

وكذا قولهم : هذا حديث ضعيف فمرادهم أنه لم تظهر لنا فيه شروط
الصحة، لا أنه كذب في نفس الأمر لجواز صدق الكاذب وإصابة من هو كثير
الخطأ..^{١١}

ويقول المحدثون أنه لا يلزم من عدم ثبوت صحة الحديث وجود الوضع
ولا يلزم من عدم صحته وضعه..^{١٢}

وقول آخر : بين قولنا موضوع وبين قولنا لا يصح بون كثير، فإن الأول
إثبات الكذب والاختلاق، والثاني إخبار عن عدم الثبوت..^{١٣}

١٠ - أنظر ميزان الاعتدال للذهبي، وانظر شرح الألفية للعراقي، ومقدمة ابن الصلاح . والجرح

والتعديل والرفع والتكميل وغيرها من كتب الرجال .

١١ - الرفع والتكميل، وانظر المراجع السابقة..

١٢ - الرفع والتكميل وانظر المراجع الأخرى..

١٣ - الزركشي، النكت على مقدمة ابن الصلاح ..

وقال ابن حجر : لا يلزم من كون الحديث لم يصح أن يكون موضوعاً^١.
ويفرق فقهاء الحديث بين الحديث المنكر وبين الراوي المنكر، فإن قيل
هذا حديث منكر لا يقصد به أن راويه غير ثقة ..
وإن قيل فلان روى المناكير أو حديثه هذا منكر ونحو ذلك : لا يقصد أنه
ضعيف^٢..

قال الحاكم : قلت للدارقطني : فسلیمان ابن بنت شرحبیل ؟
قال : ثقة .

قلت : أليس عنده مناكير ؟

قال : يحدث بها عن قوم ضعفاء أما هو فتقة^٣..

وقال الذهبي في ترجمة عبد الله بن معاوية الزبيري : قولهم منكر الحديث لا
يعنون به أن كل ما رواه منكر بل إذا روى الرجل جملة وبعض ذلك مناكير فهو
منكر الحديث ..

وقال : ما كل من روى المناكير يضعف^٤..

وقال ابن حجر في ترجمة ثابت بن عجلان الأنصاري : قال العقيلي : لا يتابع
على حديثه، وتعقب ذلك أبو الحسن بن القطان بأن ذلك لا يضره إلا إذا كثرت
منه رواية المناكير ومخالفة الثقات^٥..

١ - القول المسدد في الذب عن مسند أحمد..

٢ - الرفع والتكميل..

٣ - فتح المغيث للسخاوي..

٤ - ميزان الاعتدال..

٥ - مقدمة فتح الباري شرح البخاري..

وقال السيوطي عن الذهبي : أنكر ما للوليد بن مسلم من الأحاديث حديث حفظ القرآن وهو عند الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم على شرط الشيخين..^١
وعن أحوال الرواة نذكر ما يلي : في ترجمة عبد العزيز بن المختار البصري قال ابن حجر : ذكر ابن القطان الفاسي أن مراد ابن معين من قوله (ليس بشئ) يعني أن أحاديثه قليلة..

وقد وثق ابن معين عبد العزيز هذا في رواية، وفي رواية أخرى قال فيه : ليس بشيء..

وقال ابن حجر : احتج به الجماعة..^٢

وفي ترجمة محمد بن عمر الواقدي صاحب المغازي يقول ابن حجر : قال معاوية بن صالح : قال لي أحمد بن حنبل : الواقدي كذاب.

وقال لي يحيى بن معين : ضعيف .

وقال مرة : ليس بشئ .

وقال مرة : كان يقلب الحديث عن يونس يغيره عن معمر . ليس بثقة..^٣

وجاء في ترجمة داود بن الزبرقان الرقاش البصري . قال ابن معين : ليس

بشيء .

وقال ابن المديني : كتبت عنه شيئاً يسيراً ورميت به . وضعفه جداً .

وقال الجوزجاني : كذاب، وقال يعقوب بن شيبه وأبو زرعة : متروك .

وقال أبو داود : ضعيف، وقال مرة : ليس بشيء .

وقال النسائي : ليس بثقة .

وقال ابن حبان : اختلف فيه الشيخان، أما أحمد فحسن القول فيه ويحيى بن

معين وهما..^١

١ - تدريب الراوي شرح تقريب النواوي..

٢ - مقدمة فتح الباري..

٣ - تهذيب التهذيب ج ٩ / ٣٦٤ .

وفي ترجمة محمد بن ميسر الصنعاني البلخي الضرير يقول ابن حجر : قال
يحيى بن معين : كان جهماً شيطاناً ليس بشيء .
وقال النسائي : متروك^٢..

وينقل ابن الصلاح : قيل ليحيى بن معين : إنك تقول (فلان ليس به بأس)
و(فلان ضعيف) .

قال : إذا قلت لك ليس به بأس فتقة ، وإذا قلت لك ضعيف فهو ليس بثقة
ولا تكتب حديثه^٣..

وفي مقدمة فتح الباري ذكر ابن حجر عن يونس البصري قال ابن الجنيـد
عن ابن معين : ليس به بأس . وهذا توثيق من ابن معين ..

وقال ابن عدي : إذا لم يعرف ابن معين الرجل فهو مجهول ولا يعتمد على
معرفة غيره^٤..

وقال الذهبي في ترجمة أبان بن حاتم الأملوكي : اعلم أن كل من أقول فيه
(مجهول) ولا أسنده إلى قائله فإن ذلك هو قول أبي حاتم ، فإن عزوته إلى قائله
كابن المديني وابن معين فذلك يبين ظاهر .

وإن قلت : فيه جهالة أو نكرة أو يجهل أو لا يعرف وأمثال ذلك ولم أعزه
إلى قائل فهو من قبلي ، وكما إذا قلت : ثقة أو صدوق أو صالح أو لين أو نحوه
ولم أضفه إلى قائل فهو من قولي واجتهادي^٥..

١ - المرجع السابق ج ٣ / ٣٠٥ ..

٢ - لسان الميزان ج ٣ / ١٤٢ ..

٣ - مقدمة ابن الصلاح . وانظر لسان الميزان ج ١ / ١٣ ..

٤ - تهذيب التهذيب ج ٦ / ٢١٨ ..

٥ - ميزان الاعتدال ج ١ / ٥ ..

ويقصد أكثر المحدثين بكلمة مجهول في حق الراوي أي جهالة العين بألا يروي عنه إلا واحد، أما أبو حاتم فيريد به جهالة الوصف..^١

ويعد فقهاء الحديث سكوت المتكلمين في الرجال عن الراوي الذي لم يجرح ولم يأت بمتن منكر يعد توثيقاً له..^٢

وفي ترجمة حفص بن غيل قال ابن القطان : لا يعرف له الحال ولا يعرف . وقال الذهبي : لم أذكر هذا النوع في كتابي هذا، فإن ابن القطان يتكلم في كل من لم يقل فيه إمام عاصر ذاك الرجل أو أخذ عمّن عاصره ما يدل على عدالته، وهذا شيء كثير ففي (الصحيحين) من هذا النمط خلق كثير مستورون ما ضعفهم أحد ولا هم بمجاهيل..^٣

ويرجح الفقهاء العمل بالرأي القائل بقبول رواية المستور لأنه قد تعذرت الخبرة في كثير من رجال القرن الأول والثاني والثالث ولم يعلم عنهم مفسق، ولا تعرف في رواياتهم نكارة، فلو ردت أحاديثهم أبطلت سنناً كثيرة وقد أخذت الأمة بأحاديثهم..^٤

ويقول الذهبي في ميزانه في ترجمة مالك بن الخير الزبادي المصري: قال فيه ابن القطان: هو ممن لم تثبت عدالته، يريد أن ما نص أحد على أنه ثقة.

١ - الرفع والتكميل، ويرى الفقهاء أن الجهالة ترتفع عن الراوي إذا ما روى عنه اثنان .

٢ - المرجع السابق وانظر الجرح والتعديل لأبي حاتم الرازي.

٣ - ميزان الاعتدال ج ١ / ٥٥٦.

٤ - أنظر المرجع السابق ومقدمة ابن الصلاح..

٢٠.....دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

وفي رواية الصحيحين عدد كثير ما علمنا أن أحداً نص على توثيقهم،
والجمهور على أن من كان من المشايخ قد روى عنه جماعة ولم يأت بما ينكر
عليه أن حديثه صحيح..^١

ويذكر في كثير من كتب الرجال في حق كثير من الرواة (تركه يحيى
القطان) وهذا يعني إخراج الراوي من حيز الاحتجاج بروايته..

وقال الترمذي : ذكر عن يحيى بن سعيد القطان أنه كان إذا رأى الرجل
يحدث عن حفظه مرة هكذا ومرة هكذا ولا يثبت على رواية واحدة تركه..^٢

وقال ابن معين في ترجمة بكر بن خنيس الكوفي العابد : ليس بشئ .
وقال مرة : ضعيف .

وقال مرة : شيخ صالح لا بأس به..^٣

وقال ابن حجر في ترجمة هدبة بن خالد القيسي الذي لقيه الشيخان وأبو
داود ورووا عنه : قواه النسائي مرة وضعفه أخرى . .

قال ابن حجر : لعله وضعفه في شئ خاص..^٤

وفي ترجمة عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة المعروف بابن
الغسيل . بعد حكاية توثيقه عن ابن معين وغيره، قال ابن حجر : تضعيفهم له

١ - ميزان الاعتدال ج ٣ / ٤٢٦.

٢ - شرح سنن الترمذي المسمى تحفة الأحوزي ج ٤ / ٣٩٠

٣ - ميزان الاعتدال ج ١ / ٣٤٤

٤ - مقدمة فتح الباري ج ٢ / ١٦٨

بالنسبة إلى غيره ممن هو أثبت منه من أقرانه وقد احتج به الجماعة سوى النسائي^١..

وفي ترجمة محارب بن دثار و ترجمة نافع بن عمر الجمحي يقول ابن حجر: إنَّ تضعيف ابن سعد فيه نظر لأنه يقلد الواقدي ويعتمد عليه، والواقدي على طريقة أهل المدينة في الانحراف على أهل العراق فاعلم ذلك^٢..
وقد جعل ابن حجر في شرحه للبخاري باباً تحت عنوان: أسماء من طعن فيهم من رجال البخاري، وأورد فيه عدد (٤١٧) طعناً سوف نورد هنا نماذج منها:

في ترجمة الجعد بن عبد الرحمن المدني يقول: احتج به الخمسة وشذ الأزدي فقال: فيه نظر وتبع في ذلك السباجي لأنه ذكره في الضعفاء، وقال: لم يرو عنه مالك، وهذا تضعيف مردود ..

وفي ترجمة سعيد بن سليمان الواسطي يقول: قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: كان صاحب تصحيف ما شئت .

وقال الدارقطني: يتكلمون فيه . قلت: هذا تليين منهم لا يقبل ..
وفي ترجمة عبد الأعلى بن عبد الأعلى يقول: وثقة ابن معين وغيره، وقال أحمد: كان يرمى بالقدر، وقال محمد بن سعد: لم يكن بالقوي .

قلت هذا جرح مردود وغير مبين ولعله بسبب القدر ..

وفي ترجمة عبد الملك بن الصباح المسمعي وذكره الذهبي ونقل عن الخليلي أنه قال فيه: كان متهماً بسرقة الحديث .

١ - المرجع السابق ج ٢ / ١٤١ ..

٢ - المرجع السابق ج ٢ / ١٦٤ وما بعدها.

قال ابن حجر : وهذا جرح مبهم..

وفي ترجمة عمر بن نافع مولى بن عمر قال ابن سعد : كان ثباً قليلاً
الحديث ولا يحتجون بحديثه .

قلت : وهو كلام متهافت كيف لا يحتجون به وهو ثبت ..

وفي ترجمة عمرو بن سليم الزرقي قال ابن خراش : ثقة في حديثه اختلاط .

قلت : ابن خراش مذكور بالرفض والبدعة فلا يلتفت إليه ..

وفي ترجمة أبي سلمة موسى بن إسماعيل المنقري، قال ابن خراش فيه :
صدوق وتكلم الناس فيه .

قلت : نعم تكلموا فيه بأنه ثقة يا رافضي ..

وابن خراش هذا الذي يذمه ابن حجر ويتهمه بالرفض قال فيه الذهبي :

حافظ بارع ناقد جوال (ت ٢٨٣ هـ) ذكر بشئ من التشيع ..

ويروى أنه خرج مثالب الشيخين - أبو بكر وعمر - وكان ينكر حديث " إنا
معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة " الذي احتج به أبو بكر على فاطمة (ع)
حين طالبت بميراث أبيها بعد وفاته (ص) وكان يطعن في سلسلته .

وقيل له من تتهم به ؟

قال : مالك بن أوس .

قال ابن حجر : وهو - أي مالك - أحد التابعين الأجلة وقيل إن له صحبة

والحديث صحيح متفق عليه ومروي عن أكثر من عشرة من الصحابة ..

وفي ترجمة بهز بن أسد العمي البصري، قال ابن حجر : وثقة ابن معين

والقطان وأبو حاتم وابن سعد والعجلي ..

وقال أحمد : إليه المنتهى في التثبت، وشذ الأزدي فذكره في الضعفاء..

وقال : إنه كان يتحامل على علي .

قلت : اعتمده الأئمة ولا يعتمد على الأزدي..^١

وقال الذهبي في ميزانه في ترجمة سفيان بن عيينة : يحيى بن سعيد القطان متعنت في الرجال ..

وقال أيضاً في ترجمة سيف بن سليمان المكي : حدث - مع تعنته - عن سيف ..

وقال الذهبي : وأما ابن حبان فإنه تقعع كعاداته وقال فيه : يروي عن الضعفاء أشياء كثيرة ويدلسها عن الثقات حتى إذا سمعها المستمع لا يشك في وضعها..^٢
وقال ابن حجر : ابن حبان ربما جرح الثقة حتى كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه..^٣

وقال الذهبي في ترجمة الفقيه أبي ثور : إبراهيم بن خالد الكلبي أحد الأعلام : وثقة النسائي والناس، أما أبو حاتم فتعنت وقال : يتكلم بالرأي فيخطئ ويصيب ليس محله محل المستعين في الحديث، فهذا غلو من ابن حاتم..^٤

وقد قسم الذهبي من تكلم في الرجال إلى ثلاث أقسام :

الأول : من تكلموا في سائر الرواة كابن معين وأبي حاتم ..

الثاني : من تكلموا في كثير من الرواة كمالك وشعبة ..

الثالث : من تكلموا في الرجل بعد الرجل كابن عيينة والشافعي ..

والكل على ثلاثة أقسام : قسم متعنت في الجرح مثبت في التعديل يغمز

الراوي بالغلطين والثلاثة .

١ - أنظر نماذج أخرى من هؤلاء الرجال في هدى الساري مقدمة فتح الباري .

٢ - ميزان الاعتدال ج ٢ / ١٨٥

٣ - القول المسدد في الذب عن مسند أحمد بن الحنبل .

٤ - ميزان الاعتدال ج ١ / ٢٩

وقسم متسامح كالترمذي والحاكم ..
وقسم معتدل كأحمد والدارقطني وابن عدي..^٥
وقد وقع الذهبي في كثير من المتوصفة وجرحهم..^٦
ووقع الجوزجاني في الحوفيين..^٧
ووقع ابن حجر في الشيعة..^٨
ووقع جميع الفقهاء في المخالفين من المعتزلة والجهمية والقدرية ورفضوا
رواياتهم، كما هو واضح مما سبق ..

عدالة الصحابة

ويبقى لنا بعد هذا السرد عن حال السند والرواة أن نذكر أن الفقهاء
والمحدثين أجمعوا على جواز إخضاع سند الحديث لقواعد الجرح والتعديل
وتتبع سلسلة الرواة ونقدها إن كان حالها يوجب النقد والتوقف عند الصحابي،
وابتدعوا لذلك قاعدة تقول :
من ثبتت صحبته ثبتت عدالته، فالصحابا في نظر الفقهاء والمحدثين
جميعهم عدول لا يخضعون للنقد والتجريح وإنما الذي يخضع لهذا التابعون
وتابعوهم ومن بعدهم من الرواة..^٩

٥ - فتح المغيث للسخاوي وانظر الرفع والتكميل .

٦ - أنظر ميزان الاعتدال

٧ - أنظر تهذيب التهذيب .

٨ - أنظر مقدمة فتح الباري .

٩ - أنظر كتب الجرح والتعديل .

وهم يعرفون الصحابي بأنه كل من شاهد رسول الله أو سلم عليه أو ولد في حياته أو عاصره ولو ساعة ويدخل في ذلك التعريف الجن أيضاً^{١٠}..
 من هنا فعندما يذكر فقهاء علم الرجال كلمة (له صحبة) وهم يناقشون حال الرواة فإنما يقصدون من ذلك الكف عن الخوض فيه، ونقد من بعده من الرواة..
 ومن هنا أيضاً أصبح لكل هؤلاء الذين يدخلون في تعريف الصحبة حق الرواية عن الرسول (ص) في مشروعية تامة ..

والحقيقة التي يجب تأكيدها في هذا المضممار هي أن الصحابة انقسموا بعد وفاة الرسول (ص) إلى قسمين :
 قسم ارتد إلى نهجه القبلي ..
 وقسم ثبت على نهج الرسول ..
 القسم الأول هو الذي تحالف مع أبي بكر وعمر وعثمان ثم معاوية من بعدهم .

والقسم الثاني هو الذي تحالف مع الإمام علي وأهل البيت ^ ..
 القسم الأول هو الكثرة ..
 والقسم الثاني هو القلة ..
 القسم الأول حوى جميع الذين شملهم هذا التعريف العائم الذي ذكرناه ..
 والقسم الثاني حوى الصحابة الذين لهم باع ووزن وقيمة ومكانة وعلم وبذل في سبيل الدعوة طوال حياة الرسول (ص) ..
 القسم الأول سادت رواياته ..
 والقسم الثاني ضربت رواياته ..
 وقد انعكس هذا الموقف على التابعين وتابعيهم فأصبحوا قسمين :
 قسم سار مع بني أمية وبني العباس ..

١٠ - أنظر مقدمة الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني .

٢٦..... دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

وقسم سار مع أبناء الإمام علي الأئمة مثل الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق (ص) ..

وانعكس هذا الموقف أيضاً على حركة تدوين الحديث وجمعه ..

وبدا أثره واضحاً على علم الجرح والتعديل ..

الجانب الغالب والسائد يشكك في أنصار أهل البيت، أو من يسمونهم بالشيعة والرافضة، ولا يروون لهم ويجرحونهم تحت ضغط الحكام الذين يجدون في هذا الخط - خط أهل البيت - خطراً على وجودهم ونفوذهم وسلطانهم .

ومن جانب آخر هم يروون لخصومهم وأعدائهم ويعدلونهم..

وهذه نماذج من هؤلاء الرواة الخصوم :

- مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عم عثمان بن عفان، قال فيه ابن حجر : يقال إن له رؤية - أي صحبة للرسول - فإن ثبت فلا يعرج على من تكلم فيه .

وقال عروة بن الزبير كان مروان لا يتهم في الحديث، وقد روى عنه سهل ابن سعد الساعدي الصحابي اعتماداً على صدقه . وإنما نقموا عليه أنه رمى طلحة - أحد العشرة المبشرين بالجنة - يوم الجمل بسهم فقتله ثم شهر السيف في طلب الخلافة حتى جرى ما جرى ..

قال ابن حجر : فأما قتل طلحة فكان متأولاً فيه كما قرره الإسماعيلي وغيره . وأما ما بعد ذلك فإنما حمل عنه سهل بن سعد وعروة وعلي بن الحسين وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث، وهؤلاء أخرج البخاري أحاديثهم عنه في صحيحه

لما كان أميراً عندهم بالمدينة قبل أن يبدو منه في الخلاف على ابن الزبير ما بدا..^{١١}

- عمران بن حطان السدوسي الشاعر المشهور كان يرى رأي الخوارج وكان شاعرهم ويدعو لمذهبهم . قال ابن حجر : وهو الذي رثى عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي (ع) بتلك الأبيات السائرة، وقد وثقه العجلي وقال قتادة كان لا يتهم في الحديث..

وقال أبو داود ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج ثم ذكر عمران هذا وغيره..^{١٢}

- معاوية بن أبي سفيان من الطلقاء الذين دخلوا الإسلام بعد فتح مكة روى له أصحاب السنن باعتباره صحابي عدل . وروى له البخاري ثمانية أحاديث..^{١٣}

- أبو هريرة الدوسي أورده ابن حجر في باب من لا يعرف اسمه واختلف فيه وقال فيه : روى له البخاري (٤٤٦) حديثاً..^{١٤}

- بسر بن أرطاة قال فيه ابن معين : كان رجل سوء، وبسر هذا كان من قادة معاوية الذين قادوا حملات الإبادة والتصفية الجسدية لمعارضين معاوية وأنصار

١١ - مقدمة فتح الباري، أسماء من طعن فيهم من رجال البخاري .

١٢ - المرجع السابق.

١٣ - لم تثبت أية فضائل لمعاوية على لسان الرسول (ص) قال بذلك إسحاق بن راهويه أستاذ البخاري، ورفض النسائي كتابة شيء في معاوية وقتل بسبب ذلك. أنظر فتح الباري ج ٧ باب ذكر معاوية . وانظر ترجمة النسائي في كتب التراجم ومقدمة سننه (ت ٣٠٣ هـ).

١٤ - اختلف في اسم أبي هريرة أكثر من عشرين خلافاً، أنظر تاريخ الصحابة لابن حبان، وطبقات ابن سعد والإصابة وأسد الغابة.

عليّ في الحجاز واليمن، وكان الإمام علي قد دعا عليه، وقد روى له أبو داود
والترمذي والنسائي..^{١٥}

- يزيد بن زياد الكلاعي الحمصي، نهى أحمد عن مجالسته وكان
الأوزاعي سئ القول فيه، وكان يكره الإمام علي لقتله جده في صفين، روى له
البخاري وغيره..^{١٦}

- طارق بن عمرو المكي مولى عثمان بن أبي عفان، ولي المدينة من قبل
عبد الملك بن مروان وكان من ولاية الجور، روى له مسلم وأبو داود..^{١٧}
- عمرو بن سعيد بن العاص الأموي المعروف بالأشديق . كان والياً على
المدينة من قبل معاوية ويزيد خرج على عبد الملك بن مروان فقتله، من ولاية
الجور، روى له مسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي..^{١٨}

- مجالد بن سعيد الهمداني الكوفي، قال فيه أحمد : ليس بشيء، وقال
الدارقطني : لا يعتبر به، ونقل البخاري أن ابن مهدي لم يكن يروي عنه، روى
له مسلم وغيره..^{١٩}

وقال ابن المديني سئل يحيى بن سعيد القطان عن جعفر الصادق فقال : في
نفسه منه شيء ومجالد أحب إلي منه..^{٢٠}

١٥ - مقدمة فتح الباري .

١٦ - أنظر مقدمة فتح الباري ومقدمة مسلم.

١٧ - المرجعين السابقين وانظر كتب الرجال.

١٨ - المراجع السابقة.

١٩ - المراجع السابقة.

٢٠ - تهذيب التهذيب.

- حريز بن عثمان الرحبي الحمصي . متهم بسبب الإمام علي والكذب على رسول الله (ص) روى له البخاري وغيره..^{٢١}

- عمر بن سعد بن أبي وقاص . قاد الجيش الذي قتل الحسين وأبناء الرسول (ص) في كربلاء، روى له البخاري وغيره..^{٢٢}

ويروي مسلم عن ابن سيرين قوله : لم يكونوا - أي الفقهاء - يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع - الشيعة والمعتزلة ومن لم يساير الوضع القائم في عصر التدوين - فلا يؤخذ حديثهم..^{٢٣}

ويقول ابن حجر : فأكثر من يوصف بالنصب - أي معاداة علي وأهل البيت - يكون مشهوراً بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة، بخلاف من يوصف بالرفض فإن غالبهم كاذب ولا يتورع في الأخبار..^{٢٤}

ومن نماذج القسم الأول الذي ساير النهج القبلي بعد وفاة الرسول (ص) عائشة وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وعمرو بن العاص وأنس بن مالك، وهؤلاء الخمسة أسهموا بدور كبير في التحدث بلسان الرسول وقد اعتمدت كتب السنن على رواياتهم خاصة عائشة وابن عمر وأبو هريرة ..

وأغلب الروايات التي سوف نتعرض لها في هذا الكتاب منقولة عنهم ..

فقد روت عائشة في البخاري (٤٤٢) حديثاً ..

وروى أبو هريرة (٤٤٦) حديثاً .. وروى ابن عمر (٢٧٠) حديثاً..^{٢٥}

٢١ - المراجع السابقة.

٢٢ - المراجع السابقة.

٢٣ - مقدمة مسلم.

٢٤ - مقدمة فتح الباري.

٣٠..... دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

هذا بينما لم يرو البخاري لفاطمة بنت الرسول سوى حديثاً واحداً ..
وروى لعلي بن أبي طالب (٢٩) حديثاً فقط..^٢
وهؤلاء الثلاثة على وجه الخصوص (عائشة أبو هريرة ابن عمر) من
خصوم الإمام علي الذين أعلنوا انحيازهم بالكامل إلى صف معاوية وبني أمية ..
وتجد الروايات المنسوبة للرسول (ص) والخاصة بالحكام وطاعتهم والصبر
على أذاهم وظلمهم وتبرير الوضع السائد قد جاءت عن طريق هذا القسم خاصة
هؤلاء الثلاثة..^٣

بين السند والمتن

ويقسم فقهاء الحديث الرواية إلى متواترة وآحاد، وأكثر الروايات تدخل
في دائرة الآحاد بينما المتواترة قليلة ومعدودة..^٤
وجرى العمل من قبل الفقهاء على الأحاديث الآحاد وقبولها وبناء الأحكام
والعقائد على أساسها ..

١ - مقدمة فتح الباري، وهذا الحصر خاص بالبخاري، أما الكتب والسنن الأخرى فقط روى فيها
هؤلاء الثلاثة الكثير، ومجموع ما رواه أبو هريرة وحده أكثر من خمسة آلاف، وما روته عائشة
(٢٣٠٠) حديثاً، وما رواه ابن عمر (٢٦٠٠) حديثاً .

٢ - المرجع السابق.

٣ - من هذه الروايات : من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن رأى من
من أميره شيئاً فليصبر، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، واسمع وأطع وإن جلد ظهرك وأخذ مالك، إنما
=

= الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقي به، أنظر مسلم كتاب الإمارة، والبخاري كتاب الأحكام، وأنظر
كتابنا السيف والسياسة، وكتابنا الخدعة، وانظر باب الرسول الظالم من هذا الكتاب .

٤ - يقسم فقهاء الحديث الخبر - أي الحديث - إلى متواتر وآحاد . ويقسمون الآحاد إلى أقسام
منها المشهور والعزيز والغريب والحسن والمرسل والمعلق وغير ذلك، أنظر كتب مصطلح الحديث .

قال ابن عبد البر : أجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل وإيجاب العمل به إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع..

وقال : وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ويجعلها شرعاً وديناً في معتقده، على ذلك جماعة أهل السنة..^١

ويقول ابن الصلاح : أهل الحديث كثيراً ما يطلقون على ما أخرجه البخاري ومسلم جميعاً صحيح متفق عليه، ويعنون به اتفاق البخاري ومسلم لا اتفاق الأمة، عليه، لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه، لاتفاقهما على تلقي ما اتفقا عليه بالقبول، وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته والعلم اليقيني النظري واقع به خلافاً لمن نفي ذلك محتجاً بأنه لا يفيد من أصله إلا الظن..^٢

وردد النووي على هذا الكلام بقوله : وهذا الذي ذكره الشيخ خلاف ما قاله المحققون والأكثرين فإنهم قالوا : أحاديث الصحيحين التي ليست بمتواترة تفيد الظن، فإنها آحاد، والآحاد إنما تفيد الظن لما تقرر، ولا فرق بين البخاري ومسلم وغيرهما في ذلك..^٣

ويدور نزاع بين القدامى والمعاصرين حول حجية حديث الآحاد وكونه يفيد العلم أم الظن..^٤

ففقهاء الوضع السائد يدافعون عن حديث الآحاد ويشككون في ناقيده والمترددون في الأخذ به لأن عقائدهم وأحكامهم تقوم عليه وأي محاولة للنيل منه سوف تهدم مذهبهم بأكملهم..^٥

وذهب الشافعي وغيره من المحدثين إلى أن الحديث إذا كان صحيحاً على شرط المحدثين لا يكون مخالفاً للكتاب أبداً..^٥

١ - التمهيد ج ١ / ٣ وما بعدها .

٢ - علوم الحديث .

٣ - شرح مسلم ج ١ / ٢٠

٤ - أنظر كتب علوم الحديث وكتب أصول الفقه .

٥ - بغية الفحول .

وقال : ولم نجد عنه (ص) حديثين مختلفين إلا ولهما مخرج، أو على أحدهما دلالة بأحد ما وصفت، أما بموافقة الكتاب أو غيره من السنة أو بعض الدلائل^١..

وقال ابن خزيمة : لا أعرف أنه روى عن النبي (ص) حديثان بإسنادين صحيحين متضادين، فمن كان عنده فليأتني به لأؤلف بينهما^٢ ..
وذهب البعض إلى جواز نسخ القرآن بالحديث^٣..

وليس هناك من يجزم من بين فقهاء الحديث أن جميع الروايات التي بين أيديهم إنما هي بلفظها الذي نطق به الرسول (ص) وإنما يقولون إن هذه الروايات رويت بالمعنى ..

ولو كانوا قد قالوا بغير ذلك لساووا هذه الروايات بالقرآن، وهذا أمر يوقع في دائرة الحرج الشرعي ..

إلا أنهم مجمعون على أن البخاري هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وهذا الكلام فيه نظر إذ من الممكن أن يؤدي إلى نفس النتيجة وهي مساواة القرآن بالأحاديث..

والحق أن مغالاة فقهاء الحديث في أمر الرواية والذي وصل بهم إلى الحكم بكفر منكر السنة أو المشكك فيها أو حتى كفر منكر الحديث المتواتر - وبعضهم وسع دائرة هذا الحكم ليشمل الآحاد - أن هذه المغالاة تضع السنة في مصاف القرآن ..

١ - الرسالة.

٢ - الأجوبة الفاضلة للكندي.

٣ - أنظر كتب أصول الفقه وعلوم القرآن والناسخ والمنسوخ.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

وهم إذا ما عبدوا الأمة بهذا فإنما يكونوا قد أوقعوها في عبادة الرجال، فإن قرن القرآن بالسنة يعد صورة من صور الشرك بين كلام الله وكلام البشر التي سوف تكون نتيجتها الحتمية هي طغيان كلام البشر على كلام الله وهو ما حدث..

ويمكن تحديد الفروق بين القرآن والسنة فيما يلي :

- إن القرآن كلامه معجز والسنة ليست كذلك..

- إن القرآن قطعي أي لا مجال للتشكيك فيه، أما السنة فإن نسبة الأحاديث إلى الرسول (ص) ليست قطعية ..

- إن القرآن كلام الله يجوز التعبد به شرعاً، بينما السنة لا يجوز التعبد بكلامها ..

- إن من الممكن الكذب في السنة ونسبة القول إلى الرسول زيفاً وبهتاناً، ولا يمكن ذلك بالنسبة للقرآن ..

وجملة السنة موضع شك، والقرآن ليس كذلك ..

و الحديث إنما هو موضع شك من حيث المتن ومن حيث السند، وإن كان الفقهاء قد أجازوا الشك في الرواية من ناحية السند فقط .

وعدم جواز الطعن في الرواية من حيث المتن فيه إلغاء للعقل وامتهان لدوره ونتيجته الحتمية هي القضاء على الرأي وحرية التلقي والتناول لأحكام الدين وتعبيد الأمة لأقوال الرجال..

وهو ما تؤكد تلك الحقائق التي عرضناها بخصوص السند وكونه موضع شك ..

إن الفقهاء أرادوا تعبيد الأمة للرجال حكماً وكهاناً وإلزامهم بقبول الوضع السائد اعتماداً على الأحاديث وليس على نصوص القرآن ، تلك الأحاديث التي أجازوا الخوض فيها من ناحية السند وحده، لكون الخوض فيها من هذه الناحية

لن يؤدي إلى شئ لأنهم هم الذين اخترعوا قواعد البحث في أمر السند وعلم التعديل والجرح، فمن ثم فإن النتيجة في النهاية سوف تصب في دائرتهم، لأن الباحث من أمر الرواية لن يستطيع أن يقول هذا عدل وهذا غير عدل إلا وفق هذه القواعد ..

من هنا فإن الفقهاء يتصدون وبشدة المحاولة الخروج عن هذه القواعد والتي تتمثل في محاولة البعض إنكار حديث الآحاد وعدم الاستدلال به في مجال العقائد، وذلك لأن السنة بكاملها تعتمد على حديث الآحاد، وهدمه يعني هدم السنة .

أما الحديث المتواتر فهو قليل فمن ثم لا يمكن الاعتماد عليه في بناء هذا الصرح الكبير الذي أقاموه تحت رعاية بني أمية وبني العباس ..

وهناك رواية أنزلها الفقهاء منزلة المتواتر وهي قول الرسول (ص): «**من كذب علي معتمداً فليتبوأ مقعده من النار**»^١.

وهذه الرواية التي هي محل إجماع تدل دلالة قاطعة على أن هناك كذب واختلاق وتزييف سوف يتم باسم الرسول (ص) ..

وهناك رواية أخرى تقول : «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا»^٢.

ويروى عن ابن عباس قوله : إنا كنا نحدث عن رسول الله إذ لم يكن يكذب عليه فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه^٣.

١ - أنظر مقدمة مسلم.

٢ - المرجع السابق.

٣ - المرجع السابق.

وعلى ضوء هذه الروايات وما سبق ذكره لا يمكن القول إن علم السند وحده كاف لتمييز الخبيث من الطيب، وإنما الأمر يحتاج إلى إدخال علم المتن إلى جواره حتى يمكن ضبط ذلك الكم الهائل من الروايات المنسوبة للرسول (ص) والتي شكلت شخصية الأمة وعقلها وصاغت ديناً جديداً يتناقض مع القرآن ..

إن محاولة التفريق بين السند والمتن، وإباحة هذا وتحريم هذا إنما هي مؤامرة على دين الله صاغها الحكام من بعد الرسول وتبعهم الفقهاء فيها وقاموا بتقنينها وإضفاء المشروعية عليها ..

وبالأمس واليوم كانت هناك عقول راشدة تنكر الحديث من منته فيتصدى لها الفقهاء بدعوى صحة السند وإنّ رجاله رجال الصحيح وأن ..

ولما كان هذا الكلام لا يرح العقل ولا يسكت المعارضة، كان قرار الفقهاء هو تكفير أمثال هؤلاء الرافضين وزندقتهم تحت دعوى التشيع أو التجهم أو القدرية، فينهض الحكام ليعملوا السيوف في رقابهم..^٤

وقد يكون هناك تجاوز من الفقهاء في نقد كتب السنن مثل الترمذي والنسائي وابن ماجة وأبي داود ومسنند أحمد، إلا أنهم لا يتسامحون في محاولة توجيه أي نقد للبخاري ومسلم، فهذان الكتابان فوق النقد والاستدلال بأحاديثهما كالاستدلال بنصوص القرآن، وذلك بدعوى أن الأمة أجمعت على صحتهما وتلقتهما بالقبول والأمة معصومة عن الخطأ..^٥

٤ - أنظر لنا كتاب الكلمة والسيف .

٥ - أنظر الباعث الحثيث لابن كثير، ويقول ابن القيم الجوزية : إن ما تلقاه أهل الحديث وعلمائهم بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم مفيد لليقين ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين مختصر الصواعق ج ٢ / ٣٧٣

والبخاري هو أول من نقح كتب الأحاديث والمسانيد التي كانت منتشرة في عصره (العصر العباسي) واستخلص منها الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين..^٦

والبخاري ولد عام ١٩٤ هـ بمدينة بخارى وكان جده الثالث مجوسياً مات على دينه وله الكثير من الفتاوى الغريبة..^٧

أما مسلم فهو تلميذ البخاري وينتمي إلى نيسابور وهناك خلاف في ضبط تاريخ مولده ووفاته، ويرجح ابن خلكان أنه توفي سنة إحدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة فتكون ولادته في سنة ست ومائتين..^٨

بينما يشير الذهبي إلى أن مولده كان في سنة (٢٠٤ هـ)..^٩

وقد خالف مسلم البخاري في نهجه وجمعه للأحاديث فمن ثم قد حوى الكثير من الأحاديث التي فاتت البخاري أو هو تجنبها خاصة الأحاديث المتعلقة بفضل الإمام علي وأهل البيت والتي خلا منها البخاري..^{١٠}

ومن بعد مسلم جاء ابن ماجة القزويني (ت ٢٧٣ هـ) ودون سننه المعروفة بسنن ابن ماجة، وجاء بعده أبو داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ووضع كتابه

٦ - مقدمة فتح باري، وقال البخاري ما جمعته صحيح وما تركت من الصحيح أكثر.

٧ - من هذه الفتاوى جواز قيام المرأة باستضافة الرجل عندها والقيام بخدمته، وجواز ترك الصلاة في حالة الضرورة، لا يجب الغسل في الجماع الذي لا إنزال فيه، يجوز دهن البدن بدهن الميتة . أحكام الرضاع تترتب على لبن الحيوان أيضاً، أنظر مقدمة البخاري ط مكة .

٨ - وفيات الأعيان ٤ / ٢٨٠ ويقال إنه مات بسبب سلة تمر أكل منها فوق طاقته.

٩ - تذكرة الحفاظ ج ٢ / ٥٩

١٠ - أنظر مسلم كتاب الفضائل باب فضل الإمام علي وباب فضل أهل البيت ، وقارن بينه وبين البخاري.

سنن (أبو داود)، ومن بعده جاء الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) وصنف كتابه جامع الترمذي..

وعاصره النسائي (ت ٣٠٣ هـ) ودون سننه التي أطلق عليها سنن النسائي^{١١} وجاء الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) فاستدرك على البخاري ومسلم الكثير من الأحاديث الصحيحة بطرقهم ورجالهم والتي تجنبوا تدوينها في كتابيهما .

والمأمل في مستدرك الحاكم يكشف أن هناك الكثير من الروايات الهامة التي تغير الكثير من المواقف والأحكام والرؤى اهتمت أو ضربت حتى لا تؤدي إلى حدوث بلبلة في أوساط المسلمين وتدفع بهم إلى الشك في الأطروحة السائدة والخروج من دائرة عبادة الرجال التي وضعهم فيها الفقهاء والحكام . . وعلى رأس هذه الروايات التي استدرکها الحاكم الروايات المتعلقة بالإمام علي وآل البيت وسلوك بعض الصحابة ومواقفهم بعد وفاة النبي ﷺ، وكذلك ما يتعلق ببعض الأحكام.

ومن هذه الروايات رواية تقول : «يَدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ» ..

ورواية : « كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي» ..

ورواية : «إذا بلغ بنو ابن العاص ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وكتاب الله دغلا» ..

ورواية : «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة : علي وعمار وسلمان» ..

ورواية : «إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح رأسه ورجليه إلى الكعبين» ..

ورواية : «قاتل عمار وسالبيه في النار» ..

ورواية : «ملئ عمار إيماننا إلى بشاشة» ..

١١ - أنظر تراجم هؤلاء في وفيات الأعيان وتذكرة الحفاظ وكتب الرجال وكتب التاريخ.

ورواية : «من آذى علياً فقد آذاني» ..
ورواية : «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»..

ونفس الأمر ينطبق على كتب السنن الأخرى التي أهملت واستبعدت مثل مسند أحمد ومسند ابن حبان وأبي يعلى والطبراني والبيهقي والدارمي وموطأ مالك وغيرهم، فهذه الكتب تحوي الكثير من النصوص النبوية التي تكشف تناقض الفقهاء وتعمدهم التركيز على البخاري ومسلم..^{١٢}
قال الشافعي : ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك (الموطأ)..^{١٣}

وقال : إذا جاءك الحديث عن مالك فشد يدك عليه..^{١٤}
وما قيل في سنن أبي داود كان أكثر ..
قال أبو سليمان الخطاب : كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله..^{١٥}
وقال إبراهيم بن إسحاق الحزبي : ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود الحديد ..

١٢ - المتأمل يكتشف أن التركيز على البخاري أكثر لكونه لا يحوي نصوصاً تنصر علياً وأصحابه أنظر ميزان الاعتدال للذهبي وتهذيب التهذيب لابن حجر وتأمل هجومهما على أبي داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم.

١٣ - مقدمة إسعاف المبطأ في شرح الموطأ، وانظر مقدمة طبقات الموطأ.

١٤ - أنظر مقدمات الموطأ.

١٥ - مقدمة سنن أبي داود بتحقيق محيي الدين عبد الحميد، وانظر معالم السنن للخطابي.

وقال ابن حبان : أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماء وحفظاً ونسكاً وورعاً
واتقاناً . .

وقال ابن القيم : كتاب السنن لأبي داود من الإسلام بالموضع الذي خصه الله
به بحيث صار حكماً بين أهل الإسلام وفصلاً في موارد النزاع والخصام فإليه
يتحاكم المنصفون وبحكمه يرضى المحقون فإنه جمع شمل أحاديث الأحكام
ورتيبها أحسن ترتيب ونظمها أحسن نظام مع إقتناءها أحسن انتقاء وإطراحه منها
أحاديث المجروحين والضعفاء..^{١٦}

وقد مال له أهل العراق ومصر وبلاد المغرب وكثير من أقطار الأرض، أما
أهل خراسان فقد أولع أكثرهم بكتاب محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن
حجاج النيسابوري، ومن نحا نحوهما في جمع الصحيح على شرطهما..^{١٧}
أما سنن النسائي فقد قالوا فيها : النسائي أحفظ من مسلم وأن سنته أقل
السنن حديثاً ضعيفاً بعد البخاري ومسلم . .

وقال الدارقطني : كل ما في سنن النسائي صحيح غير تساهل صريح . .
وقالوا إن النسائي له شرط في الرجال أشد من شرط مسلم ولذلك كان
بعض علماء المغاربة يفضلونه على البخاري..^{١٨}
وقيل في الترمذي ما شابه ذلك..^{١٩}

أما ابن ماجة القزويني فهو كما قالوا دون الكتب الخمسة في المرتبة
ولذلك أخرجه كثير من جملة الصحاح الستة، إلا أن المتأخرين عدوه ضمن
الستة..^{٢٠}

١٦ - المرجع السابق.

١٧ - معالم السنن.

١٨ - مقدمة سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي.

١٩ - انظر مقدمة سنن الترمذي وكتب التراجم.

نهج التأويل

يتخذ الفقهاء موقفاً معادياً من قضية التأويل فيما يتعلق بالأحاديث النبوية الخاصة بصفات الله سبحانه . .

وقد أعلن هؤلاء الفقهاء الحرب على الشيعة والمعتزلة والجهمية وغيرهم من الخلف لكونهم فسروا هذه الأحاديث بما يفيد غير ظاهرها من الوصف . .
وقرر الفقهاء أن مثل هذه الأحاديث تؤخذ كما هي دون التأويل فالله تعالى له يدٌ ورجلٌ ويضحك ويغار ويهبط من السماء إلى الأرض ومكانه في السماء ويتكلم ويتعجب ويرى يوم القيامة وغير هذه الصفات التي أشارت إليها الأحاديث والتي يؤمنون بها ويعتقدونها غير أنهم يلحقون هذا الاعتقاد بقولهم :
له يد ليست كيدناً وله رجل ليست كرجلنا وله عين ليست كعيننا، ويتكلم ليس ككلامنا، ويهبط إلى الأرض ليس كهبوطنا، وهكذا . . ويتزعم هذا الاعتقاد من يسمون أنفسهم بأهل السنة والجماعة وهو الاتجاه الذي ساد بين المسلمين اليوم بتأثير المد النفطي الوهابي^{٢٠}.

أما قبل ذلك فكان هذا الاتجاه ينحصر في دائرة الحنابلة الذين قدر لهم بعض الانتشار في عصر المتوكل العباسي ثم كتبوا بعده ولم تقم لهم قائمة حتى ظهر ابن تيمية وحاول بعث أفكارهم إلا أنه ضرب وطوى التاريخ صفحته حتى ظهرت حركة محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية والتي تبنت الطرح

٢٠ - مقدمة سنن ابن ماجة شرح السندي.

٢١ - سوف تأتي الإشارة الى هذه الروايات في فصل الرسول المجسم..

الحنبلي وأحيت مذهب ابن تيمية وفرضته على المسلمين بسيف آل سعود لتصبح له دولة تمكنت ببركات النفط أن تنشر هذا الاعتقاد بين المسلمين في كل مكان..^{٢٢}

وقد وقف في مواجهة أهل السنة الكثير من فقهاء الخلف وفقهاء الاتجاهات الأخرى التي تحترم العقل وتعطى له مكانته، أولئك الذين رأوا في هذا الاعتقاد صورة من صور التجسيم الغير مباشر .

فما معنى وصف الله سبحانه أن له يد ليست كيدنا، وعين ليست كعيننا ورجل ليست كرجلنا.. الخ . والعقل البشري لا يتصور اليد أو العين أو الرجل إلا صورة واحدة وهي ما تجسم في مخيلته .. ؟ وكيف للعقل أن يتصور اليد والعين والرجل بصورة أخرى؟ إن ذلك خارج طاقته وما جبل عليه ..

من هنا فعند ذكر اليد أو العين أو الرجل فسوف يتصورها العقل كما هي عند سماعه مثل هذه الأحاديث التي تصف الله سبحانه بمثل هذه الصفات .. ولما كان هؤلاء الفقهاء لا يملكون القدرة على الطعن في مثل هذه الأحاديث وإنكارها لا اعتقادهم في صحتها بطرق الإسناد التي تعلموها، فلم يكن أمامهم سوى أن يقوموا بتأويلها وصرف ظاهرها عن معنى التجسيم، فقالوا إن اليد تعني القدرة والعين تعني الإحاطة، والسماء تعني العلو، والهبوط هبوط الرحمة، والتكلم يكون بواسطة .. وهكذا..^{٢٣}

٢٢ - أنظر لنا كتاب أهل السنة شعب الله المختار وانظر فتن الحنابلة في الكامل في التاريخ لابن الأثير وغيره من كتب التاريخ..

٢٣ - نظر مقالات الإسلاميين للأشعري، وشرح العقيدة الطحاوية والملل والنحل للشهرستاني والفصل في الملل والنحل لابن حزم والعقيدة الواسطية لابن تيمية وغيرها من كتب العقائد، وانظر باب الرسول المجسم من هذا الكتاب.

وهذا ما عليه الشيعة والمعتزلة والجهمية، غير أن هؤلاء تحلوا بقدر أكبر من الشجاعة وقاموا برفض مثل هذه الأحاديث ونبذها . .

والشيء الغريب والذي يفرض الكثير من التساؤلات أن فقهاء أهل السنة الذين تبنا هذا الموقف المتشدد من أحاديث الصفات تبنا عكس هذا الموقف تماما في مواجهة الأحاديث المتعلقة بالسياسة والحكام والرسول (ص) والتي سوف نعرض لها فيما بعد.

فهم في مواجهة قول الرسول (ص) في معاوية بن أبي سفيان : « لا أشبع الله بطنا »..^{٢٤}

قالوا : لعل هذه منقبة لمعاوية لقول النبي (ص) : « اللهم من لعنته أو شتمته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة »..^{٢٥}

وقال ابن كثير : وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه..^{٢٦}
وفي مواجهة قول الرسول (ص) : « لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة، أو لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلاً »..^{٢٧}
قالوا : الاثنا عشر هم : الخلفاء الراشدون الأربعة ومعاوية وابنه يزيد وعبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز ثم أخذ الأمر في الانحلال..^{٢٨}

٢٤ - رواه مسلم، كتاب البر والصلة . وكان الرسول قد طلب معاوية فاعتذر بسبب الأكل .

٢٥ - تذكرة الحفاظ ترجمة النسائي .

٢٦ - البداية والنهاية ج ٨ / ١١٩

٢٧ - مسلم، كتاب الإمارة .

٢٨ - شرح النووي على مسلم .

وفي مواجهة قول الرسول (ص) لعلي : «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^{٢٩}..

قالوا : والمستدل بهذا الحديث على أن الخلافة له بعد الرسول الله زائع عن نهج الصواب فإن الخلافة في الأهل لا تقتضي الخلافة في الأمة بعد مماته^{٣٠}.. وفي مواجهة قول الرسول (ص) : « ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله عز وجل هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي »^{٣١}..

قالوا : إن أهل البيت نساء النبي أو بنو هاشم أو بنو العباس أو قريش وإن المقصود بالتذكير هنا هو الاحترام والتوقير^{٣٢}.. وسوف نعرض لنماذج أخرى من هذه التأويلات ضمن بحوث الكتاب ..

* * *

٢٩ - البخاري ومسلم باب من فضائل علي.

٣٠ - شرح مسلم للنووي.

٣١ - مسلم، باب من فضائل علي، ويلاحظ أن التأويل يتركز حول الروايات الخاصة بالإمام علي وأهل البيت.

٣٢ - أنظر شرح النووي على مسلم وشرح العقيدة الواسطية لابن تيمية وفضل آل البيت للمقرزي.

الرسول

الدور والشخصية



كيف ينظر الفقهاء إلى شخص الرسول (ص) وكيف يحددون دوره..؟
إن الإجابة على هذين السؤالين ترتبط ارتباطاً جوهرياً بموضوع البحث
الذي نحن بصددده هنا، فشخصية الرسول ودوره في منظور الفقهاء صيغا بصورة
تتلاءم مع ذلك الكم من الروايات التي يلصقونها به ..
وتتواءم مع رواية طوافه على نسائه التسع في ليلة واحدة وبغسل واحد ..
وتتواءم مع مواقف عمر وتدخله في شأن الوحي ..
و تتواءم مع إهماله جمع القرآن ووصية أمته قبل وفاته ..
ولا بد أن تتواءم مع تبشيره بالظلم وإلزام أمته بقبوله والاستسلام له ..
لقد وجد الفقهاء أنفسهم في موقف حرج بين أن يرفضوا هذه الروايات التي
تصطدم بالقرآن والعقل، وتهين الرسول وتستخف به وتشوه صورته، وبين أن
يعطوا للرسول شخصيته ودوره كما حدد كتاب الله، وكان أن اختار الفقهاء
الروايات وقبلوها، وهذا يعني أنهم لا بد وأن يصيغوا شخصية جديدة للرسول
تتواءم مع هذه الروايات، ودوراً جديداً ينسجم معها ..
وهم لم يكن أمامهم بديل سوى هذا، فهم إن رفضوا الروايات سقط
صرحهم وضاعت دنياهم وحلت عليهم لعنة الحكام..

بين الكتاب والسنة

ومن هنا ظهرت فكرة ربط كتاب الله بالسنة، فالسنة وحدها لن تستطيع
الصمود والبقاء وتأدية دورها في خدمة الحكام والفقهاء وتخدير المسلمين ما لم
ترتبط بالكتاب، فالكتاب هو الذي سوف يضيفي عليها القدسية ويربط الناس بها
ويرهب الخصوم من محاولة النيل منها والتشكيك فيها ..

ومع ظهور هذه الفكرة ظهرت الفتاوى الارهابية التي تهدد كل من تسول له نفسه محاولة التشكيك في السنة وإضعاف الثقة بها . .

حتى أن بعض الفقهاء قال : لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين وينقد لها ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه، وقد روى البخاري عن الزهري قوله : من الله الرسالة، ومن الرسول التبليغ وعلينا التسليم..^{٣٣} ومن لم يسلم لنصوص الكتاب والسنة واعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات وإدعى أنه يقدم العقل على النقل لم يكن سليم العقيدة..^{٣٤}

وقسم الطحاوي التوحيد إلى قسمين لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما : توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول..^{٣٥}

ويقول ومن لم يسلم للرسول (ص) نقض توحيده، فإنه يقول برأيه وهواه بغير هدى من الله فينقض توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول..^{٣٦} ويقول ابن تيمية : كلما ظهر الإسلام والإيمان وقوي كانت السنة وأهلها أظهر وأقوى..^{٣٧}

ويقول : لا ريب أن عمدة كل زنديق ومنافق إبطال أحاديث رسول الله، وهذا القدر بعينه هو عين الطعن في نفس النبوة وإن كان يقر بتعظيمهم وكما لهم..^{٣٨}

٣٣ - أنظر شرح العقيدة الطحاوية ط القاهرة، وهذه الرواية لا يصح الاستدلال بها هنا فهي ضد ربط الكتاب بالسنة لأنه لا خلاف أن الرسالة من الله والبلاغ من الرسول، والزهري الراوي هو الذي كلف من قبل عبد الملك بن مروان بنشر الروايات في الأمصار وكان ينفق عليه، ويظهر أن الزهري يقصد بالبلاغ هنا السنة لا القرآن . .

٣٤ - المرجع السابق.

٣٥ - المرجع السابق.

٣٦ - المرجع السابق.

٣٧ - نقد المنطق.

٣٨ - المرجع السابق.

إن فقهاء أهل السنة لا يتورعون عن ربط الكتاب بالسنة والدمج بينهما، حتى أنهم اعتبروا أن الطعن في السنة يعد طعنًا في كتاب الله ..

وما داموا يتكلمون بلغة الوحيين، ولغة التوحيدين،.. ولغة الكتابين، فأبي مخرج يمكن أن يكون لأولئك الذين يتسلحون بالعقل في مواجهة الروايات ؟ وهل هناك مسلم يرفض ما جاء به الرسول (ص) ؟

والإجابة بالطبع لا، ولكن الفقهاء أوهموا المسلمين أن من يرفض الأحاديث يرفض ما جاء به الرسول، أي يرفض كتاب الله، وهذه حيلة لا تنطلي على أصحاب العقول الذين جرّمهم الفقهاء وحذروا المسلمين منهم باعتبارهم من أهل البدع ..

إن كل من يستخدم ويميل إلى المنطق والفلسفة وعلم الكلام هو مبتدع في نظر الفقهاء، وقد قال بعضهم : العلم بالكلام هو الجهل والجهل بالكلام هو العلم...^{٣٩}

إن مثل هذه التصورات التي يطرحها الفقهاء عن الرسول وأحاديثه فضلا عن كونها مخالفة لنصوص القرآن هي صورة من صور تأليه الرسول، ومن يعتقد فيها فقد وقع في عبادة الرجال..

وما دام المسلم لا يرفض الرسول وما جاء به فكيف يضل ويكفر .. ؟ إن إنكار بعض الأحاديث أو الطعن فيها لا يعني إنكاراً أو طعنًا في الرسول، وإنما يعني الطعن في كلام منسوب للرسول وإنكار نسبته إليه (ص) ..

يعني دفاعا عن الدين وعن الرسول .. والفقهاء بموقفهم هذا إنما يكررون نفس موقفهم من المؤولة الذين تصدوا لأحاديث الصفات وحملوها على المجاز، ذلك الموقف الذي لم يعجبهم

٥٠..... دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

واعتبروه نفيًا لصفات الله، وأعلنوا حرباً شعواء على الفقهاء والاتجاهات الإسلامية التي تتبنى نهج التأويل وتهدف إلى تنزيه الله سبحانه عن مشابهة البشر. وهم هنا يتخذون نفس الموقف من أصحاب العقول الذين يدافعون عن الرسول (ص) وينفون عنه ما يشينه أو يشوه صورته ..

وليس هناك حرج على فقهاء يؤمنون أن الله سبحانه يظلم العباد وله يد وعين ورجل ويضحك ويغار ويهبط ويجلس على العرش، ليس عليهم حرج أن ينسبون إلى الرسول مشاركة الله في الألوهية ومجامعة النساء في المحيض والجهل بأحكام الدين والجبن والتطفل والولع بالنساء وخلافه، ولو كانت السنة بهذه المكانة فلم لم يدونها الرسول وتركها تتبعثر هنا وهناك أكثر من قرن من الزمان..؟^{٤٠}

ومثل هذا السؤال يرد عليه ببساطة : إن الرسول مات وترك القرآن مبعثراً في صدور الرجال ولم يأمر بتدوينه، فكذلك السنة..^{٤١} وهذه الإجابة ليست غريبة على قوم يساوون السنة بالقرآن وينسبون للرسول ما ينسبون ..

إذ كيف يعقل أن يترك الرسول (ص) القرآن مشتتاً هنا وهناك في صدور الرجال؟

إن ذلك يتنافى مع دوره ومهمته كرسول خاتم .. يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله (ص) (فنهتني قريش)..^{٤٢}

٤٠ - هناك من يقول إن السنة دخلت طور الجمع على الزهري الذي يقول : كنا نكره كتابه العلم - السنة - حتى أكرهنا على ذلك، وهناك من يقول إن بداية التدوين على يد عمر بن عبد العزيز، وهناك من يقول إن التدوين بدأ في العصر العباسي وهو الأرجح - على يد مالك بن أنس تلميذ الزهري الذي قام بتأليف الموطأ بتوجيه من أبي جعفر المنصور.

٤١ - أنظر فصل الرسول المهمل من هذا الكتاب.

٤٢ - يقصد بقريش هنا المهاجرين أمثال عمر وطلحة وأبي بكر وسعد وعثمان وكانوا يشكلون جبهة مستقلة في المدينة، ومنع ابن عمرو هنا كان يهدف إلى عدم نشر روايات تمس شخصيات محددة وتفضيحها.

قالوا : تكتب كل شئ سمعته عن رسول الله، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا .. ؟

فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال: « أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق »^{٤٣}

وهذه الرواية تكشف لنا عدة دلالات هامة :

أولاً : أن هناك جبهة كانت تتولى الكتابة عن الرسول ..

ثانياً : أن هناك جبهة كانت ضد كتابة كلام الرسول ..

ثالثاً : أن هناك أمر من الرسول بكتابة كلامه .

رابعاً : أن هذه الجبهة تنظر إلى الرسول على أنه صاحب أحوال وذو شخصية متقلبة .

ويروي البخاري أنه لما حضر النبي (ص) - أي في مرض الموت - وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب . قال (ص) : «هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده»، قال عمر : إن النبي - يهجر - وقد غلبه الوجع وعندكم كتاب الله فحسبنا كتاب الله واختلف أهل البيت واختصموا وانقسموا إلى حزبين . حزب مع عمر . وحزب يطالب بكتابة الوصية..^{٤٤}

ومن هذه الرواية نخرج بما يلي :

* أن هناك جبهة ضد الوصية وضد كتابة حديث الرسول ..

* أن هذه الجبهة بزعامة عمر والمهاجرين ..

* أن جبهة كتابة الوصية كانت بزعامة علي وتحوي الأنصار .

* أن هناك كتابة على عهد رسول الله..^{٤٥}

٤٣ - رواه الدرامي وأبو داود وأحمد والحاكم .

٤٤ - كتاب العلم .

٤٥ - أنظر تفاصيل الخلاف حول وصية الرسول في كتابنا السيف والسياسة .

ويروى عن أبي هريرة قوله : ما من أصحاب النبي (ص) أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب..^{٤٦}
ومن المعروف أن هناك مجموعة على عهد النبي (ص) كانت تكتب الوحي وعلى رأس هذه المجموعة الإمام علي وابن مسعود وأبي بن كعب..^{٤٧}
وما دام الأمر كذلك فكيف يدعي أن الرسول (ص) مات وترك القرآن غير مكتوب متفرقاً في صدور الرجال كما قال عمر..^{٤٨}

وكيف يدعي أن سنة الرسول لم تكن مدونة في عصره ... ؟
إن الإجابة على هذا السؤال سوف تبين لنا إذا استعرضنا حال حديث الرسول في عهد الخلفاء الثلاثة : أبي بكر وعمر وعثمان ..
تشير الروايات إلى أن الخلفاء الثلاثة عملوا على منع كتابة الحديث في عهدهم ..

يروى ابن سعد : أن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها فأتوه بها فأمر بإحراقها..^{٤٩}
ويروي الذهبي أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة النبي (ص) فقال : إنكم تكتبون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه..^{٥٠}

٤٦ - البخاري في كتاب العلم .

٤٧ - انظر كتب تاريخ القرآن .

٤٨ - انظر فصل الرسول المهمل .

٤٩ - طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٤٠

٥٠ - تذكرة الحفاظ ترجمة أبي بكر .

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٥٣

وحبس عمر بعض الصحابة الذين كانوا يروون حديث الرسول..^{٥١}
أما عثمان فقال : لا يحل لأحد يروي حديثا لم يسمع به على عهد أبي بكر
ولا على عهد عمر..^{٥٢}

ويروى أن عثمان حجب على أبي ذر وابن مسعود وعمر وغيرهم من
الصحابة وآذاهم واضطهدهم بسبب نشر حديث الرسول ورفض الانصياع لأمره
بعدم التحدث إلى الناس..^{٥٣}

ومن هذه الروايات وغيرها مما لا يتسع المجال لذكرها هنا يتبين لنا أن
الأحاديث كانت مدونة على عهد الرسول (ص) وكانت متداولة بين الصحابة . .
ويتبين لنا أيضاً أن هذه الأحاديث كانت تشكل حرجاً لعدد من الصحابة
خاصة تلك التي تتعلق بسلوك ومواقف المنافقين ..

وأنه بمجرد أن توفي الرسول عملت جبهة المهاجرين بزعامة عمر على منع
نشر الحديث وتداوله وقد كانت لها محاولات في ذلك أثناء حياة الرسول . .
وهناك حقيقة هامة أكدتها الروايات الخاصة بأبي بكر وعمر وهي أن
كليهما أصراً على نبذ الأحاديث وحثاً على التمسك بكتاب الله وحده، ويبدو هذا
بوضوح من خلال قول أبي بكر: بيننا وبينكم كتاب الله . .
وقول عمر : حسبنا كتاب الله . .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : ما هو موقف الفقهاء من أبي بكر وعمر ؟
وهل هذا الموقف من جهتهما يعد بدعة وضلالة . ؟

٥١ - المرجع السابق، ترجمة عمر، ومن الذين حبسهم عمر ابن مسعود وأبا الدرداء.

٥٢ - منتخب كنز العمال، هامش مسند أحمد ج ٤ / ٦٤

٥٣ - أنظر ترجمة عثمان في كتب التاريخ، وأنظر سنن الدارمي وطبقات ابن سعد، وأنظر نماذج
أخرى من هذه الروايات في تذكرة الحفاظ للذهبي وكتب التراجم.

ونحن نجيب بالنيابة عنهم بقولنا : إن أبا بكر وعمر لم يمنعا الحديث كلیّةً وإنما منعا الأحاديث التي تشكل خطراً على نهجهما، ويدل على ذلك قول عثمان لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به على عهد أبي بكر وعمر . .
ويدل عليه أيضاً ذلك الحصار الذي فرض على أنصار علي من الصحابة وعلى الأنصار فهؤلاء جميعاً كانوا ضد النهج القبلي الذي فرضه الخلفاء الثلاثة^١..
الثلاثة^٢..

أما في عصر معاوية فقد اختلف الوضع فعندما وجد معاوية نفسه في مواجهة الإمام علي بقدره ومكانته العالية وعلمه المتميز، كان لا بد له من وسيلة شرعية يتحصن بها في مواجهته تحقق له التوازن في الصراع الذي دار معه . .
فكان أن جمع حوله المغيرة بن شعبة وعمر بن العاص وأبو هريرة وغيرهم وأطلق لهم العنان ليرووا باسم الرسول ما يدعم خطه ويقوي صرحه ويسد العجز في الميزان الشرعي الذي أوقعه في حرج أمام الإمام علي . .
لقد فتح معاوية الأبواب على مصارعها لرواية الأحاديث التي تدعمه وتحط من قدر الإمام علي وتشكك في شخصه ونهجه^٢..

١ - أنظر لنا السيف والسياسة .

٢ - أنظر لنا المرجع السابق، وانظر أمر معاوية بسبّ علي على المنابر وأمره بمنع التحدث في فضائل فضائل علي ومكانته، وأمره بنشر الروايات التي تدمه وتشوه صورته، ثم اختراعه الروايات التي ترفع من قدره وتحسن من صورته هو ، وانظر فتح الباري ج ٧ / كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر معاوية، وانظر تطهير الجنان واللسان عن خطورة التفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان لابن حجر الهيتمي في ذيل الصواعق المحرقة ط القاهرة وانظر العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي .

وننتج عن هذا أن فتحت الأبواب على مصارعها أيضاً لأعداء الإسلام كي يرووا باسم الرسول ويشوهوا صورة الإسلام ..
برز كعب الأحبار وأخذ عنه أبو هريرة وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر ومعاوية وعبد الله بن الزبير وغيرهم..^١
من هنا كثرت الإسرائيليات وتغلغلت في كتب الأحاديث عن طريق الصحابة الذين عدلهم أهل السنة وحرّموا تجريحهم..
وفي وسط هذا المناخ المتناقض والذي يتمثل فيما يلي :
- أحاديث أخذت من لسان النبي (ص) مباشرة انتشرت في حياته وضربت بعد مماته ..

- أحاديث تمكن من إنقاذها والاحتفاظ بها قطاع من الصحابة على رأسهم الإمام علي..
- أحاديث اخترعت في عصر الخلفاء الثلاثة..
- - أحاديث اخترعت في عصر معاوية ..
- أحاديث أخذت من كعب الأحبار وغيره من العناصر اليهودية والمسيحية التي اخترقت صفوف المسلمين ..
هذا الكم المتناقض من الأحاديث هو الذي وصل إلى المسلمين في العصر العباسي وتمّت غربلته وانتقاء الأحاديث التي تدعم خط الخلفاء والملوك..
ومن أقوى الأدلة التي يستند عليها الفقهاء في ربط الكتاب بالسنة وربط السند بالكتاب قوله تعالى : { مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر: ٧] ..
{ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ } [النساء: ٨٠] ..

١ - انظر نماذج من هذه الروايات في الفصول القادمة من الكتاب .

{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } النساء : ٦٥] ..
{ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا } [الأحزاب : ٣٧] ..

إن مثل هذه النصوص وغيرها إن كانت تؤكد شراكة الرسول لله سبحانه في
أمر الحكم والأمر والنهي - وهو ما يريد تأكيد الفقهاء - فهذا هو الكفر بعينه إذ
معنى هذا الكلام أن الرسول (ص) يشارك الله سبحانه في خاصية الألوهية، وهذا
يعني أن الرسول قد منح صفة من صفات الله وأخذ خاصية من خصائصه سبحانه،
وهذا ما قالته اليهود في عزيز والنصارى في عيسى ..

وإذا ما أنكر الفقهاء هذا الادعاء - وهم سوف ينكرونه بالطبع - فإن هذا
يعني أن ربط القرآن حكم الله بحكم الرسول وطاعته بطاعته له مدلول آخر وهو
أن الرسول هو الذي ينطق بكلام الله عن طريق الوحي وقد عصم لهذا الغرض،
فمن ثم هو المصدر الوحيد في الأرض الذي ينطق بكلام الله ويقوم بتبيينه، وهو
وفق هذا التصور حكمه هو حكم الله . وطاعته هي طاعة الله لكونه لا يتكلم ولا
يحكم ولا يبين إلا وفق ما يرشده الوحي الإلهي . وهذا هو معنى قوله تعالى :
{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } [النجم : ٣ - ٤] .

وما ينطقه الرسول (ص) ينقسم إلى قسمين :

الأول هو القرآن ..

الثاني هو البيان ..

وشتان بين القرآن والبيان ..

هذا كلام الله، وهذا كلام الرسول ..

نعم إن كلام الرسول منضبط بالوحي ولكن هل هذا يعني أن نساويه بالقرآن؟

والجواب بالطبع لا ..

والفقهاء أنفسهم يقرون أن القرآن جاء بطريق التواتر القطعي ..
أما السنة فجاءت بطرق أخرى ظنية، فإذا كان الأمر كذلك . فكيف ربطوا السنة بالكتاب وكفروا منكرها أو رافض بعضها أو المشكك فيها .. ؟

دور الرسول

لقد حسم القرآن دور الرسول بقوله تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل : ٤٤] .

إن دور الرسول هو التبيين ..

ودور الرسول هو البلاغ .. يقول تعالى : { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } [النحل : ٨٢] .

ويقول : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ.. } [المائدة : ٦٧] ..

ويقول: { هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ .. } [إبراهيم : ٥٢] ..

حدد القرآن أنه ليس من حق الرسول الإضافة ..

وليس من حقه التشريع ..

وليس من حقه الاختلاق ..

وليس من حقه الاجتهاد ..

وليس من حقه اللهو ..

وليس من حقه أن يتسامح في أمر الوحي ..

ولا يملك ذلك من الأصل، فإنما هو معصوم ومحكوم وفق دائرة التبیین والتبليغ .

إلا أن هذه الدائرة التي حدده الله سبحانه لم تعجب الحكام والكهان وأعداء الإسلام لكونها توصل الأبواب في وجوههم وتحول بينهم وبين أن يحرفوا هذا الدين ويشوّهوه ويخضعوه لأهوائهم ومصالحهم، فمن ثم كانت الحاجة ماسة إلى اختراع كمّ هائل من الروايات التي تخرج الرسول من هذه الدائرة لتضعه في دوائر أخرى تتيح لهم استثمار الدين لصالحهم..

ويتحصن الفقهاء في وجوب لزوم السنة برواية منسوبة للرسول تقول : «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه . وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه»^١..

وهذه الرواية إنما يعضد بها الفقهاء موقفهم من النصوص القرآنية التي ذكرناها من أن القرآن وحده لا يكفي ولا بد من أن تكون السنة إلى جواره، وهي تقود إلى نفس النتيجة من أن القرآن والسنة سواء في التلقي والاعتقاد، وأنه لا فرق بين كلام الله وكلام الرسول . .

وهي تهدف إلى إخراج الرسول من دائرة التبیین والتبليغ إلى دائرة أوسع وهي دائرة التشريع . .

إن معنى قول الرسول أوتيت القرآن ومثله معه لا يحتمل إلا شيئاً واحداً وهو أن السنة مثل القرآن، وهذا كلام لا يجوز في حق رسول قال فيه سبحانه:

١ - أبو داود . كتاب السنة، وانظر سنن ابن ماجة ج ١ . باب تعظيم حديث رسل الله والتغليظ على من عارضه.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....

٥٩

{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَا خَدْنًا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ
لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}. [الحاقة : ٤٤ -
٤٧] ..

وإذا كان معنى مثله معه هو البيان فهذا يرد الرواية من أصلها إذ ليس هناك
تطابق بين التعبيرين ..

والمسألة لا تحتمل إلا وجهاً واحداً هو : إما أن يكون الرسول قد قال مثل
هذا الكلام ..

وإما أن لا يكون قد قاله ..

والأرجح أنه لم يقله، لأنه يتناقض مع دوره ورسالته ..

ويعضد هذا ما ينسبه القوم إلى الرسول (ص) من أنه نهى عن كتابة
الأحاديث وقال : «من كتب عني شيئاً فليمحه» ..

وقد كان شعار عمر وهو يطارد الأحاديث : الخوف من أن تختلط بالقرآن..
فإذا اعتمدنا روايات النهي عن كتابة الأحاديث - وكلا الموقفين يقربهما
الفقهاء - فإن هذا يعنى رفض هذه الرواية واعتبارها مختلفة ..
وإذا اعتمدنا رفض الموقفين فإن هذا يعنى التشكيك في السنة وتناقضها وهو
موقف يتجنبه الفقهاء .

وليس أمام الفقهاء من مخرج سوى أن يقرّوا أن السنة لا تخرج عن كونها
جهداً بشرياً وتراثاً علمياً يحوي الغث والسمين والنافع والضار والحق والباطل»
فمن ثم هو يخضع لقاعدة الأخذ والرد والقبول والرفض ..

لو أقرّ الفقهاء بهذا لأمكن للإسلام أن يظل على وجهه النقي الصافي كما
تركه الرسول، ولأمكن للقرآن أن يلعب دوراً فاعلاً في حياة المسلمين، ذلك
الدور الذي سوف يظل مجمّداً بسبب هذا الكم الهائل من الأحاديث المنسوبة
للرسول الذي غطّى على القرآن وعزله عن واقع المسلمين ..

وبفضل هذه الأحاديث المتناقضة والواهية فتح الباب على مصارعه لأقوال الرجال التي غطت على هذه الأحاديث وأصبحت الأمة تتلقاها بالقبول وتدين بها لا بالأحاديث ..

إن السنة ليست سوى تاريخ للرسول (ص) هذا ما يجب أن يعتقده المسلمون . والتاريخ يخضع لقواعد البحث والغربة لكونه نتاجاً بشرياً وليس نتاجاً إلهياً يجب علينا التعبد به ..

وإذا كان الفقهاء يقرّون أن من الفروق بين القرآن والسنة، إن القرآن كلام الله يجوز التعبد به شرعاً بينما السنة ليست كذلك، فما معنى ربطهم السنة بالكتاب وإضفاء هذه الحالة المقدسة على الأحاديث وتكفير الرافض لها والمشكك فيها..؟

إن حكم التكفير في ذاته يرتد على الفقهاء الذين تبوه لكونهم ساووا ما بين الكتاب والسنة واعتبروا منكر السنة كمنكر القرآن .. يرتد عليهم لكونهم أدخلوا الرسول (ص) في دائرة المشاركة مع الله سبحانه في الألوهية وأعطوه حق التشريع والإضافة على القرآن وهو ما يتنافى مع دور الرسول وشخصيته ..

ويروى أن معاذ بن جبل قال : إن من ورائكم فتناً يكثُر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر فيوشك أن يقول : ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ ما هم بمتبعي حتى ابتدع لهم غيره . فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة..^١
ويروى أن الرسول (ص) قال : «بلغوا عني ولو آية»..^٢

١ - أبو داود ، كتاب السنة .

٢ - رواه أحمد والترمذي .

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٦١

ويتداول الفقهاء الكثير من الروايات التي تحض على القرآن وضرورة تلاوته وحفظه وتعلمه..^١

وهذه الروايات تشير إلى أن القرآن كان مجموعاً ومتداولاً في حياة الرسول (ص)..

ويبدو لنا مما سبق أن الروايات لا تحدد ملامح واضحة لشخصية الرسول ودوره، فهي تصوره بالشخصية المتناقضة ..

فتارة يأمر بكتابة الأحاديث ..

وتارة ينهى عنها..

وتارة أخرى يأمر بالقرآن ويحض عليه ..

وتارة يشرك معه أحاديثه ..

وهو فوق هذا يضيف أحكاماً فوق أحكام القرآن ويجتهد ويخطأ ويتطفل ويسحر ويتعدى عليه عمر في أمر الوحي ويعشق النساء ويهمل دوره ورسالته وغير ذلك مما سوف نبين ..

ولقد قال سبحانه : { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ }

وهذا النص القرآني يبدد كل تلك الروايات التي تحط من قدره وتقود في النهاية إلى التشكيك في اختياره للرسالة ..

تروي عائشة عن الرسول (ص) : « كان خلقه القرآن »..^٢

ويروى عن الرسول قوله : « قِيدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ »..^١

١ - أنظر نماذج من هذه الروايات في كتاب فضل القرآن بالبخاري وكتاب العلم وانظر سنن ابن ماجه وغيرها من كتب السنن، وانظر لنا كتاب الخدعة.

٢ - مسند أحمد باب ما جاء في خلقه العظيم، وانظر النسائي والترمذي، وطبقات ابن سعد ج ١ /

٦٢ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

واحتج عمر على الرسول (ص) وهو في مرض الموت يطلب إحضار القلم
والقرطاس ليكتب لهم وصيته بقوله: «حسبنا كتاب الله»..^٢
ومثل هذه الروايات وغيرها التي يتداولها القوم إنما تؤكد أن الرسول (ص)
كان منضبطاً بالقرآن ولا يخالفه في شيء .

* * *

١ - انظر مستدرك الحاكم والطبراني .

٢ - سوف نعرض لهذه الرواية في باب الرسول المهمل .

الرسول العاشق ..

خيال الرسول وعقله ودينه
ملك عائشة ..



يعتبر الفقهاء حياة الرسول قبل البعثة تخرج من دائرة العصمة، أي أن العصمة ترتبط بفترة بعثته فقط . وحتى هذه العصمة لها دائرة محددة هي دائرة التبليغ كما أشرنا ..

وعلى ضوء هذا التفسير يمكن ربط الرسول (ص) بعلاقات نسائية سواء قبل البعثة أو بعدها دون حرج، على أساس أن هذه العلاقة إنما هي في محيط الجانب البشري من شخصيته ..

وفي المرحلة المكية ارتبط الرسول بالسيدة خديجة رغم فارق السن بينهما . ورغم كونها ثيباً وتكبره في السن ..

ورغم وجود عشرات الأبنكار اللاتي يحلمن بالزواج من رجل كمحمد بن عبد الله تتوافر فيه جميع الخصال التي تحلم بها أية امرأة وزيادة ..

إلا أن الرسول ارتبط بخديجة وانجب منها فاطمة، وكان زواجاً مباركاً من قبل الله سبحانه، وتحققت للدعوة مكاسب كثيرة من وراء هذا الزواج..

من هنا يمكن القول إن الرسول اختار خديجة بتوجيه من الوحي ، والله سبحانه وجه عاطفة الرسول نحو خديجة حتى يقبلها زوجة له ..

وخديجة كانت تحمل المواصفات التي تؤهلها للارتباط بالرسول في هذه المرحلة ..

لقد كان من الممكن للرسول أن يميل بعاطفته نحو فتاة بكر وهو بشر له نوازعه، لكن الله سبحانه يريد أن يبين لنا أن عصمة الرسول لا تعني إلغاء عواطفه ومشاعره بل توظيف هذه المشاعر وتوجيهها ..

وهذا ما حدث بين الرسول وخديجة ..

٦٦..... دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

وهو ما غاب عن الفقهاء حين فسروا العصمة هذا التفسير الضيق وفق الروايات التي تبناها ليصيغوا للرسول شخصية أخرى هي شخصية العاشق المولع بالنساء، واعتبروا هذا الجانب من شخصية الرسول مرتبط ببشريته ولا صلة له بنبوته ولا يتناقض معها.

إن العصمة لا تلغي عواطف الرسول ونوازعه البشرية ولكنها تضبط هذه العواطف والنوازع وفق مصلحة الرسالة ..

والفقهاء تحت ضغط الروايات اضطروا إلى فصل العصمة عن النوازع واعتبروا أن للرسول مطلق الحرية في إطلاق نوازعه والتصرف في شهواته وأن ذلك كله لا يصطدم بأهداف الرسالة ..

وإذا كانت حياة القادة ملكاً لأمتهم، فكيف الحال بحياة الرسول المبعوث للعالمين وهو خاتم الرسل ..؟

إن القائد الذي يهب نفسه لقضية يتفرغ ويتجرد لها ولا يأتي بما يناقضها ويصطدم بمصالحها وأهدافها، والرسول نبي وقائد، فكيف له أن يطلق العنان لشهواته ونوازعه ويأتي من السلوكيات والممارسات ما يثير الشبهات حوله ويشكك في دعوته ..؟

ودفاع الفقهاء عن هذه السلوكيات والممارسات التي ألصقت بالرسول يعدُّ صورة من صور الانحراف والتزييف التي لحقت بالدين بعد وفاة الرسول (ص) وهي قاعدة عامة مرت بها جميع الرسالات الإلهية ..

غير أن الصورة اختلفت مع الإسلام، فإن التزييف والتحريف جاء من جهة الروايات المخترعة التي باركها الفقهاء ودعموها بتفسيراتهم حتى كانت النتيجة هي تشويه الرسول ..

ولا شك أن تشويه الرسول هو تشويه للدين الذي جاء به ..

والفقهاء بهذه الصورة يكونون قد أعادوا سيرة الأخبار والرهبان في أقوامهم، بأن جعلوا هذه الروايات حكماً على الرسول وعلى القرآن، ثم جعلوا أقوالهم حكماً على هذه الروايات، وبالتالي أصبحت أقوالهم وتفسيراتهم هي الدين وتبعهم المسلمون على هذا . وهذه هي متاهة الأخبار والرهبان.. ومن خلال كم الروايات التي رويت حول علاقة الرسول بعائشة وتفسيرات الفقهاء لهذه الروايات وتبريراتهم لها سوف تتضح الصورة، ويتبين لنا كيف أن هؤلاء الفقهاء جنوا على الرسول وسفهوا عقول المسلمين..

تاريخ عائشة

يروى ابن سعد عن عائشة قولها : تزوجني رسول الله (ص) في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة لثلاث سنين وأنا ابنة ست سنين، وهاجر رسول الله فقدم المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وأعرس بي في شوال على رأس ثمانية أشهر من المهاجر، وكنت يوم دخل بي ابنة تسع سنين..^١

ولقد أجمع الفقهاء على أساس هذه الرواية وغيرها أن الرسول (ص) تزوج عائشة وهي ابنة ست . ودخل بها وهي ابنة تسع..^٢ وعلى هذا الأساس تكون عائشة من مواليد السنة الرابعة من البعثة وهو تاريخ يتناقض مع سيرة عائشة قبل أن يقترب بها الرسول..

ولو كان المؤرخون قد سكتوا عن تاريخ عائشة قبل زواجها بالرسول لأمكن لمثل هذه الرواية أن تمضي في سلام دون أن يحيط الشك بها ، لكنهم ذكروا

١ - طبقات ابن سعد ج ٨ ترجمة عائشة . باب ذكر أزواج رسول الله .

٢ - زواج الرسول عائشة في السادسة ودخوله بها في التاسعة رواية تتفق عليها جميع كتب السنن، أنظر البخاري و مسلم كتاب النكاح .

روايات أخرى تفرض إعادة النظر في عمر عائشة وتاريخ زواجها
بالرسول (ص)..

يقول ابن حجر : كان مولدها في الإسلام قبل الهجرة بثمان سنين أو نحوها
ومات النبي (ص) ولها نحو ثمانية عشر عاماً.^٣

وحسب قول ابن حجر يكون تاريخ ميلاد عائشة في السنة الخامسة للبعثة
على أساس أن الرسول قضى في مكة ثلاثة عشر عاماً.^٤

إلا أنه بعملية حسابية بسيطة يتبين لنا أنه ما دامت عائشة تقول إنها تزوجت
الرسول قبل الهجرة بثلاث سنوات سنة عشر من البعثة وكان عمرها ست، ودخل
بها بعد الهجرة بحوالي العام وكان عمرها تسع، فإن تاريخ ميلاد عائشة حسب
روايتها يكون في السنة الثالثة من البعثة لا الرابعة وتكون قد تزوجت الرسول في
سن العاشرة لا التاسعة..

ويروي ابن سعد أن رسول الله (ص) لما خطب عائشة من أبي بكر قال أبو
بكر: يا رسول الله إني كنت أعطيتها مطعماً لابنه جبير فدعني حتى أسلمها منه،
فاستسلمها منهم فطلقها فتزوجها رسول الله..^٥

فمتى تزوج جبير عائشة..؟

هذه الرواية تكشف لنا عدة معالم جديدة في تاريخ عائشة قبل زواجها
بالرسول .

المعلم الأول: إذا كان القوم يقولون حسبما تروي عائشة عن نفسها أنها
تزوجت الرسول في السنة السادسة من عمرها، فمعنى هذا أن مطعماً تزوجها قبل

٣ - فتح الباري ج ٧/١٠٧

٤ - وإذا حسبت على أساس أن الرسول قضى في مكة عشر أعوام حسب رواية مسلم (كتاب
الفضائل باب كم بقي النبي في مكة والمدينة) يكون تاريخ ميلادها في السنة الثانية.

٥ - طبقات ابن سعد ج ٨ ، ترجمة عائشة.

ذلك، أي قبل السادسة، ولما كان هذا الكلام لا يعقل فلا بد وأن يتجه الشك نحو تاريخ ميلاد عائشة..

الثاني: إن مطعمًا وجبيراً ولده كانا على ملة الشرك وهذا يدل على أن هذا الزواج كان قبل بعثة النبي واستمر حتى بعث وحتى توفيت خديجة وتزوج بعدها سودة بنت زمعة، لأن عائشة حسب الروايات هي الزوجة الثالثة في حياة الرسول . .

ومرة أخرى يتجه الشك نحو تاريخ ميلاد عائشة . . ؟

كم كان عمرها حين تزوجت جبيراً . . ؟

وكم استمر هذا الزواج . . ؟

المعلم الثالث الذي تكشفه لنا هذه الرواية هو أن عائشة لم تكن بكرًا كما تحاول تأكيد ذلك الروايات الأخرى التي مال إليها الفقهاء وشهروها وعمموها..
المعلم الرابع هو الشك في تاريخ زواج عائشة بالرسول، فمع هذه الرواية يكون سن عائشة أكبر من ذلك بكثير، ويكون تاريخ زواجها من الرسول بعد ذلك بكثير أيضاً . .

ومثل هذا التصور هو الذي يتلاءم مع دور عائشة وتاريخها، وهو التبرير الوحيد لذلك الكم الهائل من الروايات، والعلم الذي ورثته عن الرسول (ص) حسبما تشير الروايات، ذلك الكم الذي لم ينسب لفاطمة بنت النبي والتي ولدت قبل البعثة بخمس سنوات أي حين ولدت عائشة - حسب الروايات - كان عمرها حوالي تسع سنوات . .

يروى أبو داود عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله (ص) وأنا بنت سبع،
قال سليمان : أو ست . ودخل بي وأنا بنت تسع..^٦
ويروي النسائي عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله (ص) لسبع سنين
ودخل علي لتسع سنين..^٧
ويروي ابن ماجه عن عبد الله قال : تزوج النبي (ص) عائشة وهي بنت سبع
وبنى بها وهي بنت تسع وتوفي عنها وهي بنت ثمانين عشرة سنة..^٨
وهذه الروايات الثلاث إنما تؤكد أن الرسول عقد على عائشة في سن
السابعة لا في سن السادسة.
هذا على الرغم من أن جميع كتب السنن تؤكد أن العقد تم في السادسة،
حتى هذه الكتب الذي ذكرت رواية وقوع العقد في السابعة ذكرت أيضاً رواية
وقوع العقد في السادسة ..
وقد ذكرنا هذه الروايات كنموذج لتخبط القوم وعدم دقتهم في أمر النقل
وهو ما يؤكد ضرورة خضوع الرواية للنقد والتحليل للتثبت منها، ويؤكد من
جهة أخرى أن وقوع الدس والتحريف أمر وارد ..
وبجمع هذه الروايات مع الروايات السابقة التي تتحدث عن التاريخ ميلاد
عائشة وتاريخ اقتران الرسول بها يتبين لنا أن الأصل هي تلك الروايات التي
تتحدث عن تاريخ عائشة قبل زواجها بالرسول..
وأن الروايات التي تحاول ربط تاريخها بالرسول مباشرة بمعنى ربطها من
طفولتها بالنبي مباشرة هي روايات إلى الوضع أقرب ..

٦ - كتاب النكاح.

٧ - كتاب النكاح.

٨ - كتاب الأنكحة، ومثل هذه الروايات يضعها الفقهاء تحت عنوان: باب تزويج الصغار.

يروى ابن سعد عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله إن النساء قد اكتنين فكنني . قال : تكني بابنك عبد الله..^٩
وكانت عائشة تتباهى على بقية نساء النبي (ص) بأنها البكر الوحيدة بينهن..^{١٠}

إلا أن هناك روايات تؤكد أن هذا الادعاء غير صحيح . .
يروى أبو داود عن أم سلمة : أن الرسول (ص) لما تزوج بها أقام عندها ثلاثاً ثم قال : ليس بك على أهلِكَ هوان إن شئت سبعت لك، وكان رسول الله إذا تزوج البكر أقام عندها سبعا . وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثاً..^{١١}
وهذه الرواية تشير إلى أن الرسول تزوج أكثر من بكر فلو كان قد تزوج واحدة وهي عائشة كما تدعي لما كانت هناك حاجة أن يعلن أن من سنته الإقامة عند البكر سبعا وعند الثيب ثلاثاً ، فأعلان السنة إشارة إلى التكرار . .
وليت الفقهاء انحازوا إلى جانب الرسول (ص) ورجحوا روايات زواج عائشة قبل الرسول وكونها ثيباً، لكنهم انساقوا وراء تيار الحكام، ورجحوا الروايات الأخرى التي تصطدم بالعقل وبخلق النبي، وتحط من قدره وتخرجه من دائرة الرجولة والنضج والكمال البشري لتدخله في دائرة السفه والعشق المجنون بطفلة ولهوه معها..

أرجوحة ودمى . .

٩ - طبقات ابن سعد ج ٨ . وقد حاول الفقهاء احتواء هذه الرواية فقالوا إن عبد الله الذي كُتبت به عائشة هو ابن أختها أسماء وهو عبد الله بن الزبير، وكيف هذا وهي تكنى بأُم المؤمنين ؟..
١٠ - أنظر طبقات ابن سعد والبخاري ومسلم وسيأتي عرض مواقف عائشة من نساء النبي .
١١ - كتاب النكاح . باب في المقام عند البكر .

وتروي كتب السنن أن رسول الله (ص) أصيب بحالة من الحزن والاكتئاب بعد وفاة خديجة فأراد الله أن يسري عنه فزوجه عائشة . .

يروى ابن سعد : وجد رسول الله (ص) على خديجة حتى خشي عليه حتى تزوج عائشة..^{١٢}

ويروي مسلم عن عائشة قالت : قال رسول الله (ص) أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير، فيقول هذه امرأتك فاكشف عن وجهك فإذا أنت هي، فأقول إن يك هذا من عند الله يمضه..^{١٣}

ويروي ابن سعد عن عائشة قالت : إن رسول الله قال لها : رايتك في المنام مرتين، أرى رجلاً يحملك في سرقة من حرير فيقول هذه امرأتك، فاكشف عنها فإذا هي أنت، فأقول إن يك هذا من الله يمضه..^{١٤}

ومثل هذه الروايات تريد أن تؤكد حقيقة واحدة هي أن زواج عائشة بالرسول لم يكن زواجا عادياً وإنما كان زواجا عقد قرانه جبريل وشهدت عليه الملائكة..

وما ينبثق من هذا التصور هو أن تأخذ عائشة وضعاً خاصاً من دون نساء النبي يجعلها محظية الرسول وموضع سره، فمن ثم فإن تسليط الأضواء عليها من دون زوجات النبي يصبح أمراً مبرراً . .

يروى مسلم عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله (ص) لست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين، فقدمنا المدينة فوكعت شهراً فوفى شعري جميمة - أي تساقط شعري بسبب الحمى فلما شفيت تربى شعري فكثرت - وهو معنى فوفى شعري - فأتتني أم رومان - والدتها وهي أم رومان بنت عمير بن عامر - وأنا

١٢ - طبقات ابن سعد ج ٨

١٣ - باب فضل عائشة.

١٤ - طبقات ابن سعد ج ٨، وانظر نماذج مثل هذه الروايات في كتب السنن.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٧٣

على أرجوحة ومعني صواحب فصرخت بي فأتيتهما وما أدري ما تريدني، فأخذت بيدي فأوقفتني على الباب فقلت هه هه، حتى ذهب نفسي فأدخلتني بيتاً فإذا نسوة من الأنصار فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن وأصلحنني فلم يرعني إلا ورسول الله ضحى فأسلمتني إليه..^{١٥}

ويروى عن عائشة أنها كانت تلعب بالبنات - العرائس - عند رسول الله قالت : وكانت تأتيني صواحي فكن ينقمعن من رسول الله - يهربن منه - فكان يسربهن إلي..^{١٦}

قال النووي تعليقاً على هاتين الروايتين بعد أن وصف الأرجوحة : المراد هذه اللعب المسماة بالبنات التي تلعب بها الجواري الصغار، ومعناه التنبيه على صغر سنهن .

قال القاضي : وفيه جواز اتخاذ اللعب وإباحة لعب الجواري بهن، وقد جاء في الحديث أن النبي رأى ذلك فلم ينكره، قالوا وسببه تدريبهن لتربية الأولاد وإصلاح شأنهن وبيوتهن ، هذا كلام القاضي، ويحتمل أن يكون مخصوصاً من أحاديث النهي عن اتخاذ الصور لما ذكره من المصلحة، ويحتمل أن يكون هذا منهيّاً عنه وكانت قصة عائشة هذه ولعبها في أول الهجرة قبل تحريم الصور..^{١٧} وقولها : وكنّ ينقمعن أي يتغيبن في البيت حياء وهيبة له (ع). ومعنى يسربهن يرسلهن . قال النووي : وهذا من لطفه عليه السلام وحسن معاشرته..^{١٨}

١٥ - كتاب النكاح، ومثله في البخاري وكتب السنن وطبقات ابن سعد.

١٦ - كتاب فضائل الصحابة . باب فضل عائشة.

١٧ - مسلم كتاب النكاح طبعة استانبول، هامش تزويج الأب البكر الصغيرة، ط دار الجيل بيروت.

١٨ - المرجع السابق، باب فضل عائشة وانظر فتح الباري ج ٩ / كتاب النكاح .

ومما ذكر الفقهاء حول هاتين الروايتين يتبين لنا أن الفقهاء إنما يتعاملون مع الروايات بمنطق التسليم المطلق، خاصة إذا كانت هذه الروايات من جهة البخاري ومسلم، فهم لا يعنيه أن يعملوا عقولهم في هذه الروايات لأن ذلك من المحظورات وإنما واجبه ووظيفتهم أن يفسروها ويبرروها كي تدين الأمة بها..

وفوق ذلك يستنبطون منها الأحكام ..

لقد انشغل الفقهاء بدمى عائشة هل هي حرام أم حلال، ولم ينشغلوا بالرسول وشخصه وهل يليق به هذا الوضع أم لا ..؟

ويروي ابن سعد عن عائشة قالت : دخل علي رسول الله (ص) يوما وأنا ألعب بالبنات، فقال : ما هذا يا عائشة ..؟

فقلت خيل سليمان . فضحك..^{١٩}

ويروي أن النبي إذا دخل عليها وهي تلعب فاستتر بثوبه منها..^{٢٠}

إن الرواة لم يكتفوا بتزويج الرسول طفلة لم تبلغ الحلم بل زادوا الطين بلة بإضافة روايات أخرى تؤكد أن الرسول تفاعل مع هذا الوضع واندمج فيه، وأخذ يلعب عائشة، تارة يجمع لها صواحبها، وتارة يستتر منها..

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا : هل يجوز مثل هذا الكلام في حق نبي

خاتم...؟

وهل كان لدى الرسول من الوقت ليلهو مع عائشة ..؟

١٩ - طبقات ابن سعد ج ٨

٢٠ - المرجع السابق.

أو السؤال الذي يجب أن يسبق هذه الأسئلة جميعاً : ما الذي يضطر الرسول إلى الاقتران بطفلة وأمامه نساء العرب ؟ ..
وأما هذه التساؤلات ليس إمامنا سوى أن نقرَّ بأن مثل هذه الروايات اخترعت من قبل السياسة، والهدف منها هو تضخيم عائشة ..
وتضخيم عائشة يعني تضخيم أبي بكر ..
وتضخيم أبي بكر يعني تضخيم خط الحكام الذين سادوا بعد وفاة الرسول (ص) والذين استمدوا شرعيتهم من نظام أبي بكر ..
وهذه اللعبة من أساسها هي من صنع معاوية الذي عجز عن إيجاد الدعم الشرعي لنظامه فعمل على تضخيم أبي بكر وعمر ليواجه بهما علياً وخطه ..
ولما كان أبو بكر وعمر كلاهما في حاجة إلى نصوص لدعمهما برز دور عائشة، وما دور عائشة ليرز دون أن تكون لها هذه المكانة التي خلقتها الروايات ..

ولو كان الفقهاء قد مالوا إلى جانب الرسول (ص) ورفضوا هذه الروايات لفقدت عائشة دورها ومكانتها ولكشفت لنا الحقيقة جلية واضحة، لكنهم اتبعوا الآباء وقدسوا ما ورثوه عنهم، وبالتالي رفعت عائشة على حساب الرسول، وأسهمت رواياتها في بناء الصرح القبلي الذي ساد بعد وفاة الرسول، والذي ورثه معاوية في النهاية ليفرض على الأمة ديناً ونهجاً جديداً غير الذي جاء به الرسول ..^{٢١}

عائشة ونساء النبي

يروى مسلم عن عائشة قولها : ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة
ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره
ربه أن يبشرها ببيت في الجنة وإن كان ليزبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها..^{٢٢}

وفي رواية أخرى قالت : فأغضبته يوماً فقلت خديجة ؟

فقال الرسول (ص) : «إني قد رزقت حبها»..^{٢٣}

وفي رواية قالت : وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدين
هلكت في الدهر فأبدلك الله خيراً منها..^{٢٤}

وفي رواية قالت : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة . . ؟

فيقول الرسول (ص) : «إنها كانت وكانت . وكان لي منها ولد»..^{٢٥}

أقوال الفقهاء حول هذه الروايات :

قال القسطلاني عن الغيرة : فيه - أي الحديث - ثبوت الغيرة . وأنها غير

مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلاً عن من دونهن..^{٢٦}

وقال ابن حجر : إن عائشة كانت تغار من نساء النبي وكانت تغار من

خديجة أكثر، وخلائلها جمع خليلة أي صديقة، وهي أيضاً من أسباب الغيرة لما

فيه من الإشعار باستمرار حبه لها حتى كان يتعاهد صواحباتها..^{٢٧}

٢٢ - باب فضل خديجة.

٢٣ - المرجع السابق.

٢٤ - المرجع السابق وانظر البخاري كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي خديجة.

٢٥ - أنظر البخاري.

٢٦ - فتح الباري ج ٧ / ١٣٦، وهامش مسلم طبعة استانبول، باب فضائل خديجة.

٢٧ - فتح الباري ج ٧ : ١٣٦

وقول الرسول (ص) إني قد رزقت حبها هو تصريح كافٍ من الرسول يبرر هذا الموقف العدائي من عائشة تجاه خديجة، وحين قالت عائشة للرسول إنها بديل خديجة الأفضل والخير، كان رده عليها حاسماً بقوله : لا والله ما أبدلني الله خيراً منها ، آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتمني إذ كذبني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء ..

وهذا الرد من الرسول لم يذكره البخاري ومسلم في رواياتهما التي انتهت بقول عائشة فأبدلك الله خيراً منها، وإنما ذكر في رواية أحمد وغيره ..
والبخاري ومسلم إنما قدما على سائر كتب الحديث لمثل هذا، فهما قد اختارا الروايات المبهمة والمبتورة فضلاً عن الروايات التي تضيي المشروعية على الخط القبلي الذي ساد بعد وفاة الرسول ..

وإذا كان مسلم قد احتضن بعض الروايات التي تخص أهل البيت والإمام علي خصوم هذا الخط، فإن البخاري أغلق الباب في وجهها تماماً ولعل هذا هو سبب تقديمه على مسلم وتسليط الأضواء عليه ..

وقول الرسول (ص) عن خديجة إنها كانت وكانت، هي رواية البخاري الذي رفض قبول الروايات الأخرى التي تفصل مآثر خديجة ومكانتها العالية واختار هذه الرواية المبهمة ..

قال القرطبي : كان حبه (ص) لها - أي لخديجة - لما تقدم ذكره من الأسباب - في رواية أحمد - وهي كثيرة كل منها كان سبباً في إيجاد المحبة .
ومما كافأ النبي به خديجة في الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها..^{٢٨}

وقول القرطبي هذا كما هو شأن سائر أقوال الفقهاء فيما يتعلق بحياة الرسول خاصة، إنما يهدف إلى تسطيح علاقة الرسول بخديجة وتفريغ هذه العلاقة من

مضمونها الحقيقي، وتصويرها بأنها علاقة شخصية بين رجل وامرأة، بين امرأة، مخلصة وهي خديجة، ورجل وفيّ هو الرسول (ص)..

احترم النبي خديجة وكبح جماح شهوته وعشقه للنساء طوال حياته حتى إذا ما مات أصبح يرتع في النساء، هكذا يصور لنا قول القرطبي ..

ولا شك أن مثل هذه الروايات إنما تقطع بأفضلية خديجة وعلو مقامها وأن عائشة لا توزن أمامها بشيء، وهذا هو سبب كراهيتها لها ..

يقول الرسول (ص) : «خير نسائها مريم . وخير نسائها خديجة»^{٢٩}..

ويقول (ص) على لسان جبريل عن خديجة : «اقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»^{٣٠}..

وقد أقرّ الفقهاء بهذا وأجمعوا عليه لوضوح الأمر وضح الشمس ولعدم وجود روايات تضاهيها في حق عائشة ..

إلا أن القوم تداركوا الأمر واخترعوا رواية مضحكة - وشرّ البلية ما يضحك - من أجل رفع مقام عائشة وتغطية مصائبها وآثامها التي سوف نعرض لها فيما بعد..

تقول الرواية : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون . وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام^{٣١}..

قال القاضي : فضل الثريد لسرعة استساغته والتذاذه وإشباعه وتقديمه على غيره من الأطعمة التي لا تقوم مقامه، وليس هو بنص في تفضيلها على مريم

٢٩ - البخاري باب تزويج النبي خديجة .

٣٠ - المرجع السابق، ومثله في مسلم .

٣١ - مسلم باب فضل خديجة ، والبخاري باب فضل عائشة .

وآسية، ويحتمل أن المراد نساء وقتها، وليس فيه أيضاً ما يشعر بترجيحها على فاطمة إذ يمكن أن يمثل فاطمة بما هو أرفع، وبالجمله يدل أن لعائشة فضلاً كثيراً على النساء لا على قوم النساء..^{٣٢}

وقال ابن حجر: وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد.. الخ، لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة، وقد أثار ابن حبان إلى أن أفضليتها التي يدل عليها هذا الحديث وغيره مقيدة بنساء النبي (ص) حتى لا يدخل فيها مثل فاطمة..^{٣٣} ويبدو من خلال هذه الأقوال إن الفقهاء يريدون إنتزاع فضيلة لعائشة غير أنهم يتخبطون في تحقيق المقارنة بينها وبين آسية ومريم وفاطمة ثم خديجة . وفي النهاية رجحوا كفتها على نساء النبي دون أن يستثنوا خديجة التي سبق الاجماع على أفضليتها وعظيم دورها ..

قال السبكي: ونساء النبي بعد خديجة وعائشة متساويات في الفضل، ولكن الذي نختاره وندين به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة..^{٣٤} ومثل هذا القول المتناقض إنما يعود سببه إلى تخبط القوم في الروايات الواردة في السيدة خديجة وفاطمة وعائشة وعدم محاولة تمييزها عن بعضها، فهم تحت ضغط السياسة يحاولون رفع عائشة وتلميعها رغم عدم وجود روايات صريحة في حقها ..

إلا أن الأمر الملفت للنظر هنا هو أن الرسول الذي أوتي جوامع الكلم لم يجد تعبيراً يعبر به عن فضل عائشة سوى مقارنتها بالطعام ..

٣٢ - مسلم هامش باب فضل خديجة.

٣٣ - فتح الباري ج ٧ / ١٠٧

٣٤ - المرجع السابق ج ٧ / ١٣٩

وهذا ادعى للشك في أن هذا القول منسوب للرسول، إذ أن تأمل الرواية من أولها يقود إلى اليقين أن جملة (فضل عائشة على النساء) الخ.. قد ألصقت بالرواية التي لا يظهر من نصها ما يفيد وجود ترابط في المعنى بين النص الخاص بمريم وآسية، والنص الخاص بعائشة..

وليس هنا مقام بحث أفضلية خديجة على عائشة وإنما ما نريد إثباته هو مواقف عائشة ومدى شرعيتها..

أما عن موقف عائشة من حفصة بنت عمر بن الخطاب زوجة النبي (ص) فيروى أن النبي كان إذا خرج أقرع بين نساءه فطارت القرعة لعائشة وحفصة وكان النبي إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث، فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك تنظرين وأنظري، فقالت: بلى، فركبت، فجاء النبي إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلم عليها ثم سار حتى نزلوا، وافتقدته عائشة، فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإذخر - نبات بري - وتقول: يا رب سلط علي عقرباً أو حية تلدغني، ولا أستطيع أن أقول شيئاً..^{٣٥}

وهذه الرواية تعكس لنا صورة أخرى من صور غيرة عائشة من نساء النبي إلا أن غيرتها هذه المرة قد دفعت بها نحو محاولة الانتحار بوضع رجليها في نبات تكثر فيه الهوام، وكل ذلك سببه أن حفصة استغفلتها وركبت بعيرها لتنعم وحدها بجوار الرسول..

وبالتأمل في مثل هذه الرواية يتبين لنا أن فيها استخفاف كبير بالعقل وبالرسول في آن واحد.

٣٥ - مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، والبخاري كتاب النكاح، باب القرعة بين النساء، وليس هناك ما يؤكد أن الرسول كان يصطحب النساء معه في الخروج.

إذ كيف لعائشة الغيرة أن تتسامح مع حفصة لهذا الحد وتعطيها بغيرها
لستأثر بالرسول وحدها..؟

وكيف للرسول لا يميز بين حفصة وعائشة وقد سلم عليها وسمع صوتها . . ؟
هل كشف الرسول أمر حفصة وأراد أن يتمادى معها في هذه اللعبة وهذا ما
أثار عائشة ودفع بها نحو محاولة الانتحار . . ؟
وحفصة وعائشة هما اللتان أفشيتا سر الرسول (ص) وتظاهرتا عليه ونزلت
فيهما آيات سورة التحريم . .

ويروى أن ابن عباس سأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي
اللتين قال الله تعالى فيهما : {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}
فقال عمر : هما حفصة وعائشة..^{٣٦}
وكان الرسول (ص) قد قرر اعتزالهما شهراً كاملاً من شدة موجدته - أي
ضيقه وغضبه - عليهما..^{٣٧}

ويروي مسلم والنسائي عن عائشة قالت : أرسلت أزواج النبي (ص) فاطمة
ابنته إليه فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي فأذن لها فقالت : يا رسول
الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألك العدل في ابنة أبي قحافة . وأنا ساكتة
- أي عائشة - فقال لها الرسول : أي بنية أأست تحيين ما أحب ؟
فقالت : بلى .

قال : فأحبي هذه - أي عائشة - فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من أبيها
ورجعت إلى أزواج النبي فأخبرتهن بالذي قال الرسول..

٣٦ - مسلم باب فضل عائشة، والنسائي كتاب عشرة النساء باب حب النساء، وفي رواية النسائي : ثم
أقبلت تشتمني فشتمتني، فاستقبلتها فلم ألبث أن أفحمتها.

٣٧ - أنظر شرح النووي لمسلم، وهامش طبعة استانبول، وطبقات ابن سعد.

فقلن لها ما نراك أغنيت عنا من شئ فارجعي إلى رسول الله فقول لي له إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة..

فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبداً، فأرسلن زوج النبي زينب بنت جحش وهي التي تساميني منهن في المنزلة - أي على مستوى جمالها وحسنها وحب الرسول لها - عند رسول الله . فاستأذنت - أي زينب - على الرسول وهو مع عائشة في مرطها على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها، فأذن لها الرسول فقالت : يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة . .

قالت عائشة : ثم وقعت بي فاستطالت علي وأنا أرقب رسول الله وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها، فلم تبرح زينب حتى عرفت أن الرسول لا يكره أن انتصر، فلما وقعت بها لم أنشئها حتى أنحيت عليها.. فقال الرسول مبتسماً إنها ابنة أبي بكر . .

وفي رواية أخرى : فلما وقعت بها لم أنشئها أن أثختها غلبة..^{٣٨} لقد أوقفنا هذه الرواية لنشاهد موقعة نسائية في بيت الرسول (ص) الذي يراقب أحداثها مبتسماً، ثم ينحاز في النهاية إلى صف عائشة ليس لشئ إلا لكونها ابنة أبي بكر، وقد حدد الرسول بهذا أن قيمة عائشة ومكانتها مستمدة من أبيها، فبسلطان أبيها فرضت نفسها على الرسول واستحوذت عليه وزادت من دلالها وعدوانها على بقية أزواج النبي، من أجل عيون أبي بكر مال الرسول لعائشة وظلم أزواجه . .

إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو :

٣٨ - أنظر مسلم كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن .

هل يتلاءم مثل هذا السلوك مع أدب النبوة . . ؟
وهل يمكن أن تكون زوجات النبي بمثل هذا الخلق . . ؟
هل من أدب النبوة أن لا يحترم النبي مشاعر زوجاته ولا يكلمهن أو يجيبهن
وهو مضطجع بجوار عائشة في مرطها (لحافها) لا يتحرك من مكانه . . ؟
ثم هو في النهاية يبارك فعل عائشة وسبها لزینب . . ؟
والغريب أن النسائي قبل أن يروي هذا الحديث جاء بحديث مناقض له على
لسان الرسول (ص) يقول : «من كان له امرأتان يميل لأحدهما على الأخرى جاء
يوم القيامة أحد شقيه مائل»^{٣٩} . .
ولسوف يرى القارئ في هذا الكتاب المزيد من عجائب الرواة والفقهاء
الذين أجمعوا أن ميل الرسول لعائشة إنما هو أمر قلبي والقلوب بيد الله تعالى . .
قال النووي : قولها يسألك العدل معناه يسألك التسوية بينهما في محبة
القلب وكان (ص) يسوي بينهما في الأفعال والمييت ونحوه، أما محبة القلب
فكان يحب عائشة أكثر منهن وأجمع المسلمون على أن محبتهم لا تكليف فيها
ولا يلزمه التسوية فيها لأنه لا قدرة لأحد عليها إلا الله سبحانه^{٤٠} . .
والنوي بقوله هذا إما أنه ساذج أو يستغفلنا، لأن الرواية من أساسها تتهم
الرسول بعدم التسوية بين أزواجه في الأفعال والمييت وهو ما سبب هذا الصدام
بين زينب وعائشة . . وكأن النووي يريد أن يؤكد لنا أن سبب ثورة أزواج النبي
هو غيرتهم من ميل الرسول بقلبه نحو عائشة وهو تأكيد تدحضه الروايات التي
تؤكد أن عائشة هي معشوقة الرسول الوحيدة . .
ومن زينب إلى أم سلمة ومثال جديد لتطرف عائشة في حضرة
الرسول (ص) . .

٣٩ - كتاب حب النساء، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض، وانظر ابن ماجه باب القسمة
بين النساء، ويذكر أن الراوي هنا هو أبو هريرة.
٤٠ - مسلم، هامش باب فضل عائشة.

يروى أن أم سلمة زوج النبي (ص) أرسلت بقصعة فيها طعام إلى الرسول وهو عند عائشة، فضربت عائشة يد الرسول فسقطت القصعة فانكسرت . فجعل النبي يجمع بين فلقتي القصعة وهو يقول : «غارت أمكم»..^{٤١}
وفي رواية أخرى : فجاءت عائشة متزرة بكساء ومعها فهر - حجر - ففلقت به الصحيفة . أي القصعة..^{٤٢}

ومثل هذا التصرف العدواني على رسول الله (ص) عده الفقهاء من باب الغيرة المسموح بها ولم يشغلوا أنفسهم ببحث مدى شرعية..
هذا التصرف الذي حدث على ما يظهر من الرواية على الملأ في حضور جمع من الصحابة وهم الذين خاطبهم الرسول بقوله : " غارت أمكم "..
وقد علق أحد الفقهاء على هذه الرواية ببحث لغوي في معنى الكسرتين وأنهما بمعنى الفلقتين، وكان الرسول قد عوض أم سلمة بقصعة جديدة، فكان تعليقه هو : الظاهر أن القصعتين كانتا ملكاً له (ص) وفعله كان لإرضاء من أرسلت الطعام وإلا فضمان التلف يكون بالمثل وهو ههنا القيمة إلا أن يقال القصعتان كانتا متماثلتين في القيمة بحيث كان كل منهما صالحة أن تكون بدلاً للأخرى والله تعالى أعلم..^{٤٣}
وهكذا تحول الأمر إلى قضية فقهية وسلطت الأضواء على القصعة ومدى الضرر الذي لحق بصاحبته نتيجة لكسرها ونسي الرسول..

٤١ - النسائي، كتاب عشرة النساء، باب الغيرة.

٤٢ - المرجع السابق.

٤٣ - حاشية السندي؛ هامش المرجع السابق.

ولم ينحصر دور عائشة في محيط مشاكسة زوجات النبي والحط من قدرهن، بل تجاوز هذا الحد إلى محاولة تقويم نساء النبي وتحديد مكانتهن وقدرهن بما لا يصبدم مع مكانتها العالية بالطبع ..

تروي عائشة خلافاً ما أعطيتها امرأة: ملكني رسول الله (ص) وأنا بنت سبع سنين، وأتاه الملك بصورتي في كفه فنظر إليها وبنى لتسع سنين، ورأيت جبريل ولم تره امرأة غيري، وكنت أحب نساءه إليه، وكان أبي أحب أصحابه إليه، ومرض رسول الله في بيتي فمرضته، فقبض ولم يشهده غيري والملائكة..^{٤٤} وفي رواية أخرى: ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل الله براءتي من السماء، وكنت اغتسل أنا وهو من إناء واحد، ولم يصنع ذلك بأحد من نساءه غيري، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نساءه غيري، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نساءه غيري..^{٤٥}

وبهذه الرواية تسعى عائشة إلى تأكيد أفضليتها على نساء النبي بل على النساء أجمعين، فمن ثم فإن لغتها هي لغة استعلاء نابعة من المقام الذي صورته لنفسها وملكت به صلاحية نقد وتقويم نساء النبي..

وإذا كنا قد ناقشنا سابقاً مسألة سن عائشة وتاريخ ارتباطها بالرسول، ومسألة أفضلية خديجة عليها وأنها أحب النساء إلى النبي لا عائشة، فبهذا تكون عائشة قد فقدت ميزتين من ميزات القوامه التي تدعيها لنفسها، وبقيت ميزة رؤية جبريل ومكانة أبيها عند الرسول ومرضه في بيتها. وهذه ادعاءات تدحضها روايات أخرى ..

أما مسألة رؤيتها لجبريل فهو أمر لم يصح ولم يقل به أحد من الفقهاء، والكل مجمع أن شخص جبريل لم تتح رؤيته إلا لرسول الله وحده ..

٤٤ - طبقات ابن سعد ج ٨ ترجمة عائشة.

٤٥ - المرجع السابق.

٨٦..... دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

وأما مسألة مكانة أبيها فالكف الهائل من الروايات الواردة في الإمام علي (ع) تؤكد أنه صاحب المقام العال والمكانة من الرسول لا أبو بكر..
وقد شهدت عائشة بذلك ..

روي أن أبا بكر استأذن على النبي (ص) فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول : والله لقد علمت أن علياً أحب إليك من أبي..^{٤٦}

أما مسألة مرض الرسول (ص) ووفاته في بيته وعلى صدرها فهناك روايات أخرى تؤكد أن الرسول حال مرضه كان في رعاية علي ومات بين يديه ..

روي : قبض رسول الله ورأسه في حجر علي..^{٤٧}

وروي «توفي رسول الله (ص) ورأسه في حجر علي وغسله علي والفضل محتضنه»..^{٤٨}

وسئل ابن عباس أن عائشة تقول : توفي رسول الله بين سحري ونحري، فقال: أتعقل؟ والله لتوفي رسول الله وإنه لمستند إلى صدر علي وهو الذي غسله وأخي الفضل بن عباس^{٤٩} ..

وفيما يتعلق ببراءة عائشة من السماء في حادثة الإفك التي ارتبطت بغزوة بني المصطلق فمن حيث التحقيق التاريخي هناك شك في ارتباط عائشة بهذه الحادثة..^{٥٠}

٤٦ - رواه أحمد وأبو داود والنسائي، أنظر فتح الباري ج ٢٧.

٤٧ - ابن سعد ج ٢. باب ذكر من قال توفي رسول الله في حجر علي.

٤٨ - المرجع السابق.

٤٩ - المرجع السابق.

٥٠ - قيل إن المقصود بحادثة الإفك مارية القبطية . أنظر تفاصيل الحادثة في سيرة ابن هشام ح ٣ غزوة المصطلق وخبر الإفك، وانظر المراجع التاريخية الأخرى.

أما ما ادعته عائشة من مميزات أخرى مثل اغتسالها مع الرسول في إناء واحد ونزول الوحي في لحافها واعتراضها صلاة الرسول وهي نائمة فذلك سوف نعرض له فيما بعد ..

تقول عائشة عن سودة بنت زمعة زوج النبي (ص) : ما من الناس امرأة أحب إليّ أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة إلا أنها امرأة فيها حسد..^{٥١}
وتقول : وددت أن كنت استأذنت رسول الله (ص) كما استأذنته سودة فأصلي الصبح بمنى قبل أن يجرى الناس، فقالوا لعائشة : استأذنته سودة ؟

فقلت : نعم . إنها كانت امرأة ثقيلة ثبطة فأذن لها..^{٥٢}
وتقول عن أم سلمة : لما تزوج رسول الله (ص) أم سلمة حزنت حزناً شديداً لما ذكروا لنا من جمالها، قالت : فتلطفت لها حتى رأيته، فرأيتها والله أضعاف ما وصفت لي في الحسن والجمال، قالت : فذكرت ذلك لحفصة - وكانتا يدا واحدة - فقالت : لا والله إن هذه إلا الغيرة، ما هي كما تقولين، فتلطفت لها حفصة حتى رأيته، فقالت : قد رأيته، لا والله ما هي كما تقولين ولا قريب وإنها لجميلة، قالت - أي عائشة - : فرأيتها بعد فكانت لعمري كما قالت حفصة ولكنني كنت غيرة..^{٥٣}

وتروي عائشة : دعيتني أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي (ص) عند موتها فقالت : قد كان يكون بيننا وبين الضرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت : غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحللك من ذلك..^{٥٤}

٥١ - ابن سعد ج ٨ / ترجمة سودة.

٥٢ - المرجع السابق.

٥٣ - المرجع السابق. ترجمة أم سلمة.

٥٤ - ابن سعد ج ٨ ترجمة أم حبيبة.

وتقول عن زينب بنت جحش : لم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب، ما
عدا سورة من حدة وكانت فيها تسرع..^{٥٥}

وتقول عن زينب وأم سلمة : كانت زينب وأم سلمة لهما عنده مكان، وكانتا
أحب نساءه إليه فيما أحسب بعدي..^{٥٦}

ويروى أن عائشة لما رأت صفية بنت حيي زوج النبي - وكانت يهودية من
سبي خيبر - قال لها رسول الله (ص) : « كيف رأيته يا عائشة » .. ؟
قالت : رأيته يهودية .

قال الرسول : « لا تقولي هذا فإنها قد أسلمت »..^{٥٧}

ومن هذه الروايات وغيرها يتبين لنا أن عائشة لم تكن مجرد زوجة
للنبي (ص) وإنما كانت بالإضافة إلى ذلك امرأة مهيمنة متدللة متعالية استحوذت
على الرسول وتحدث بلسانه واطلقت لسانها في نساءه، كما يتبين لنا أن
الرسول (ص) راضٍ عن هذا الوضع وسعيد به، وبدا وكأنه لا يجرؤ على التصدي
لها ومقاومتها بسبب عشقه البالغ لها ..

٥٥ - مسلم باب فضل عائشة.

٥٦ - ابن سعد ج ٨ ترجمة زينب بنت جحش.

٥٧ - المرجع السابق ترجمة صفية بنت حيي.

عائشة والنبي

وكما صورت لنا الروايات السابقة أطراف من حال عائشة مع نساء النبي سوف نعرض هنا لروايات أخرى تعرض لحالها مع النبي (ص) وما كان يبدر منها من مواقف وسلوكيات في حضرته وداخل بيته . .

يروى أن رسول الله (ص) كانت له أمة يطأها فلم تنزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه . فأنزل الله عز وجل { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ } إلى آخر الآية..^{٥٨}

ويروى أن عائشة قالت : التمس رسول الله (ص) فأدخلت يدي في شعره فقال : قد جاءك شيطانك . فقلت : أما لك شيطان ؟ فقال : بلى ولكن الله أعانني عليه فأسلم..^{٥٩}

الرواية الأولى : تكشف لنا حقيقة هامة حول علاقة الرسول بعائشة فلو كانت هي حقيقة حب رسول الله ومعشوقته ما انصرف عنها نحو جارية . .
والرواية الثانية : تكشف شيئاً من عدم الأدب واللياقة مع الرسول، فهي فضلاً من كونها رواية فاضحة وغير لائقة لا بالرسول ولا بعائشة يشم منها رائحة الندية والتحدي من قبل عائشة للرسول . وهو ما يستفاد من رد عائشة على الرسول : أما لك شيطان..؟

يروى عن عائشة قالت : قال لي رسول الله (ص) : « إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبي » .
قالت : من أين تعرف ذلك..؟

٥٨ - النسائي كتاب عشرة النساء . باب الغيرة .

٥٩ - المرجع السابق .

فقال : « أما إذا كنت راضية فإنك تقولين : لا ورب محمد . وإذا كنت غضبي قلت : لا ورب إبراهيم " . قالت : قلت : أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك »^{٦٠}.

وما تشير إليه هذه الرواية هو أخطر وأكثر حرجاً مما أشارت إليه الروايات السابقة، فقد وصل الغضب من الرسول بعائشة إلى ارتكاب كبيرة من الكبائر، وهي كبيرة التفريق بين رب إبراهيم ورب محمد، وهي إثارة إلى كون غضبها على محمد قد يمتد إلي رب محمد، وأيُّ دلالة تعطينا مقالة عائشة : ما أهجر إلا اسمك، إن هجران اسم الرسول هجران لدينه ودعوته.

فهل تصل الغيرة بعائشة إلى الحد الذي يضعها في دائرة هذا الحرج الشرعي . . ؟

وكيف للرسول أن يقبل هذا الوضع ويباركه . . ؟

تأمل نقل النووي : قال القاضي : مغاضبة عائشة للنبي (ص) هي مما سبق من الغيرة التي عفى عنها للنساء في كثير من الأحكام لعدم انفكاكهن منها، حتى قال مالك وغيره من علماء المدينة - يسقط عنها الحد إذا قذفت زوجها بالفاحشة على جهة الغيرة - واحتج بقول الرسول : «ما تدري الغيرة أعلى الوادي من أسفله». ولولا ذلك لكان على عائشة في ذلك من الحرج ما فيه لأن الغضب على النبي وهجره كبيرة عظيمة ولهذا قالت : لا أهجر إلا اسمك، فدل على أن قلبها وحبها كما كان، وإنما الغيرة من النساء لفرط المحبة^{٦١}.

وقال آخر : في هذا الحديث حكم بالقرائن لأنه (ص) حكم برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها اسمه الشريف وسكوتها، واستدل على كمال فطنتها وقوة

٦٠ - البخاري كتاب النكاح . باب غيرة النساء ووجدهن . ومسلم باب فضل عائشة.

٦١ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج ٣ / ١٤١

ذكائها بتخصيصها إبراهيم (ع) دون غيره، لأنه (ص) أولى الناس به كما في التنزيل، فلما لم يكن لها بد من هجر اسمه الشريف أبدلته بمن هو منه بسبيل حتى لا تخرج عن دائرة التعلق بالجملة..^{٦٢}

وقال ثالث : والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك : هذا الحصر في غاية من اللطف في الجواب لأنها أخبرت أنها إذا كانت في غاية من الغضب الذي يسلب العاقل اختياره لا يغيرها عن كمال المحبة المستغرقة ظاهرها وباطنها الممتزجة بروحها، وإنما عبرت عن الترك بالهجران لتدل به على أنها تتألم من هذا الترك الذي لا اختيار لها فيه..^{٦٣}

وهذه التبريرات والمناهات التي أوقعنا فيها أمثال هؤلاء الفقهاء ليست إلا محاولة للدفاع عن عائشة وتحسين صورتها وحمل تصرفها على المحمل الحسن، وليست محاولة للدفاع عن الرسول، لأن الدفاع عن الرسول يعني التشكيك في هذه الروايات وهو أمر غير مستحب في عرف الفقهاء ..
تروي عائشة : فقدت رسول الله (ص) ذات ليلة فظننت أنه ذهب إلى بعض نساءه فتجسسته فإذا هو راکع أو ساجد..^{٦٤}

وتروي : كانت ليلة والنبي (ص) عندي انقلب فوضع نعليه عند رجليه ووضع رداءه وبسط طرف إزاره على فراشه فلم يلبث إلا ريثما ظن أنني قد رقدت، ثم انتعل رويدا أو أخذ رداءه رويدا ثم فتح الباب رويدا وخرج، فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري، فانطلقت في إثره حتى جاء البقيع فرفع يديه ثلاث مرات وأطال، ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت فهرول فهرولت فأحضر فأحضرت..

وسبقته فدخلته فليس إلا أن اضطجعت . فدخل فقال: «ما لك يا عائشة؟»
قالت : لا..

٦٢ - اللؤلؤ والمرجان ج ٣ / ١٤٠

٦٣ - المرجع السابق.

٦٤ - النسائي، باب الغيرة كتاب عشرة النساء.

قال : «لتخبرني أو ليخبرني اللطيف الخبير». فأخبرته الخبر . قال : «أنت السواد التي رأيته أمامي»؟ قالت : نعم، قالت : فلهديني في صدري لهدية أوجعتني ..

ثم قال : «إن جبريل أتاني ولم يكن ليدخل عليك وقد وضعت ثيابك» وأمرني أن آتي أهل البقيع فأستغفر لهم..^{٦٥}

والطريف أن السندي وهو يعلق على هذين الحديثين لم يتطرق إلى مقاصدهما بل انغمس في معاني الألفاظ وأسرف في شرح المفردات، في الوقت الذي تجنب فيه السيوطي ذكر أي شيء عن هاتين الروايتين..^{٦٦} وهما بهذا المسلك يتعاملان مع هذه الروايات على أساس كونها من الثوابت والنصوص الصحيحة المسلم بها .

وهذا موقف طبيعي من قوم طرحوا العقل جانبا وتعبدوا بأقوال الرجال . . ونحن من باب الدفاع عن الرسول (ص) نستنكر مثل هذه الروايات مثلما نستنكر مثل هذا السلوك من عائشة . .

ولقد وضع كتاب الأحاديث هذه الروايات تحت عنوان الغيرة وهم بهذا قد موهوا على حقيقة هذه المواقف والسلوكيات التي تطفح بها هذه الروايات، وكان الأجدر بهم أن يضعوها تحت باب الشك، فمثل هذا السلوك من عائشة لا يشير إلا لذلك، الشك في خلق الرسول، والشك في عدله (ص) . .

إن عائشة بمثل هذه السلوكيات بدا وكأنها تؤكد أنها تعيش رجلاً عادياً لا رسول خاتم، ومن جهة أخرى فقد صورت هذه الروايات الرسول وكأنه لا شغل له سوى النساء..^{٦٧}

٦٥ - المرجع السابق.

٦٦ - أنظر النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي باب الغيرة ج ٧ / ٧٤

وكأنّ النساء هن عائشة، وعائشة هي النساء .
إن العقل لا يقبل أن تكون هناك امرأة تتحدث عن علاقتها بزوجها بمثل
هذه الطريقة الفاضحة فضلاً عن زوجة نبي . .
ونحن في مواجهة هذه الروايات بين أمرين :
إما أن نرفضها ..
وإما أن نتهم عائشة بالوضع على الرسول . .
والأمر الأول: سوف تكون نتيجته هي راحة العقل واستقامة التصور . .
والأمر الثاني: نستبعده مؤكدين أن هذه الأحاديث دسّت على عائشة بفعل
السياسة . .
وإذا كانت الرواية الثانية قد نصت على قول الرسول (ص) : "أتاني جبريل
ولم يكن ليدخل عليك وقد وضعت ثيابك" . .
فكيف ينسب إلى الرسول قوله : "لا تؤذين في عائشة، فإنه والله ما نزل علي
الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها" ٦٨..
أليس هناك تناقض بين الروایتين؟..
جبريل في الرواية الأولى يستحي أن يدخل على النبي وقد وضعت عائشة
ثيابها فيضطر النبي إلى الخروج من البيت . .
وفي الرواية الثانية يقتحم عليه لحافه وهو مع عائشة . .
إن مثل هذا الموقف إنما يدفع بنا إلى شك في هذه الروايات وبواعثها لا أن
يدفع بنا إلى محاولة التوفيق بينهما كما صنع الفقهاء من أجل تبديد الشبهات من
حولها ٦٩..

٦٧ - يروي القوم على لسان الرسول (ص) قوله: «حب إلي من الدنيا النساء والطيب». ويروي أنس
خادم الرسول لم يكن شئ أحب إلي رسول الله بعد النساء من الخيل، أنظر النسائي كتاب عشرة
النساء.

٦٨ - البخاري، باب فضل عائشة.

٦٩ - أنظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة.

يدفع بنا إلى تحكيم القرآن والعقل في جميع ما أسند إلى الرسول من أقوال وأفعال على لسان عائشة وغيرها ..

تروي عائشة : أن رجلاً سأل الرسول (ص) عن رجل يجمع أهله ثم يكسل - أي لا ينزل بسبب ضعف أو غيره - هل عليهما غسل وعائشة جالسة . فقال الرسول : "إني لا فعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل" ..^{٧٠}

وهذه رواية أخرى من الروايات الفاضحة على لسان عائشة تكشف فيها علاقتها الجنسية بالرسول (ص) على الملأ ..

وهل يعقل أن يتحدث الرسول عن حياته الجنسية مع زوجته بهذه الصورة..؟
إن رواية ذلك الكم من الأحاديث التي تتعلق بالحياة الخاصة للرسول على لسان عائشة من دون بقية أزواج النبي أمر مثير للشك، خاصة وأنها أصغر زوجاته بل هي بالقياس إلى بعض أزواجه تعتبر بنتاً من بناتهن، وبالطبع ينبغي على مسألة السن هذه مسائل أخرى مثل انعدام الخبرة وقلة الوعي..

فكيف تحقق لها رصد كل هذه الروايات ونقلها عن الرسول .. ؟
وإذا كان الرسول قد خصها بعلاقة متميزة كما يقولون فإن هذه يعني أن الرسول لم يكن عادلاً مع بقية أزواجه ..
ومن جهة أخرى فإن عائشة تؤكد لنا أن الجنس كان هو المدخل والدافع الذي جعل الرسول يتعلق بها ويورثها هذا العلم فهل يقبل مسلم أن يكون رسوله بهذه الصورة .. ؟

يروى ابن هشام أن عائشة كانت تنام على العجين فتأتي الشاة فتأكله..^{٧١}

٧٠ - مسلم، كتاب الطهارة.

٧١ - سيرة ابن هشام ج ٣ . غزوة بني المصطلق . خبر الإفك.

وهذه الرواية تبين لنا أن عائشة بالإضافة إلى شغلها بالجنس كانت مشغولة بما تشغل به النساء في البيوت من أمر الطعام وخلافه، وهي هنا قد أهملت العجين ونامت فأكلته الشاة، وسبب هذا الإهمال يعود إلى صغر سنها وقلة إدراكها ..

وقد تفوق أبو هريرة على عائشة في أمر الرواية والتي أنكرت عليه فأجاب :
يا أماء إنه كان يشغلك عن رسول الله المرأة والمكحلة..^{٧٢}

تروي عائشة : أن رسول الله (ص) لما كان في مرضه جعل يدور على نساءه ويقول : " أين أنا غدا ؟ " حرصا على بيت عائشة . قالت عائشة : فلما كان يومي سكن..^{٧٣}

وهكذا تثبت لنا عائشة أن العشق خير دواء حتى مع الأنبياء، وأن الرسول وهو في مرض الموت لم يكن في مخيلته سوى عائشة، وكان يعيش معها حتى وهو مع زوجاته اللاتي لم يحققن له السكن والراحة..

فإذا كن زوجات النبي بهذه الحالة فلماذا تزوجهن الرسول على عائشة..
وكيف لرسول خاتم يودع أمته ينشغل بامرأة ويهمل واجبه نحو دعوته ؟
وكيف للرسول وهو في حالة مرضية شديدة - كما تصور الروايات - يفكر في عائشة ولا يفكر في الله ومستقبل الدعوة .. ؟
لقد سكن الرسول إلى جوار عائشة ولم يسكن إلى جوار جبريل أو فاطمة ابنته أو علي ربيبه ..

٧٢ - رواه الحاكم في المستدرک ج ٣/٥٠٩ ونصه : ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنك تحدث بها عن النبي (ص) هل سمعت إلا ما سمعنا ؟ ورأيت إلا ما رأينا قال أبو هريرة : يا أماء إنه كان يشغلك .. الحديث.

٧٣ - البخاري، باب فضائل عائشة.

إننا نقف في مواجهة حالة مرضية من صنّاع الأحاديث الذين سعوا في تضخيم عائشة فجاء هذا التضخيم على حساب النبي والدين وعلى حساب عائشة ذاتها التي تصورها هذه الروايات امرأة غير سوية تتأرجح شخصيتها ما بين الحسد والسفه ..

لقد فات أولئك الصنّاع الذين أرادوا تضخيم عائشة أن عصمة النبي وخلقه العظيم يتنافى مع مثل هذه الأحاديث والمواقف الفاضحة، وهم إن كانوا قد ضربوا عصمة النبي بروايات تدعم رؤيتهم فقد فاتهم أن الفطرة السليمة تأبى هذا، وإن كان العقل المسلم قد سلم بهذه في الماضي فلن يقبله في الحاضر..^{٧٤} وكان من الممكن لأولئك إذ أرادوا تجميل عائشة أن يأخذوا جانبا آخر غير جانب الجنس والشهوة والهوى، فمثل هذه الأمور الثلاثة قد تتلاءم مع عائشة لكنها لا تتلاءم بحال مع الرسول (ص) ..

تروي عائشة كان النبي (ص) يباشرني وأنا حائض، وكان يخرج رأسه من المسجد وهو معتكف فأغسله وأنا حائض..^{٧٥}

وتروي: كان النبي (ص) يتكئ في حجري وأنا حائض . ثم يقرأ القرآن..^{٧٦}
يقول النووي: وأما أحكام هذا الباب فأعلم أن مباشرة الحائض أقسام:
أحدها: أن يباشرها بالجماع في الفرج وهو حرام .

٧٤ - سوف نعرض لهذه الروايات في الباب القادم.

٧٥ - مسلم كتاب الحيض، والبخاري كتاب الاعتكاف، وانظر النسائي كتاب الطهارة باب مضاجعة الحائض .

٧٦ - مسلم والبخاري كتاب الحيض .

والقسم الثاني: المباشرة فيما فوق السرة وتحت الركبة بالذكر أو بالقبلة أو بالمعانقة أو اللمس أو غير ذلك وهو حلال باتفاق العلماء .

والقسم الثالث: المباشرة فيما السرة والركبة في غير القبل والدبر وفيها ثلاثة أوجه لأصحابنا أصحابها وأشهرها أنها حرام..^{٧٧}
وكما هي عادة الفقهاء استثمر النووي وغيره روايات الحيض عن عائشة وعمل على استنباط أحكاما فقهية منها، وكأنه يقول للمسلمين افعلوا مثل ما فعل الرسول مع عائشة أثناء حيضها..

ولكن السؤال هنا هو : هل فعل الرسول ذلك حقاً ؟
وهل بلغت به الشهوة مبلغها إلى الدرجة التي تجعله لا يطيق صبراً فيواقع عائشة في المحيض .. ؟
وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يضطر الرسول إلى مواجهة امرأة حائض وعنده أخريات خارج دائرة الحيض .. ؟
وهناك رد جاهز للفقهاء على مثل هذه التساؤلات وهو أن الرسول يريد أن يعلم أمتة ويضع أحكاماً لمواجهة حاجات الناس ومشاكلها فيما يتعلق بالعلاقة بين الزوج والزوجة ..

والجواب ببساطة نص عليه القرآن بقوله تعالى : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ }.

ولا شك أن الرسول (ص) قد طبق الاعتزال وانضبط بنص القرآن مما يدعونا إلى شك في مثل هذه الروايات ..

إن مثل هذا السلوك تجاه الزوجة الحائض من الممكن أن يلصق بعامة الناس، وليس من الممكن أن يلصق بالرسول لأنه هو الذي يبلغ القرآن ويبينه للناس وهو أولى الناس بالالتزام بنصوصه ..

٧٧ - شرح النووي على مسلم كتاب الحيض.

وهناك رد آخر على هذا الكلام وهو أن الرسول يملك القدرة على التحكم في شهوته فهو لن ينزلق إلى جماع فعلي مع زوجته الحائضة، أما الآخرون فيمكن أن ينزلقوا ويقعوا في الحرام وهذا الرد اعتمد على قول عائشة : وأيكم يملك أربه كما كان النبي يملك أربه..^{٧٨} ؟

والجواب : إن مثل هذا الكلام يوحى بأن حكم اعتزال النساء في المحيض إنما هو خاص بالمسلمين لا بالرسول، وهذا باطل، وإذا ما سلمنا به فما هي الحاجة من سرد مثل هذه الروايات عن علاقة النبي بالنساء أثناء المحيض..؟ وإذا كانت الحاجة هي تعليم كما يقولون فهذا يعني أن الآخرين يستوون مع الرسول في القدرة على التحكم في أنفسهم أثناء الممارسة الجنسية، وعلى هذا الأساس يصبح قول عائشة لا مبرر له ..

وتروي عائشة : كنت أفرك المني من ثوب رسول الله (ص)..^{٧٩}
وتروي : أن الرسول (ص) كان يغسل المني ثم يخرج إلى الصلاة في ذلك الثوب وأنا أنظر إلى أثر الغسل فيه..^{٨٠}

وتروي عائشة : كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله (ص) وأقول : اتهب المرأة نفسها..؟
فلما أنزل الله تعالى { تَرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي مَن تَشَاءُ } قلت ما أرى ربك إلا يسارع في هواك^{٨١} ..

٧٨ - البخاري ومسلم كتاب الحيض .

٧٩ - مسلم كتاب الطهارة باب حكم المني .

٨٠ - المرجع السابق .

٨١ - مسلم كتاب الرضاع، والبخاري كتاب التفسير، سورة الأحزاب .

قال النووي : قولها كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن معناه أعيب لأن من غار عاب، ويدل عليه قولها في الآخر أما تستحي أن تهب المرأة نفسها للرجل وهو ها هنا تقييح وتنفير لئلا يهب النساء أنفسهن له (ص) فيكثر النساء عنده وأوجب هذا القول منها الغيرة ..

وقولها: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، معناه يخفف عنك ويوسع عليك الأمور ولهذا خيرك..^{٨٢}

وذكر الأبي عن القرطبي : أن هذا الكلام أبرزته الغيرة والدلال وإلا فإضافة الهوى لرسول الله مباعد لما يجب على الخلق من تعظيمه وتوقيره فإنه (ص) منزّه عن الهوى ولو أبدلت بالرضا كان أولى..^{٨٣}

ويبدو من خلال كلام النووي والقرطبي أنهما يشعران بمدى ما يشكله قول عائشة في حق الرسول من حرج شرعي لها ، فمن ثم هما سلكا نهج التأويل لكلامها والتبرير لسلوكها وهو النهج الذي تقوم على أساسها عقيدة أهل السنة، وهما بذلك قد التزما بإجماع الفقهاء تجاه روايات عائشة عن الحياة الخاصة للرسول (ص)، على أن هذه الروايات بما تحمل من مواقف وسلوكيات إنما تحمل على الغيرة لا على أي شيء آخر ..

إلا أن العقل يصطدم بمثل هذه التأويلات والتبريرات التي لا تخرج عن كونها مجرد محاولة للتغطية على هذه الروايات، والتغطية على عائشة في نفس الوقت ..

وإن النظر إلى مثل هذه الروايات بمنظور عصمة الرسول وخلقه العظيم ودوره الرسالي العالمي يبددها ويحكم بطلانها، أما النظر إليها بالمنظور المشوه

٨٢ - مسلم، هامش كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها.

٨٣ - المرجع السابق.

١٠٠.....دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

لشخص الرسول الذي ابتدعه الفقهاء فإنه يؤدي إلى تثبيتها وتبريرها كما هو الحال مع قول عائشة : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك ..

ومثل هذا القول يشير إلى خلل في عقيدة عائشة وفي خلقها وأدبها مع الرسول، فكلمة : ما أرى ربك.. فيه دلالة على عدم الرضا بحكم الله وكان رب الرسول غير ربها، وهذا الموقف منها يتشابه مع موقفها السابق مع الرسول والذي فرقت فيه بين رب إبراهيم ورب محمد، وكأنها تقول إن الوحي مسخر لهوى الرسول، وهو قول لا يصح في حق النبي من زوجته التي من المفروض أن تكون على قدر عال من الضبط والربط والخلق والوعي بدوره ورسالته..

ومن خلال هذا الكم من الروايات التي عرضناها عن علاقة عائشة بالرسول تلك الروايات التي تلقي الضوء على تاريخها مع الرسول يمكن أن يتحدد بوضوح ما إذا كان لعائشة دور في واقع الدعوة أم لا..؟

والحق أن هذه الروايات الخاصة بعائشة والتي روتها هي عن نفسها وعن الرسول ليس فيها ما يدعم موقفها ويبيض وجهها..

هذه الروايات تكشف أن عائشة كان لها دورٌ واحدٌ ومحدودٌ وهو دور محظية الرسول (ص)..

وإذا ما تبين لنا أن حجم الدور والتبعة الملاقة على عاتق الرسول الخاتم لا يتلاءم مع ما تدعيه عائشة وتلصقه به من ممارسات ومواقف هي أقرب إلى سلوكيات المراهقين، أمكن لنا أن نحكم أنه حتى دور المحظية فيه شك وهو للوضع أقرب ..

يروى : كان للنبي (ص) تسع نسوة وكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع فكن يجتمعن في كل ليلة في بيت التي يأتيها، فكان في بيت عائشة فجاءت زينب فمد يده إليها، فقالت : هذه زينب، فكف النبي يده. فتناولتا حتى استبَّتا وأقيمت الصلاة، فمر أبو بكر على ذلك فسمع أصواتهن فقال : أخرج

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
١٠١

يا رسول الله إلى الصلاة وأحث في أفواههن التراب، فخرج النبي فقالت عائشة: الآن يقضي النبي صلاته فيجئ أبو بكر فيفعل بي ويفعل، فلما قضى النبي صلاته أتاها أبو بكر فقال لها قولاً شديداً وقال أتصنعين هذا..^{٨٤}

وهذه الرواية تتشابه في موضوعها مع رواية محاولة عائشة الانتحار فهناك استبدلت بغيرها مع حفصة برضاها ثم نقت عليها، وهنا اتفقت مع زوجات النبي على الاجتماع في بيت صاحبة النوبة أو الليلة التي سوف يبيتها الرسول معها ولما جاء الدور عليها نقت وحسدت، وما أن مس الرسول زينب باعتبارها عائشة حتى صاحت عائشة لتنبه الرسول فغضبت زينب واشتكت في معركة كلامية مع عائشة، وارتفعت الأصوات في بيت النبي الذي لم يكن له علم بهذه المؤامرة النسوية ..

وما يعيننا من هذه الرواية هو كشف مكانة عائشة ودورها في حياة الرسول (ص) وهو ما أوضحه لنا موقف أبيها العنيف من موقفها وسلوكها، فهذا الموقف إن دل على شيء فإنما يدل على أن عائشة كانت زوجة مشاغبة للرسول ولزوجاته مما كان يتطلب تدخل أبيها لنهرها ووقفها عند حدها، وهذا فيه إشارة إلى عدم تفرغ النبي لمثل هذه الأشياء الصغيرة إذ أن الزوج عادة يتكفل بتأديب زوجته إذا ما خرجت عن حدود الأدب ..

ومثل هذا الموقف صدر من أبي بكر تجاه عائشة حين دخل عليها ووجدها ترفع صوتها على الرسول قائلة : والله إنني لأعلم أن عليا أحب إليك من أبي .. ومثله أيضاً صدر من عمر حين قرر الرسول تطليق عائشة وحفصة لكثرة مشاكلهما وهو ما نزلت بسببها آيات سورة التحريم..

٨٤ - مسلم، كتاب الرضاع، باب القسم بن الزوجات.

قال عمر : يا بنت أبي بكر قد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله، وقال لحفصة نفس ما قال لعائشة غير أنه أضاف : والله لقد علمت أن رسول الله لا يحبك ولولا أنا لطلقك..^{٨٥}

وفي رواية أخرى فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ - يطعن - عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها..^{٨٦}

وفي سبيل خدمة الخط القبلي الذي ساد بعد وفاة الرسول (ص) والذي وضع حجر أساسه أبو بكر وعمر وأنتج في النهاية الخط الأموي الملكي الذي ساد واقع المسلمين حتى يومنا هذا، في سبيل هذا الخط وخوفاً من تشويبه والتشكيك فيه عمل الفقهاء على تبييض وجهي عائشة وحفصة والتمويه على الجناية التي إرتكبتها في حق الرسول والدعوة والتي تمثلت في كشف سر النبي وفضحه مما أدى إلى نزول آيات سورة التحريم الصارمة . .

عمل الفقهاء والمحدثون على تصوير ما حدث على أنه صراع بين نسوة النبي بسبب الغيرة . .

روي أن رسول الله (ص) مكث عند زينب وشرب عندها عسلاً . فتواصيت أنا - أي عائشة - وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي فلتقل أني أجد منك ريح المغافير أكلت مغافير، فدخل على إحداهما فقالت ذلك له . فقال لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له، فنزلت { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ. إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ } - لعائشة وحفصة- { وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا }..^{٨٧}

٨٥ - مسلم كتاب الطلاق.

٨٦ - المرجع السابق.

٨٧ - النسائي، كتاب عشرة النساء . باب الغيرة.

١٠٤..... دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

فالسذاجة تبدو من خلال تعامله مع زينب بحسن نية وعدم علمه بالمؤامرة التي حاكها عائشة وحفصة..
والخوف يبدو في تراجعته وإنكاره أنه به رائحة مغاير، ثم عزمه على عدم العودة لشرب العسل ..

والظلم يبدو من مضاجعته مارية في يوم حفصة وفي غرفتها ..
والكذب يبدو من محاولته احتواء الموقف بإغراء حفصة بكشف سر لها وهو تحريم مارية عليه ولم يبرد جسدها وجسده بعد، ولأن حفصة شكت في صدق هذا الكلام فمن ثم طلبت منه أن يحلف عليه ..
إن المحدثين والفقهاء يريدون أن يؤكدوا لنا أن السماء اهترت ونزل جبريل بهذه النصوص الخطيرة والحاسمة بسبب غيرة النساء والعلاقات الجنسية للرسول..

اللهم رحمة بالعقول، وإنصافاً للرسول من هؤلاء ..
إن المسألة على ما يبدو من نصوص صورة التحريم هي أكبر بكثير لكن الفقهاء ولا يريدون استخدام عقولهم من أجل الوصول إلى الحقيقة .
المسألة على ما يبدو تتعلق بالدين ومستقبله فهذا هو الأمر الذي من الممكن أن تهتز له السماء مؤكدة للرسول أن الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين، ضاربة مثل امرأتين من الذين كفروا وهما امرأة نوح وامرأة لوط..
ومثلاً لامرأتين صالحتين هما : آسيا زوجة فرعون، ومريم ابنة عمران، وكانت النصوص تؤكد للرسول أنه ليس بدعاً من الرسل فهناك رسل قبله خانتهم زوجاتهم وانحرفت عن دعواتهم ونهجهم..

إذن دعوى غسل النحل أو العلاقة الجنسية التي يحاول المحدثون تأكيدها برواياتهم، ويحاول الفقهاء تثبيتها بتبريراتهم وتأويلاتهم ليست إلا محاولة لتسطيح المسألة وتفريغها من مضمونها وأهدافها ومراميها ..

وهي محاولة لاستغلال المسلمين وتسفيه عقولهم..

لقد برز دور عائشة بعد وفاة الرسول (ص) ..

برز في دعم نهج أبيها..

وبرز في ضرب نهج الإمام علي وتشويهه ..

ولقد آثرت نساء النبي السكون والإقرار في البيوت عملاً بقوله تعالى :

{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى}..

أما عائشة فقد ضربت بهذا النص عرض الحائط وخرجت إلى ساحة السيف

والسياسة فجنت على نفسها وجنت على المسلمين ..

يروى عن سودة بنت زمعة قالت : حججت واعتمرت وأنا أقر في بيتي كما

أمرني الله عز وجل..^{٨٩}

ويروى عن أم سلمة قالت : لا يحركني ظهر بعير حتى ألقى النبي..^{٩٠}

ويروى عنها وعن زينب بنت جحش قالتا : لا تحركنا دابة بعد رسول الله..^{٩١}

وما كان يوم الجمل حين خرجت تحرض المسلمين على قتال علي وتقود

بنفسها المعركة - إلا فاجعة ونقطة سوداء في تاريخها..^{٩٢}

٨٩ - ابن سعد ج ٨ / ترجمة سودة.

٩٠ - فتح الباري ج ٨

٩١ - ابن سعد ج ٨ ترجمة أم سلمة.

٩٢ - تروي كتب التاريخ أن عدد الذين قتلوا في موقعة الجمل من أصحاب عائشة ثمانية آلاف،

وقيل سبعة عشر، وقتل من أصحاب علي ألف، أنظر وفيات الأعيان ج ٣ / ترجمة عائشة رقم ٣١٨ وكتب التاريخ.

يروى أن عمار بن ياسر خطب في الناس بالكوفة وقت خروج عائشة فقال :
إني لأعلم أنها لزوجته - أي النبي - في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتبعوه
أو إياها..^{٩٣}

يقول ابن حجر : قوله لتبعوه أو إياها قيل الضمير لعلي لأنه الذي كان عمار
يدعو إليه، والذي يظهر أنه لله والمراد باتباع الله اتباع حكمه الشرعي في طاعة
الإمام وعدم الخروج عليه، ولعله أشار إلى قوله تعالى { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ }
فإنه أمرٌ حقيقيٌ خوطب به أزواج النبي، والعذر في ذلك عن عائشة أنها كانت
متأولة هي وطلحة والزبير وكان مرادهم إيقاع إصلاح بين الناس وأخذ القصاص
من قتله عثمان..^{٩٤}

وليس هنا مجال الرد على ابن حجر في تبريره لموقف عائشة لأنه خارج
موضوع البحث، إلا أننا نكتفي باعترافه في أول كلامه بتجاوز عائشة وخروجها
عن دائرة النص والإمام الشرعي..^{٩٥}

ويروى أنه وقعت بين حيين من قريش منازعة فخرجت عائشة على بغلة
تصلح بينهما فلقبها ابن أبي عتيق فقال : إلى أين جعلت فداك ؟ فقالت : أصلح
بين هذين الحيين..

فقال : والله ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل بعد فكيف إذا قيل يوم البغل ؟
فضحكت وانصرفت..^{٩٦}

٩٣ - البخاري، باب فضل عائشة.

٩٤ - فتح الباري ج ٧ / ١٠٨

٩٥ - أنظر لنا السيف والسياسة.

٩٦ - وفيات الأعيان ج ٣ / ترجمة عائشة.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
١٠٧

من هنا فإنه يروى عن عائشة حين حضرها الموت قالت : وددت أنني إذا
مت كنت نسياً منسياً..^{٩٧}

وقالت : يا ليتني لم أخلق، يا ليتني كنت شجرة أسبح، يا ليتني كنت حجراً،
يا ليتني كنت مدرة ؟

قيل : وما ذاك منها ؟

قال - أي الراوي - : توبة..^{٩٨}

وقالت : لم أكن أحب أن أسمع أحدا اليوم يثني علي، إني قد أحدثت بعد
رسول الله (ص)..^{٩٩}

ونخرج مما سبق بما يلي :

- إن هناك شك حول سن عائشة وتاريخ ارتباطها بالرسول ..

- إن عائشة لم تكن زوجة مميزة ..

- إن صدامات عائشة مع زوجات النبي دليل على عدم تميزها وكونها
تحاول اقتناص هذا التميز .

- إن روايات عائشة تفضح الرسول كما تفضحها هي ..

- أن عائشة تحتكر الرواية عن الرسول دون زوجات النبي ..

- إن سن عائشة وفترة مكوثها مع الرسول (٩ سنوات) كما نصت على

ذلك الروايات - لا يتلاءم مع هذا الكم من الروايات التي روتها والدور

الذي تحاول أن ترسمه لها هذه الروايات ..

- إن التركيز على عائشة يهدف لضرب عليّ الذي ارتبط بالرسول من سن

السادسة قبل أن تولد عائشة - حسب رواياتهم - ونهل من علمه، فإذا

٩٧ - ابن سعد ج ٨ / ترجمة عائشة.


٩٨ - المرجع السابق.

٩٩ - المرجع السابق، وتوفيت عائشة عام ٥٨ هـ وصلى عليها أبو هريرة ودفنت ليلاً.

١٠٨ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

- اعتبرنا أن الرسول تعهد عائشة من طفولتها وأرضعها علمه وحكمته فإنه
تعهد علياً أيضاً منذ نعومة أظافره وأرضعه علمه وحكمته، لكن الفقهاء
والمحدثين مالوا إلى عائشة ودعموا رواياتها وأهملوا علياً ورواياته ..
- إن هناك ترابط بين عائشة وحفصة دون بقية أزواج النبي وهو يعكس
الترابط الذي كان بين أبي بكر وعمر والذي أنتج الخط القبلي الذي ساد بعد
وفاة النبي (ص) ..
- إن تضخيم عائشة من باب الجنس دليل على عدم وجود مميزات أخرى
لها ..
- إن جميع الروايات التي ترصد تاريخ عائشة وفضائلها من رواياتها هي ..


* * *



الرسول العاشق..

(٢)

الرسول يتهافت على النساء والنساء
يتهافتن عليه..



من مهازل القوم ما ينسبه الرواة للرسول (ص) حول علاقته بالنساء وكأنهم لم يكتفوا بما نسبوه له حول علاقته بعائشة، فأرادوا توسيع دائرة هذه العلاقة لتكون فتحاً للحاكم بعده كي يغنموا من النساء، ويتوسعوا في التمتع بهن على حساب الرسول..

ومثل هذه الروايات الشائنة التي تفضح الرسول جنسياً وتشوه صورته يتداولها القوم بكل ثقة واطمئنان ..

ويقينا أن كثيراً من المسلمين لا يعرفون شيئاً عن هذه الروايات التي تزدهم بها كتب السنن، فمن ثم هم بمجرد التعرف عليها سوف يرفضونها بالفطرة .. إن العقل لا يقبل أن تكون الحياة الخاصة للرسول مفضوحة بهذا الشكل الذي تبرزه الروايات، كما لا يقبل بصحة هذه الوقائع المنسوبة للرسول والمتعلقة بالنساء في ظل الدور المرسوم له والمهمة الملقاة على عاتقه كنبى خاتم ورسول للعالمين ..

ولقد استثمرت هذه الروايات من قبل خصوم الإسلام ورسمت من خلالها صورة مشوهة للرسول كرجل غارق في الملذات يتهافت على النساء ولا يمل من مضاجعتهن ليل نهار ..

والواجب على أصحاب العقول والقلم أن يتصدوا لهذه الروايات حفاظاً على صورة الرسول وصورة الإسلام ..

الواجب أن تكون هناك انتفاضة فكرية ضد هذه الموروثات التي أقل ما يقال فيها أنها من الأسرائيليات ..

نماذج الروايات

يروى أن رسول الله (ص) رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال : " إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه " ١٠٠

وفي رواية أخرى : أن النبي (ص) رأى امرأة فدخل على زينب بنت جحش فقضى حاجته منها ثم خرج إلى أصحابه فقال لهم : " إن المرأة تقبل في صورة شيطان فمن وجد من ذلك شيئا فليأت أهله فإنه يضم ما في نفسه " ١٠١
قال النووي : قوله إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان يعني الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بنظرهن وما يتعلق بهن فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له ١٠٢

وقليل من التأمل في هذه الرواية يكشف لنا مصادمتها للعقل وللواقع ..
أما مصادمتها للعقل فيظهر لنا من انفعال الرسول وقيام شهوته بمجرد أن وقع بصره على تلك المرأة، وهذا التصور فيه امتهان لشخص الرسول المعصوم والمبرأ من الهوى ..

وهو يظهره بمظهر الرجل الشهواني الذي لا يكف عن ملاحقة النساء بصره . وإذا كان هذا هو حال الرسول فكيف حال أصحابه ؟

١٠٠ - مسلم كتاب النكاح.

١٠١ - أبو داود كتاب النكاح.

١٠٢ - مسلم هامش باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه ، كتاب النكاح.

إن الرواية لم تجيبنا عن هذا السؤال فهي قد بينت لنا أن الرسول هو الذي تأثر بتلك النظرة وقامت شهوته وحده فهرع إلى زينب ليطفئ نار الشهوة، ثم خرج إلى أصحابه فإذا هم بانتظاره، فأخبرهم بسبب تركه لهم ثم أنزل غضبه ولعنته على المرأة وعلى النساء أجمعين مشبها إياهن بالشیطان ..

ومن هذا البيان برزت لنا حقيقتان :

الأولى : أن الصحابة كانوا أكثر ثباتاً وأقل تأثراً بتلك المرأة من الرسول ..

الثانية : أن الرسول فضح نفسه وكشف أمام أصحابه ما جرى له من تلك

المرأة، وما فعله مع زينب حين هرع إليها ..

فهل يقبل العقل مثل هذا الكلام ... ؟

أما مصادمتها للواقع آنذاك فيظهر من أن النساء في زمن الرسول (ص) لم يكن يسرن في الطرقات عاريات أو مائلات أو مميلات فكل هذه صور من حال المرأة في آخر الزمان وهو قد تنبأ بها..^{١٠٣}

إذن فماذا كانت ترتدي تلك المرأة التي أثارت الرسول .. ؟

ويروى عن عائشة قولها : كنت أطيب رسول الله (ص) فيطوف على نساءه ثم يصبح محرماً ينضح طيباً..^{١٠٤}

ويروى عن أنس بن مالك : كان النبي (ص) يدور على نساءه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة، قلت لأنس : أو كان يطيقه، قال : كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين..^{١٠٥}

١٠٣ - أنظر كتاب الفتن في البخاري ومسلم وكتب السنن.

١٠٤ - البخاري، كتاب الغسل باب إذا جامع ثم عاد، ومن دار على نسائه في غسل واحد، وانظر كتاب النكاح باب من طاف على نسائه في غسل واحد وانظر مسلم كتاب الرضاع.

١٠٥ - المرجع السابق.

قال النووي : أما طوافه (ص) على نساءه بغسل واحد فيحتمل أنه كان يتوضأ بينهما أو يكون المراد بيان جواز ترك الوضوء..
وقد جاء في سنن أبي داود أنه (ص) طاف على نساءه ذات ليلة يغتسل عند هذه، وعند هذه. فقليل يا رسول الله : ألا تجعله غسلًا واحدًا ؟
فقال : " هذا أذكى وأطيب وأطهر " .

وعلى تقدير صحته يكون هذا في وقت وذاك في وقت..
وطوافه (ص) محمول على أنه كان برضاهن أو برضى صاحبة النوبة إن كانت نوبة واحدة، وهذا التأويل يحتاج إليه من يقول كان القسم واجباً على رسول الله في الدوام كما يجب علينا، وأما من لا يوجب فلا يحتاج إلى تأويل فإن له أن يفعل ما يشاء، وهذا اختلاف في وجوب القسم هو وجهان لأصحابنا..^١
لأصحابنا..^١

وقال القاضي عياض : إن الحكمة من طوافه عليهن في الليلة الواحدة كان لتحسينهن كأنه أراد به عدم تشوفهن للزواج إذ الإحصان له معان منها الإسلام والحرية والعفة والذي يظهر أن ذلك إنما كان لإرادة العدل بينهن في ذلك وإن لم يكن واجباً..^٢

ويعلق ابن حجر بقوله : وفي التعليل الذي ذكره نظر لأنهن - أي نساء النبي - حرم عليهن التزويج بعده، وعاش بعضهن بعده خمسين سنة فما دونها وزادت آخرهن موتاً على ذلك - هي أم سلمة وتوفيت في عام (٦١ هـ)..^٣
لقد غرق الفقهاء في التأويلات والاحتمالات وتناسوا جوهر الرواية، وهم بالطبع غير مكلفين بذلك فوظيفتهم هي التأويل والتبرير واستنباط الأحكام،

١ - شرح النووي على مسلم، كتاب الحيض .

٢ - فتح الباري ج ٩ / ٣١٦

٣ - المرجع السابق، ويروى أن آخرهن موتاً ميمونة بنت الحارث في نفس العام.

وليس إعمال العقل في الروايات لمعرفة مدى صحتها وانسجامها مع نصوص القرآن وشخص الرسول، فما دامت هي من روايات البخاري ومسلم فقبلوها واجب شرعي ورفضها طعن في الدين وفي الرسول ..

وإذا كان هناك من أصابته الدهشة لسماعه هذا الخبر في زمن الرسول (ص) وهو ما يظهر من خلال قوله : أو كان يطيقه؟

فكيف الحال بنا اليوم..؟

وقد جاء رد أنس ليزيد الطين بلة بقوله : كنا نتحدث أن له قوة ثلاثين .
أي قوة ثلاثين رجلا في الجماع..

فهل هناك فضح وتعرية للرسول أكثر من هذا ..؟

إن هذا الكلام لا يعني إلا شيئاً واحداً وهو أن الحياة الجنسية للرسول كانت مكشوفة للجميع وسيرته مع نساءه على ألسنة الناس بالمدينة . .
وهذا كلام غير مقبول ، كما أنه من غير المقبول فكرة الطواف ذاتها، من حيث القدرة ومن حيث الفراغ .

إن التسليم بمثل هذه الروايات يعني أن الشغل الشاغل للرسول كان النساء، وهذا العدد الذي ارتبط به - سواء كان تسعة أو إحدى عشرة - كافٍ وحده لإضاعة الليل والنهار، فإن طاف عليهن ليلاً لا بد أن ينال النهار..

وإن طاف عليهن نهاراً لا بد أن ينال الليل..

وفي كلتا الحالتين ليس هناك وقت لشؤون الدعوة والمسلمين ولا حتى لاستقبال الوحي ..

ويلزم لنا حتى تتضح الصورة أن نلقي الضوء على نساء النبي (ص) لتبين طبيعة علاقته بهن ..

من المعروف أن الزوجة الأولى للنبي كانت خديجة وقد القينا عليها الضوء سابقاً وهي قد توفيت في مكة وذكرناها للإشارة إلى الزوجة الثانية التي جاءت بعدها وهي سودة بنت زمعة ..

والفقهاء يختلفون حول تاريخ وفاة خديجة وزواج الرسول بعائشة في سن التاسعة، هل تم هذا الزواج بعد خديجة أم بعد سودة..؟^١

قال الماوردي : الفقهاء يقولون : تزوج عائشة قبل سودة، والمحدثون يقولون : تزوج سودة قبل عائشة..^٢

فأيهما نصدق : الفقهاء أم المحدثون ؟

وإذا كان الفقهاء خاضعين على الدوام للمحدثين يعتمدون رواياتهم ويننون على أساسها مذاهبهم وعقائدهم، فما هو المبرر للانشقاق عليهم في هذه المسألة..؟

يروى عن عائشة قولها : أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النبي يقيم لعائشة بيومها ويوم سودة..^٣

ويروى عن عائشة أيضاً : قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وخافت أن يفارقها رسول الله (ص) : يا رسول الله يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله منها، وفي ذلك أنزل الله تعالى { وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا }^١.

١ - فتح الباري ج ٧ / ٢٢٥

٢ - المرجع السابق.

٣ - البخاري كتاب النكاح، ومسلم كتاب الرضاع.

ويبدو من ظاهر هذه الرواية أن نساء النبي (ص) قد نقصن واحدة فأصبح الرسول يطوف على ثمانية لا تسع، أما باطنها فيكشف لنا أن سودة كانت مهتدة بالطلاق وفراق الرسول لها لعدم قدرتها على تلبية رغباته الجنسية وأنها قد أنقذت نفسها بالبقاء على ذمة الرسول بالتخلي عن يومها لعائشة ..
فهل يجوز أن يقال مثل هذا الكلام في حق النبي الذي جاء يبشر بالعدل والرحمة..؟

وإذا كان هذا هو حال سودة فلماذا تزوجها إذن .. ؟
ولماذا وهبت سودة يومها لعائشة من دون نساء النبي .. ؟
هل لأن هوى النبي مع عائشة .. ؟
وإذا كان هذا ما تؤكد الروايات فهو يعني أن عائشة استأثرت بمعظم الليالي وهو ما ينقض فكرة الطواف ..
ويروى أن النبي (ص) بعث إلى سودة بطلاقها فلما أتاها جلست على طريق بيت عائشة، فلما رآته قالت : أنشدك بالذي أنزل عليك كتابه واصطفاك على خلقه لم طلقني، ألموجدة وجدتها في .. ؟
قال : " لا " .

قالت : فإني أنشدك بمثل الأولى أما راجعتني وقد كبرت ولا حاجة لي في الرجال، ولكنني أحب أن أبعث في نسائك يوم القيامة، فراجعها النبي، قالت :
فإني قد جعلت يومي وليتي لعائشة حبيبة رسول الله ..^٢
وهذه الرواية تؤكد إصرار الرواة على أن المسألة الجنسية هي أساس علاقة الرسول بنساءه مع أن سودة هذه كانت امرأة ضخمة طويلة وفوق ذلك كانت

١ - أبو داود كتاب النكاح.

٢ - طبقات ابن سعد ج ٨ ترجمه سودة.

ثيباً، ترملت بعد وفاة زوجها السكران بن عمرو وكان من مهاجري الحبشة وتوفي في مكة بعد عودته منها.^١

وفيما يتعلق بعائشة الزوجة الثالثة للنبي حسب الترتيب التاريخي فقد استعرضنا في الباب السابق دورها وموقف الرسول منها ، وإذا ما سلمنا بصحة الروايات الواردة فيها بكونها محظية الرسول (ص) فهذا يعني بطلان فكرة الطواف ..

وإذا ما قررنا رفضها فإن هذا يعني ضرب مكانة عائشة ..

وفي كلا الحالتين الموقف ليس في صالح الرواة أو الفقهاء ..

أما حفصة فإنها كما أشرنا كانت حليفة عائشة وكانت ثيباً ترملت بعد وفاة زوجها خنيس بن حذافة، وعرضها عمر على عثمان فقال ما لي في النساء حاجة، ثم عرضها على أبي بكر فأبى، فغضب عليهما عمر، حتى تزوجها رسول الله بعد ذلك..^٢

ولم تأت الروايات بشئ يرفع من مقامها عند الرسول كما هو حال عائشة بل روي ما ليس في صالحها كما أشرنا من قبل ونضيف هنا رواية تطليقها من قبل الرسول ..

يروى : طلق رسول الله (ص) حفصة ثم راجعها..^٣

وتزوج رسول الله زينب بنت خزيمة وكانت تحت عبيدة بن الحارث فقتل عنها يوم بدر، فجعلت أمرها إلى الرسول فتزوجها في السنة الثالثة من الهجرة

١ - أنظر ابن سعد، ومسلم كتاب السلام.

٢ - ابن سعد ج ٨ / ترجمة حفصة وانظر مسلم.

٣ - ابن سعد ومسلم كتاب الطلاق.

فمكثت عنده ثمانية أشهر ثم توفيت وهي أول من توفيت من زوجاته بالمدينة في حياته..^١

وهذه المدة القصيرة التي قضتها زينب مع الرسول تجعل من نسوة النبي اللاتي كان يطوف عليهن سبع، وهذا فيه نقض لرواية طوافه على التسع.. وتزوج رسول الله (ص) ريحانة بنت زيد وكانت من سبى بني قريظة بعد أن أسلمت وكان يستكثر منها فلم تزل عنده حتى مات أثناء رجوعها من حجة الوداع وكان قد تزوجها سنة ست من الهجرة..^٢

وباستثناء ريحانة من نسوة النبي يصبح عدد الطائف عليهن ست .. وإذا ما جمعنا سودة وعائشة وحفصة وزينب وريحانة وأم سلمة وأم حبيبة وصفية وجويرية وزينب بنت جحش وميمونة يصبح عدد زوجات النبي إحدى عشرة ..

وإذا ما أضفنا إليهن فاطمة الكلابية التي يقال إنها طلقت لبياض كان بها، أو بسبب تخييرها بين قومها وبين الرسول فاختارت قومها..^٣

وأسماء بنت النعمان الجونية وكانت من أجمل النساء ولما دخل بها الرسول ثم أهوى عليها ليقبلها وكذلك كان يصنع إذا اختلى بنساءه، قالت : أعوذ بالله منك فتركها الرسول وبعثها إلى أهلها..^٤

ومليكة بنت كعب الليثي وقتيلة بنت قيس وبنت جندب الجندعي وسنا بنت الصلت، وغير ذلك من النساء اللاتي خطبهن واللاتي وهبن أنفسهن للرسول، بالإضافة إلى مارية القبطية التي أنجبت ولده إبراهيم الذي توفي في المدينة..^١

١ - ابن سعد ج ٨ / ترجمة زينب بنت الحارث.

٢ - ابن سعد ج ٨ / ترجمة ريحانة.

٣ - ابن سعد ج ٨

٤ - المرجع السابق.

١٢٠.....دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

بهذا يتبين لنا أن الرسول ارتبط بأكثر من عشرين امرأة ما بين زوجة وسرية..
وهناك خلاف بين الرواة والفقهاء حول عدد النسوة اللاتي ارتبط بهن
الرسول بزواج دائم ما بين تسعة إلى إحدى عشرة إلى ثلاثة عشرة..^٢
إلا أن ما يعيننا هنا من إلقاء الضوء على نساء النبي هو تبين استحالة تحقيق
الطواف على النساء في ساعة واحدة، أو ليلة واحدة من قبل الرسول، إذ أن
تاريخ اقتران الرسول بهن لم يكن في سنة واحدة وإنما كان في سنوات متفرقة،
فقد تزوج سودة في مكة سنة عشر من النبوة ..
وتزوج عائشة في السنة الثالثة للهجرة ..
وتزوج حفصة في السنة الثالثة من الهجرة ..
وتزوج زينب بنت خزيمة في السنة الثالثة من الهجرة .
وتزوج أم سلمة في السنة الرابعة ..
وتزوج زينب بنت جحش في السنة الخامسة من الهجرة ..
وتزوج جويرية بنت الحارث في السنة الخامسة من الهجرة .
وتزوج ریحانة بنت زيد في السنة السادسة من الهجرة ..
وتزوج صفية بنت حيي في السنة السابعة من الهجرة ..
وتزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان في السنة السابعة للهجرة ..
وتزوج ميمونة بنت الحارث في السنة السابعة من الهجرة ..
ودخل بمارية القبطية في السنة السابعة من الهجرة ..

١ - المرجع السابق.

٢ - المرجع السابق، وانظر كتب السيرة..

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين
١٢١

ويتبين لنا من خلال هذا العرض أن الرسول (ص) تزوج نساءه في سنوات متفرقة فهن لم يجتمعن معه في سنة واحدة، فكيف يتحقق الطواف بهن في وقت واحد..؟

والإجابة على هذا السؤال بين أمرين : إما أن يكون الأمر مختلق من أساسه.. وإما أن يكون الطواف في آخر سني عمر الرسول حيث تحقق له جمعهن.. وهو مردود بسبب تناقض الروايات ما بين التسعة والإحدى عشرة .
وبسبب أن الروايات تؤكد أن عائشة كانت تستأثر بالرسول، وهذا فيه إخلال بالطواف وبسبب تنازل سودة ووفاة زينب بنت خزيمة مبكراً، وبسبب روايات أخرى تشير إلى أن الرسول كان يستكثر من زينب بنت جحش وأم سلمة وغيرهما^١.

في الحرب

كان ما سبق هو استعراض الحالة الجنسية للرسول (ص) في وقت السلم من خلال الروايات التي نسبها القوم إلى الرسول، أما في زمن الحرب فقد شهدت الروايات أنه ليس هناك فرق . .
يروى أنه لما قسم السبي في غزوة خيبر، جاء دحية فقال يا نبي الله أعطني جارية من السبي..
قال : " اذهب فخذ جارية " .
فأخذ صفية بنت حيي..
فجاء رجل إلى النبي فقال : يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير، لا تصلح إلا لك..
قال " ادعوه بها " ..

١ - أنظر ابن سعد ، وكتب السنن أبواب فضائل نساء النبي .

فجاء بها..

فلما نظر إليها النبي قال : " خذ جارية من السبي غيرها " . فأعتقها النبي وتزوجها، حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل، فأصبح النبي عروساً.^١

يقول الفقهاء : قوله : خذ جارية من السبي غيرها . يحتمل ما جرى مع دحية وجهان :

أحدهما : أن يكون رد الجارية برضاه وأذن له في غيرها .

والثاني : أنه إنما أذن له في جارية له من حشو السبي لا أفضلهن..

فلما رأى النبي (ص) أنه أخذ أنفسهن وأجودهن نسباً وشرفاً في قومها وجمالاً استرجعها لأنه لم يأذن له فيها، ورأى في إبقائها لدحية مفسدة لتمييزه بمثلها على باقي الجيش، ولما فيه من انتهاكها مع مرتبتها وكونها بنت سيدهم، ولما يخاف من استعلائها على دحية بسبب مرتبتها، وربما ترتب على ذلك شقاق أو غيره، فكان أخذه (ص) إياها لنفسه قاطعاً لكل هذه المفاسد المتحوفة، ومع هذا فعوض دحية عنها.^٢

هذا ما يقوله الفقهاء حول هذه الرواية المزرية، احتمالات وتبريرات واهية فيها استخفاف بالعقول وتوهين للأمر وتعتيم على حقيقته..

ومثل هذه الاحتمالات لا تغني ولا تسمن من جوع فظاهر الرواية ينطق بالحق وهو أن الرسول (ص) وهو في ميدان الحرب كما هو حاله في السلم لا ينسى النساء ولا يصبر عليهن فالهوس الجنسي يسيطر على مخيلته ويدفعه إلى التراجع عن قراره بإعطاء صفية إلى دحية بمجرد أن زينها القوم له دون أن يراها،

١ - مسلم، كتاب النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها، البخاري كتاب الصلاة، باب ما يذكر في الفخذ.

٢ - شرح النووي على مسلم الباب السابق.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين
١٢٣

وما إن رآها في نفسه وتأكد له الخبر فأخذها منه لنفسه، ولو أن الأمر انتهى عند هذا الحد لقلنا إن الرسول احتجزها مخافة أن يفتن بها القوم وحتى يعود إلى المدينة فينظر في أمرها . لكن كلام الفقهاء يؤكد أن الرسول أخذها لنفسه لكونها لا تناسب دحية الفقير الذي ينتمي إلى طبقة وضعية لا تلائم طبقة صافية العالية .

الفقهاء يؤكدون أن الرسول عالج المسألة من منظور طبقي لا من منظور شرعي، فهل جاء الإسلام ليدعم الطبقة ويؤكد كدها أم ليقضي عليها ويفتتها .. ؟
إن ما تصوره الرواية هو أكثر مما وصفنا، فالرسول اشتعلت شهوته بمجرد رؤية صافية وقرر أن يواقعها في أقرب فرصة فدفعها إلى أم سليم لتجهزها له وهو في الطريق إلى المدينة، وما إن جهزتها حتى دخل بها في الطريق ..
هل يحتمل عقل المسلم وقلبه هذا الامتهان والتشويه لنبه .. ؟
واختلف الفقهاء فيمن أعتق أمته على أن تتزوج به ويكون عتقها صداقها -
كما فعل الرسول مع صافية - وقال الجمهور : لا يلزمها أن تتزوج به ولا يصح هذا الشرط^١..

هذا ما خرج به الفقهاء من هذه الرواية عدم جواز نكاح الأمة المعتقة من سيدها بدون صداق على أساس أن عتقها هو صداقها، واعتبروا ما حدث مع صافية هو حكم خاص بالرسول وحده ..

ولقد أسهم الفقهاء على الدوام في نشر أحكام الإمامة وتوطيئها وسط المسلمين بدلا من القضاء عليها ودفنها، وذلك خدمة للحكام الذين اتخذوا من حكم ملك اليمن ألعوبة في أيديهم يملكون به من النساء ما يشتهون، مما ساعد على ازدهار تجارة الرقيق التي جاء الإسلام للقضاء عليها^٢.

١ - شرح النووي.

٢ - أنظر أحكام الرق في كتب الفقه والسنن، والإسلام شرع للعتق ولم يشرع للرق.

ويبدو أن مسلم شعر بالخلل في روايته، فجاء بالرواية من طريق آخر يحوي
مخرجاً للرسول (ص) من التورط في أمر صفية ..
يروى : وقعت في سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسول الله (ص) بسبعة
أروس ثم دفعها إلى أم سليم تصنعها له وتهيئها، قال - أي الراوي -
وأحسبه قال وتعتد في بيتها وهي صفية بنت حيي ..
وقال الناس : لا ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد .
قالوا : إن حجبها فهي امرأته وإن لم يحجبها فهي أم ولد - أي أمة - فلما
أراد أن يركب حجبها فقعدت على عجز البعير فعرفوا أنه قد تزوجها ، فلما دنوا
من المدينة دفع رسول الله (ص) ودفعنا، فعثرت الناقة العضباء ونذر رسول الله
وندرت، فقام فسترها وقد أشرفت النساء فقلن أبعد الله اليهودية..^١
ومن خلال هذه الرواية يحاول الراوي نفي الشبهات من حول الرسول في
كونه أخذ ما ليس له، وكونه دخل على صفية من قبل أن تستبرئ، وذلك من
خلال قوله الذي حشاه في وسط الرواية : وأحسبه قال وتعتد في بيتها أي في
بيت أم سليم في المدينة..
إلا أن بقية الرواية تكذب هذا الادعاء وتثبت أن الرسول دخل بصفية من
قبل أن تنتهي عدتها وهذه مصيبة المصائب، فقد أقام الرسول وليمة العرس
وتكلم الناس أتزوجها أم اتخذها أمة .. ؟
ومعنى ذلك هو ما أشارت إليه الرواية السابقة من أنه دخل بها في الطريق ..

١ - مسلم كتاب النكاح.

وهناك رواية ثالثة تزيل اللبس تقول : صارت صفية لدحية في مقسمه وجعلوا يمدحونها عند رسول الله (ص) ويقولون ما رأينا في السبي مثلها..
قال فبعث إلى دحية فأعطاه بها ما أراد ثم دفعها إلى أم سليم فقال أصلحها، ثم خرج الرسول من خير حتى إذا جعلها في ظهره نزل ثم ضرب عليها القبة..^١

وبهذا تكون الصورة قد اتضحت ..

الرسول رأى صفية فوقعت في نفسه ..

الرسول صادرها أو قايضها أو دفع ثمنها لدحية ..

الرسول دخل بها وهي في العدة ..

وهذه النتائج الثلاث تكفي لدحض هذه الروايات والحكم بوضعها وبطلانها دفاعاً عن الرسول ولا يعنينا سندها في شيء ..

ولم ينحصر أمر علاقة الرسول بالنساء في زمن الحرب في حدود صفية وحدها، بل امتد ببركة الرواة ليشمل جويرية بنت الحارث وريحانة بنت زيد ..
أما جويرية فكانت من سبي بني المصطلق ..

يروى عن عائشة قولها أصاب رسول الله (ص) نساء بني المصطلق، فوقعت جويرية بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس وكانت تحت ابن عم لها يقال له صفوان بن مالك فقتل عنها، فكاتبها ثابت بن قيس على نفسها على تسع أواق وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فبينما النبي عندي إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابها . فوالله ما هو إلا أن رأيته فكرهت دخولها على النبي وعرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأيت ..

فقال الرسول : أو خير من ذلك ؟

ف قالت : ما هو..؟

قال : أؤدي عنك كتابك وأتزوجك..

قالت : نعم يا رسول الله..^١

ويروى : ضرب رسول الله على جويرية الحجاب، وكان يقسم لها كما يقسم لنساءه..^٢

أما ريحانة فكانت من سبي بني قريظة وكانت متزوجة من رجل يسمى الحكم، وكانت ذات جمال، فلما عرض السبي على الرسول أمر بها فعزلت ثم أعتقها وتزوجها، وكان يقسم لها كما يقسم لنساءه وضرب عليها الحجاب، وكان معجباً بها وكانت لا تسأله إلا أعطاها وكان يخلو بها ويستكثر منها..^٣
وحال رواية جويرية وريحانة هو حال رواية صفية . فما حدث هنا حدث هناك..

وكما افتتن الرسول بصفية افتتن بجويرية أيضاً في حضور عائشة التي ما إن وقع بصرها عليها حتى علمت أن الرسول لن يفلتها وهو ما حدث ..
ثم افتتن بريحانة وصارت عنده من المحظيات المدللات اللواتي يستكثر منهن ..

وما نخرج به من هذه الروايات هو أن شهوة الرسول كانت مفتوحة دائماً للنساء في وقت السلم ووقت الحرب، وأن نساءه كانت تأكلهن الغيرة ولا يجدن حيلة في ذلك إلى الصبر وانتظار طوافه عليهن وقد يطول هذا الانتظار ..
ولا شك أن افتتان الرسول بجويرية وريحانة جاء على حساب عائشة ونقض فكرة احتكارها لفراش الرسول، كما أكد من جانب آخر أن عائشة لم تكن على قدر من الجمال والفتنة التي تمكنها من الهيمنة على الرسول وعزله عن الافتتان بغيرها ..

معارك نسائية

١ - طبقات ابن سعد ج ٨ ، ترجمة جويرية .

٢ - المرجع السابق .

٣ - المرجع السابق . ترجمة ريحانة .

وفي وسط هذا الكم من النساء اللاتي ارتبط بهن الرسول كانت تكثر الصدامات والخلافات والمؤامرات والسبب الغيرة ..
وكان الرسول (ص) في مواجهة هذه المعارك النسائية يقف في صف عائشة ضد نساء الأخريات، لتترك الروايات تتحدث نيابة عنا ..
يروى عن عائشة : إن نساء النبي (ص) كن حزينين . فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء النبي..
وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله لعائشة فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله أخرها، حتى إذا كان رسول الله في بيت عائشة بعث صاحب الهدية إلى رسول الله في بيت عائشة..
فتكلم حزب أم سلمة، فقلن لها كلمي رسول الله يكلم الناس فيقول من أراد أن يهدي إلى رسول الله هدية فليهدده إليه حيث كان من بيوت نساءه .
فكلمته أم سلمة بما قلن، فلم يقل لها شيئاً فسألناها - أي حزبها - فقالت : ما قال لي شيئاً ..
فقلن لها فكلميه، قالت فكلمته حين دار إليها أيضاً فلم يقل لها شيئاً فسألته فقالت : ما قال لي شيئاً..
فقلن لها: كلميه حتى يكلمك فدار إليها فكلمته..
فقال : لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة..
قالت : أتوب إلى الله، من أذاك يا رسول الله . ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله فأرسلن إلى رسول الله تقول : إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر..^١

ويروى عن عائشة أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يتغون بذلك مرضاة رسول الله (ص)..^١

ويروى عن أم سلمة أن النبي (ص) حلف أن لا يدخل على بعض نساءه شهراً..^٢

ويروى عن عمر أنه دخل على حفصة فقال يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسننها حب رسول الله إياها يريد عائشة، فقصصت على رسول الله فتبسم..^٣

ويروى عن عائشة قالت إن النبي (ص) كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي (ص) فلتقل إني لأجد منك ريح مغاير ..

فدخل على إحداهما فقالت له ذلك . فقال " لا بأس شربت عسلاً عند زينب ولن أعود له " فنزلت { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ } إلى { إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ } لعائشة وحفصة { وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا } لقوله بل شربت عسلاً..^٤

ويروى عن عائشة : كان رسول الله (ص) يحب العسل والحلوى وكان إذا انصرف من العصر دخل على نساءه فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت النبي منه شربه، فقلت أي عائشة أما والله

١ - مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل عائشة .

٢ - البخاري كتاب النكاح باب هجرة النبي نساءه في غير بيوتهن .

٣ - المرجع السابق باب حب الرجل لبعض نساءه أفضل من بعض .

٤ - المرجع السابق باب لم تحرم ما أحل الله لك .

لنحتالنه له، فقلت لسودة إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقلولي أكلت مغافير فإنه سيقول لك لا، فقلولي له ما هذه الريح التي أجد منك، فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل، فقلولي له جرت نحلة العرفط وسأقول له ذلك، وقولي أنت يا صفية ذاك..

قالت : تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أبادئه بما أمرتني به فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله أكلت مغافير، قال : "لا".

قالت : فما هذه الريح التي أجد منك..

قال " سقتني حفصة شربة عسل " .

فقالت جرت نحلة العرفط..

فلما دار إلي قلت له نحو ذلك ، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت : يا رسول الله ألا أسقيك منه..

قال " لا حاجة لي فيه " تقول سودة والله لقد حرمناه . قلت لها اسكتي..^١

وهذه الروايات وغيرها مما ذكرناه في الباب السابق حول عائشة إنما تكشف لنا أن المعارك والمؤامرات النسائية لم تكن تتوقف في بيت الرسول، والسبب الغيرة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن هناك ظلم من قبل الرسول تجاه نساءه وعدم قدرته على تحقيق العدل بينهن، وهي - أي الغيرة - في ذاتها تنقض فكرة الطواف على النساء، فلو كان هذا الطواف متحققا وبعده لم يكن هناك مبرر للغيرة، كما تشير بذلك الرواية التي طالب فيها نسوة النبي

١ - البخاري كتاب النكاح الباب السابق، وتأمل أن العلاقة قائمة بين الرسول وبين سودة ليس كما أشارت الروايات السابقة.

١٣٠..... دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

العدل في عائشة والتي ذكرناها كاملة في الباب السابق، وهي تحوي تفاصيل الصدام بين عائشة وزينب ورفض الرسول الوساطات في أمر عائشة .. ومطالبة نسوة النبي العدل في التعامل معهن ينقض فكرة الطواف أيضاً إذ يؤكد أن عائشة مستأثرة بالرسول وحدها بينما بقية النسوة محرومات منه، وهذا يعني أنه ليس هناك طواف ..

إن اعتراف عائشة بأن نساء النبي كن حزبين يدل على أن نساء النبي (ص) لم يكنَّ يداً واحدة، وكما تصور الرواية والروايات الأخرى أن سبب ذلك هو الغيرة من عائشة، إلا أن هذا السبب ليس كافياً لتبرير هذا الموقف الذي إن دل على شيء فإنما يدل على أن الرسول (ص) فقد زمام الضبط والربط في بيته، وأن نساءه قد تفلتن منه ..

وإن التبرير المقنع لهذا الانقسام هو القبلية والسياسة، فقد أشرنا سابقاً إلى دور عائشة وحفصة سوياً، وأن لهما توجهات خاصة ترتبط بأبي بكر وعمر، وأنهما اللتان نزلت فيهما آيات سورة التحريم، ومن هنا فهذه إشارة إلى أن من السذاجة تصور أن حزبهما سببه الغيرة .

من جهة أخرى لو نظرنا إلى واقع الحزب الآخر الذي تتزعمه أم سلمة فسوف تتكشف حقيقة وهي أن هناك قضية هامة أدت إلى هذا الانقسام بين نساء النبي، وهي قضية أهل البيت واختصاصهم بمكانة متميزة وعالية في حياة الرسول واختصاصهم بدور الإمامة من بعده ..

ولم يكن هذا الانقسام ينحصر في دائرة نساء النبي وحدهن إنما شمل الصحابة أيضاً والمتتبع لسيرة علي وما روي في حقه يتبين له هذا الأمر بوضوح.. إن هناك من كان يبغض علياً ويقف ضده..

وهناك من كان يحبه ويقف معه ..

وحزب أم سلمة كان في صف علياً وهو ما تؤكد سيرتها ومواقفها ..

يروى أن النبي (ص) خرج إلى أحد فرجع ناسٍ ممن كان معه . فكان أصحاب النبي (ص) فيهم فرقتين قال بعضهم نقتلهم، وقال بعضهم لا . فنزلت {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ}¹.

وهذه الرواية التي تلقي الضوء على الذين رجعوا من الصحابة يوم أحد وتركوا الرسول تكشف لنا أن هناك حزب من الصحابة دافع عن هؤلاء المنافقين وصوت ضد قتلهم، بينما كان موقف الحزب الآخر هو تأييد الحكم بقتلهم . . وما نخرج به من هذه الرواية هو أن ذلك الحزب الذي دافع عن هؤلاء المنافقين هو حزب يشك في إيمانه ومواقفه، إذ ما هي المصلحة في الدفاع عن المنافقين؟..

كما أن انقسام الصحابة في مواجهة هذا الحدث يدل على أن هناك حزبان من الصحابة، كل له موقفه المختلف في مواجهة شتى الأحداث التي واجهت مسيرة الإسلام في حياة الرسول . .

يروى على لسان الإمام علي قوله : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي (ص) أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق..²
ويروى عن الرسول قوله : "حب الأنصار آية الإيمان وبغضهم آية النفاق"³..

وفي رواية أخرى : "من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله"⁴.
ويروى عن الرسول (ص) قوله : "إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم" قيل : يا رسول الله سمهم لنا؟

١ - مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

٢ - مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، وانظر مسند أحمد والترمذي وابن ماجة.

٣ - المرجع السابق.

٤ - المرجع السابق.

قال : " علي منهم " يقول ذلك ثلاثة " وأبو ذر والمقداد وسلمان أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم " ١..

ويروى عن النبي (ص) قوله تعالى لعلي : " أنت مني وأنا منك " ٢..
ويروى عنه (ص) : " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " ٣..

وهذه الروايات وغيرها مما تكتظ به كتب السنن خاصة روايات كتاب الله وعترتي التي أشرنا لها تعطينا دلالة قاطعة على أن الرسول كان يتعامل مع مجتمعه ومن حوله على أساس تصنيفيٍّ، فالصحابة كانوا درجات وكانوا طبقات، والرسول كان يتعامل مع كل فئة أو طبقة حسب درجتها ومستواها الايماني ومدى تضحياتها في سبيل الدعوة، وهذه بديهية قيادية تناسيها يعتبر طعنا في الرسول وشكاً في قيادته ..

وأهم ما تؤكده هذه الروايات هو هذا التصنيف:
أن علياً والأنصار كانوا حزبا واحدا في مواجهة الحزب الآخر وهو حزب المهاجرين ..

والرسول (ص) لا يطلق كلاماً عشوائياً بلا هدف، وعندما يذكر هذه النصوص بخصوص أهل البيت وعلي والأنصار فإن هذا يدل على أن هناك من يبغضهم ويحسد لهم ..

١ - الترمذي كتاب المناقب ، وابن ماجة المقدمة وأحمد ج ٥

٢ - البخاري كتاب الفضائل باب فضل علي .

٣ - مسلم كتاب فضائل الصحابة والبخاري .

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ١٣٣

كذلك كان الرسول يتعامل مع نساءه على هذا الأساس، وهن كن فيهن الصالحات القانتات وكن فيهن غير ذلك وهو ما تشير إليه نصوص سورة التحريم، ونحن وفقاً للوقائع التاريخية نؤيد هذا الجزء من الرواية التي ذكرتها عائشة : (أن نساء النبي كن حزينين) لكننا نتوقف في الجزء الباقي من الرواية ونرفضه ..

والاعتراف بمسألة الهدايا في ليلة عائشة يعني الاعتراف بمسألة الطواف، وكلا الأمرين فضح للرسول وتعرية لحياته الخاصة .

وكيف كان الناس يعرفون أمر طواف الرسول على نساءه .. ؟

هل كان الرسول تحت المراقبة .. ؟

أم أن أنس - خادم الرسول - روى رواية الطواف بصفته العارف بأسرار بيته .. ؟

وإن صح هذا أمن الأدب أن يشيع أنس هذا الأمر عن الرسول .. ؟
إن مسألة الهدايا حالها كحال مسألة الطواف، ولما كانت مسألة الطواف قد تم نقضها فإن هذا ينقض مسألة الهدايا أيضاً ..

إن معنى إدخار الناس لهداياهم حتى يوم عائشة يعني أن الناس كانوا يرقبون حركة الرسول بين نساءه ويعرفون موعد دخوله على عائشة فيندفعون نحوه بالهدايا لكسب رضاه ..

وهذا يعني أن الهدية لو أرسلت إلى الرسول في بيت زينب أو أم سلمة فلن يتحقق رضا الرسول، لأنه لا يتمتع ويتحقق له الراحة والسعادة إلا عند عائشة ..

والسؤال هنا ما معنى ابتغاء مرضاة الرسول من وراء هذه الهدايا .. ؟

هل كان الناس يتعاملون مع الرسول كحاكم فيتقون شره بهذه الهدايا التي تكون في هذه الحالة بمثابة رشوة يتحقق بواسطتها رضاه عنهم .. ؟

إننا دفاعاً عن الرسول نرفض هذا السفه الذي هو من اختراع الرواة للارتفاع
بمكانة عائشة على حساب الرسول ..

والرواية تؤكد أن الرسول رفض مطالب نساء بالعدل بينهن أو حتى الكلام
في هذا الأمر وهو ما يبدو من رفضه إجابة أم سلمة، ثم إنهاء الجدل حول هذه
المسألة بقوله : " لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا
عائشة " ..

فالرسول بهذا قد أقر الظلم على نفسه بعدم العدل بين نساء معتبراً أن علاقته
بعائشة علاقة مباركة من الوحي، أما علاقته ببقية نساء فهي علاقة غير مباركة،
الأمر الذي ناقشناه سابقاً ..

والذي تؤكد هذه الرواية أيضاً هو أن موقف الرسول من عائشة يعني
تهديداً لبقية نساءه .

فمحاولة الحديث في أمر العدل أو المساس بعلاقته بعائشة يعتبر بمثابة أذى
له سوف يرد عليه بأذى للطرف الآخر وهو ما يظهر لنا من خلال قول أم سلمة :
(أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله) .

فهل كان الرسول مؤذياً .. ؟

وتؤكد الرواية أيضاً أن سودة قد شاركت في هذه المعارك والألاعيب،
وهو ما يتناقض مع الروايات السابقة التي تؤكد أن الرسول تخلص منها أو هي
قررت الانسحاب من حياته ..

إلا أن ما تؤكد الرواية فوق هذا هو أن أم سلمة لم تتب واستمرت هي
وحزبها في مناوشة الرسول بطلبها من فاطمة التدخل والوساطة ثم لما فشلت
وساطتها تبعها زينب التي دخلت في عراك مع عائشة على مشهد من الرسول
الذي كان يراقب العراك متبسماً ..

يروى : أن الرسول (ص) لما تزوج زينب بنت جحش نزلت آية الحجاب..^١
ويروى أيضاً : أن الرسول (ص) ما أولم على امرأة من نساءه أكثر أو أفضل
مما أولم على زينب . فإنه ذبح شاة..^٢

ويروى أن الناس لما تباطأوا في الخروج من عند الرسول في عرس زينب
وشعر الرسول بالخرج من ذلك نزل قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا
دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِنِينَ لِحَدِيثِ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ
يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَخِي مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لَا يَسْتَخِي مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ
مَتَاعاً فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ
لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ
عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا } [الأحزاب: ٥٣].^٣

ويروى أن الرسول (ص) قال : "أسرعن لحاقا بي أطولكن يدا". قالت
- أي عائشة - : فكن يتناولن أيتهن أطول يداً، فكانت أطولنا يداً زينب لأنها
كانت تعمل بيدها وتتصدق..^٤

ومن هذه الروايات نخرج بالنتائج التالية :

أولاً : إن الوحي تنزل في بيت زينب بآية الحجاب وآية الاستئذان وهو ما
ينقض ادعاء حصر الوحي في حدود بيت عائشة، أو كما نصت الروايات في
لحاف امرأة أو في ثوب امرأة غير عائشة ..

ثانياً : إن هذه الروايات ترفع من مقام زينب لكونها نزلت بسببها آيات
تحريم التبني، وزكاها الرسول بوصفها بطول اليد في معونة نفسها ومعونة الغير،

١ - مسلم كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش.

٢ - المرجع السابق.

٣ - المرجع السابق.

٤ - المرجع السابق.

وهو ما لم يتحقق لعائشة المدللة، كما أولم عليها بشاة وهو ما لم يحدث من قبل
في زيجات الرسول..

ثالثاً : أن حال زينب الذي تصفه هذه الروايات يتناقض مع ما تصوره رواية
عائشة التي تصفها بسوء الأدب في حضرة الرسول ..

ورواية أم سلمة التي تشير إلى أن الرسول قد هجر بعض نساءه شهراً إنما
تؤكد أن تلك النسوة إنما هن من خارج دائرة حزبها لأنها هي الرواية ..

أما رواية نصيحة عمر لابنته حفصة فهي تعكس لنا مدى الغيرة والحسد أو
الصراع الدائر بينها وبين عائشة من أجل السيطرة على الرسول ..

ورواية العسل تلقي الضوء على كيد النساء ومؤامراتهن وأنهن لم يكن
يشغلن شئ سوى الكيد لبعضهن وتآمر إحداهن على الأخرى، وكل ذلك
بسبب الغيرة، مما يصور بيت الرسول مشتتاً بالمعارك والخصومات على
الدوام..


فهل نكح الرسول هذا الكم من النساء ليشغل بمعاركهن وخصوماتهن ؟ ..
إن ما تصوره الروايات أن نكاح الرسول هذا الكم من النساء إنما كان
بغرض الشهوة والهوى ولم يكن لأي غرض آخر، مما يضيفي على الرسول
صفات الرجل الشهواني الباحث عن اللذات، وهذا من شأنه أن ينعكس على
دعوته بالسوء ..

وهذا هو الهدف من اختراع هذه الروايات وغيرها من الروايات التي
تتحدث عن تهافت النساء على النبي ووهب أنفسهن له ..



الرسول المشرع..

الرسول يضيف على القرآن
ويخالفه أيضاً..



جاء الرسل بعقيدة واحدة، لكنهم جاؤوا بشرائع مختلفة ..
وانحصرت مهمة التبليغ في دائرة العقيدة، وانحصرت مهمة التبيين في
محيط الشرائع ..

هذه هي مهمة الرسل، وهذه هي حقيقة الرسالة ..
والرسل لم يكن لهم علم مسبق بالشرائع وإنما كان لديهم علم بالوحدانية ..
ومن خلال هذا التصور يمكن القول إن الرسل ليس لديهم صلاحيات
الاجتهاد أو الإضافة على الأحكام التي يوحى بها إليهم ..
وكيف يمكنهم الاجتهاد أو الإضافة في شئ لا يفقهونه وليس لديهم رصيد
سابق عنه ..؟

من هنا فإن ربط الرسل بالاجتهاد أو الإضافة بعد صورة من صور الانحراف
العقائدي الذي وقعت فيه الأمم السابقة والذي أدى بالناس في النهاية إلى تأليه
الرسل وعبادتهم، وتولدت من خلال هذه العبادة عبادة حواريتهم ثم أحبارهم
ورهبانهم ..

وما ينطبق على الرسل ينطبق على رسولنا (ص) الذي نص القرآن على أميته
أي خلوه من الرصيد الثقافي قبل تسلمه مهام البعثة ..
إلا أن الفقهاء والمحدثين تجاوزوا هذه القاعدة ونسبوا إلى الرسول الكثير
من الروايات التي تدخله في دائرة الاجتهاد والإضافة، وهم بذلك قد تحققت
فيهم سنن الأمم السابقة من المغالاة في الرسل وتأليههم ..

وما سوف نعرضه هنا هو ذلك الكم من الروايات التي تصطدم بالقرآن والعقل والتي جاء بها المحدثون وألصقوها بالرسول، وما أضافه إليها الفقهاء من تحسينات وتأويلات وتبريرات بهدف دعمها وتبريرها وإضفاء المشروعية عليها حتى يتلقاها المسلمون بالقبول ..

ولقد نقل المحدثون عن الرسول (ص) الكثير من الروايات التي تحض على القرآن ووجوب تعهده والالتزام بأحكامه وتوجيهاته وأن الرسول أوصى به ..
روى : أن رسول الله (ص) قال : " إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها . وإن أطلقها ذهبت " ..
ويروى : " تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيلاً من الإبل في عقلها " ..

ويروى : " مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة والكرام، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران " ..
ويروى أن النبي (ص) أوصى بكتاب الله ..
ويروى أن الرسول (ص) أوصى في حجة الوداع بكتاب الله كما أوصى بعترته أهل بيته ..
ويروى عن الرسول قوله : " الحلال ما أحله الله في كتابه . والحرام ما حرمه الله في كتابه " ..

١ - البخاري كتاب فضائل القرآن ومسلم كتاب صلاة المسافرين .

٢ - المرجعين السابقين .

٣ - مسلم ، والبخاري كتاب التفسير .

٤ - مسلم والبخاري ، كتاب الوصايا .

٥ - مسلم كتاب الفضائل باب فضل الإمام علي، وانظر مسند أحمد .

٦ - سنن ابن ماجه .

ومن هذه الروايات وغيرها يتبين لنا أن الرسول لم يوص بسنته لاستحالة حفظها فهي علم وليست نصوصاً ، والعلم له أهله ممن يمتلكون مؤهلاته من الصحابة، ولأن القرآن يحتاج إلى البيان والبيان يحتاج إلى أمانة فمن ثم فإن الرسول قد انتخب أهل البيت وعلى رأسهم الإمام علي ليكونوا حملة علمه وبيانه وبعده، إلا أن الأمة من بعد الرسول لم تلزم خط الإمام علي وسارت على النهج القبلي الذي قام بدوره باختراع كم من الروايات التي تدعم مشروعيتها وتوطن في أذهان المسلمين أن هذا الخط هو خط الرسول وحامل علمه وبيانه .. ولا شك أن هذه الروايات لا بد وأن تحوي أحكاماً جديدة فوق أحكام القرآن أو لم ترد فيه وذلك حسب حاجة هذه الخط لها ..

من هنا برزت هذه الروايات المنسوبة للرسول (ص) والتي تضيف على لسانه أحكاماً جديدة وتختزع أحكاماً لا وجود لها في القرآن وتضع الرسول في دائرة المشرع ..

إن الرسول إنما كان يدعو دائماً إلى التمسك بهدي القرآن وحكمه لا بهديه وحكمه هو، فهو وظيفته التبيين والتبليغ فقط، وسوف نعرض هنا لنماذج من هذه الروايات ونصوص الفقهاء المتعلقة بها ليتبين لنا مدى مصادمتها للقرآن والعقل ..

في النكاح ومتعلقاته

يروى أن رسول الله (ص) قال : " لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها"^٧ .

ويروى أن النبي (ص) تزوج ميمونة وهو محرم..^٨

٧ - مسلم، البخاري كتاب النكاح . وانظر كتب السنن .

٨ - مسلم كتاب النكاح، البخاري كتاب الصيد، وابن سعد ج ٨

ويروى أن رسول الله (ص) نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل الحمر
الإنسية^٩ ..

ويروى أن رسول الله (ص) نهى عن الشغار، أي يزوج الرجل ابنته مقابل أن
يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق^{١٠} .

ويروى عن عائشة قالت جاءت سهلة بنت سهيل إلى رسول الله (ص) فقالت
يا رسول الله إني لأرى في وجه أبي حذيفة - زوجها - من دخول سالم .
فقال الرسول : " ارضعيه " .

فقالت : إنه ذو لحية .

فقال : " ارضعيه يذهب ما في وجه أبي حذيفة " .

فأرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة^{١١} ..

وبالنظر في الرواية الأولى يتبين لنا أنها تصطدم صراحة بالقرآن وتضيف حكماً
جديداً فوق أحكامه المتعلقة بالمحرمات من النساء.. يقول سبحانه: {وَلَا تَنْكِحُوا
مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا
* حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ
الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ
وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ
بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ
أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا

٩ - مسلم كتاب النكاح، لبخاري كتاب المغازي.

١٠ - مسلم والبخاري كتاب النكاح.

١١ - مسلم كتاب الرضاع والنسائي.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين
١٤٣

رَحِيمًا * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ... { [النساء: ٢٢ - ٢٤].

ويبدو من خلال هذا النص القرآني الصريح القطعي أن هناك خمسة عشر
نوعاً من النساء يدخلن في دائرة التحريم على الرجال وهن : * ما نكح الآباء ..
* الأمهات .. * بناتكم . * أخواتكم . * عماتكم . * خالاتكم .. * بنات
الأخ .. * بنات الأخت .. * أمهاتكم في الرضاعة .. * أخواتكم في الرضاعة ..
* أمهات نسائكم .. * ربائبكم من المدخول بها .. * بنات الابن .. * الأخنتين ..
* المحصنات (المتزوجات) ..

ومن الواضح أنه ليس بينهن عمّة الزوجة أو خالتها ..
قال الفقهاء : قوله (ص) " لا تنكح العمّة على بنت الأخ ولا ابنة الأخت على
الخالة " أي لا يجوز الجمع بينهما في النكاح وإن علت العمّة أو الخالة وإن
سفلت الابنة لأن ذلك يفضي إلى قطيعة الرحم وكذلك لا يجوز الجمع بينهما
في الوطء بملك اليمين ..

قيل هذا الحديث مشهور يجوز تخصيص عموم الكتاب به وهو قوله تعالى
{ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ } ..^{١٢}

وبهذا يتضح لنا أن الفقهاء لا يعينهم مدى مطابقة الرواية لنصوص القرآن
فما دامت هي صحيحة بطرق الإسناد التي ألفوها وأضفوا عليها العصمة، فهي
إذن صحيحة وما تتضمنه من أحكام يجب الأخذ بها كما تؤخذ أحكام القرآن ..
وعلى ضوء هذه النتيجة يستوي حكم رافض الأخذ بهذه الرواية مع رافض
الأخذ بحكم القرآن، فإذا حكم بكفر الثاني حكم بكفر الأول، وبالتالي أنزلت
الرواية منزلة القرآن ..

١٢ - مسلم، كتاب النكاح . هامش باب تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها ، وانظر فتح
الباري ج ٩ / كتاب النكاح، وكتب الفقه .

ولقد تجاوز الفقهاء هذا الحد بأن جعلوا الروايات حكماً على القرآن ومخصصة لعامة ومقيدة لمطلقة وناسخة لأحكامه ..

وهنا قد جعل الفقهاء رواية تحريم نكاح عمه الزوجة أو خالتها مخصصة لقوله تعالى { وَأَجَلٌ لَّكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ } ..

وهذه هي الطامة الكبرى، فهل يمكن للرسول أن يضيف أحكاماً جديدة على أحكام القرآن، وهل يملك ذلك من الأصل .. ؟

إن نصوص القرآن لا تعطه هذه الصلاحية ، ولو صح عن الرسول ذلك لكان ذريعة للمنافقين وأعداء الإسلام في زمانه ليطعنوا في هذا الدين ويشككوا في أحكامه ..

أما الرواية الثانية فتشير إلى أن الرسول (ص) يحرم على الناس ما يبيحه لنفسه، كما تشير إلى أن شهوة الرسول الطاغية نحو النساء دفعت به إلى انتهاك الشعائر المقدسة والدخول بامرأة في وقت الإحرام ..

يروى عن الرسول قوله : " لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب " ١٣ ..
قال الفقهاء : السنة ناطقة بجواز نكاح المحرم بنكاحه (ص) ميمونة حال إحرامه وذلك في عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع من الهجرة ..

والأصل في الأفعال العموم، والحلال لا يمنع من شيء من المباحات فأبي فائدة في إخبار تزوجه ميمونة في حله، والإخبار بهذا - أي بجواز نكاح المحرم - فيه فائدة الخبر وهي بيان جواز النكاح في الإحرام . فإنما الممنوع للمحرم النكاح بمعنى الوطء لا العقد ولا سبب لمنع عقدة النكاح له، . فإن قلت أنت تريد حمل لفظ النكاح الوارد في الحديث على معناه الحقيقي لغة لكن قوله (ص) " ولا يخطب يؤدي خلافه " . قلنا نعم ، ولكن ذكر الطحاوي أنه لم

يوجد في كل الروايات وإنما الموجود لا ينكح ولا ينكح، والمراد بالنكاح الواطئ، وبالمنكوح الموطوءة والمحرم من في الاحرام..^{١٤}
والظاهر من هذا الكلام أن الفقهاء في حيرة ما بين الروايات الواردة بالنهي عن نكاح المحرم، والروايات الأخرى التي تبيحه على ضوء فعل الرسول ..
ومسألة وجود الروايات المتناقضة التي تأمر بالحظر والإباحة في آن واحد هي مشكلة المشاكل في السنة المنسوبة للرسول، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على تخبط النقل أو عدم أمانة في الحفظ والرواية . وهي تدل على جانب آخر أهم وهو أن فكرة عصمة الرواية محل شك ..
وهناك كثير من الأمثلة على الأحاديث المتناقضة في كتب السنن والتي سوف نعرض لصورة منها عند حديثنا عن نهى الرسول عن زواج المتعة..^{١٥}
وإذا كان الفقهاء هنا قد رجحوا أحاديث إباحة نكاح المحرم فإنهم بهذا يكونون قد ردوا أحاديث النهي..

والسؤال هنا : إذن لماذا أبقوا على أحاديث النهي وصححوها ؟

إن الفقهاء في مواجهة أصحاب العقول - في زمانهم - والذين وجدوا من المبررات الشرعية ما يدفعهم إلى التمسك بالنهي عن النكاح المحرم - واضطروا إلى تفتيت المسألة وفصل النكاح العملي عن النكاح النظري، ومحاولة التأكيد أن الرسول تزوج ميمونة نظرياً أي عقداً ولم يدخل بها وهذه فذلكة لغوية لم تقبل، واعترض عليها على ما هو واضح من قول البعض: لكن لفظه (ص) " ولا يخطب يؤدي خلافه " أي إن الرسول لو كان يقصد النكاح بمعنى العقد فقط دون الوطاء ما كان يجب أن ينهى عن الخطبة أيضاً، لأن الخطبة صورة من صور

١٤ - مسلم، .كتاب النكاح ، هامش باب تحريم نكاح المحرم.

١٥ - أنظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ومشكل الحديث لابن الجوزي.

العقد، ثم إن رد الفقهاء على هذا الاعتراض يعطينا دليلاً جديداً على مدى تعبدهم بأقوال الرجال ونبد العقل، فهم اعترفوا بصحة هذا الاعتراض بقولهم : قلنا نعم .

لكنهم عادوا وتعلقوا بقول الطحاوي أن لفظة (ولا يخطب) . لا توجد في جميع الروايات الواردة حول القضية المثارة، ومعنى كلامهم هذا أنهم يميلون إلى الروايات التي ليس فيها ذكر لللفظة (ولا يخطب) وينبذون الأخرى..

ولا يوجد دليل أكبر من هذا على أن هؤلاء إنما يحكمهم هواهم لا دينهم، وحكم الهوى هذا هو الذي يدفع بهم إلى السير في ركاب الحكام وعشاق الدنيا، ومناصرة مثل هذه الروايات التي تشكك في أحكام الدين وفي الرسول . وكان الأجدر بهم على الأقل أن يميلوا إلى روايات الحظر نصرة للدين وللرسول ..

ونأتي إلى نهى الرسول (ص) عن متعة النساء ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر ..

وهذا النهي دليل على أنه كان هناك ما يبيح متعة النساء ولحوم الحمر، أي أن الرسول نهى عن شئ كان موجوداً ويمارس من قبل الصحابة، وواقع الإباحة لا يفرض وجود دليل لأن الأصل في الأفعال الإباحة ..
أما واقع النهي فيفرض وجود دليل..

وبتتبع الأمر في كتب السنن يتبين لنا أن هناك روايات عن الرسول تبيح متعة النساء - أي زواج المتعة - وروايات تنهى عنه..
وأن الإباحة كانت سيراً مع نص قرآني ، أما الحظر فليس له دليل سوى الروايات، أي لم يوجد دليل قرآني ينهى عن زواج المتعة ..

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ١٤٧

يروى عن ابن مسعود قوله : رخص لنا رسول الله (ص) أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ } ١٦ .

ويروى عن جابر بن عبد الله قوله : استمتعنا على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر ١٧ .

وفي رواية أخرى : ثم نهانا عنها عمر ١٨ .

وفي رواية : قال رجل - أي عمر - برأيه ما شاء ١٩ .

إن مثل هذه النصوص وغيرها تؤكد أن نكاح المتعة كان مستمراً ومطبّقاً بعد وفاة الرسول، وفي هذا إشارة إلى أن الرسول لم ينه عنه، ومثل هذه النتيجة تدفعنا إلى الشك في روايات النهي..

إلا أن الفقهاء هذه المرة ساروا على العكس من القضية السابقة وناصروا روايات الحظر وضربوا روايات الإباحة على الرغم من قوتها وموافقتها للقرآن للعقل والفطرة ، لكن هذه الأمور ليست بذات أهمية لدى الفقهاء فالمهم هو السند والتوافق المذهبي .

والإشكال هنا كالأشكال السابق وهو أن كلاً من روايات الحظر وروايات الإباحة صحيحة سنداً إلا أن روايات الإباحة لا توافق مذهبهم، وإنما توافق مذهب خصومهم من الشيعة ولأجل ذلك نبذوها وقالوا بنسخها . .

يقول الفقهاء وهو حرام بالكتاب والسنة .

أما السنة فلما في الصحيحين من نهيه (ص) عنه، وتحريمه تحريماً مؤكداً .

١٦ - مسلم كتاب النكاح، البخاري كتاب التفسير .

١٧ - مسلم .

١٨ - مسلم .

١٩ - البخاري كتاب التفسير، ومسلم كتاب الحج .

وأما الكتاب فقله تعالى : { إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ } .. { (المؤمنون / ٦)

والمتمتع بها ليست واحدة منهما، أما أنها ليست مملوكة فظاهر، وأما أنها ليست بزوجة فلأن الزواج له أحكام كالإرث وغيره، وهي منعدمة فيه باتفاق منا ومن المتدعة المخالفين لنا، لا ميراث فيها ولا نسب ولا طلاق والفراق فيه يحصل بانقضاء الأجل ..

وقول ابن مسعود واستدلاله بقوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ } . { فيه إشارة إلا أن ابن مسعود كان يعتقد إباحتها ولعله رجع بعد ذلك، أو استمر لعدم بلوغ النص إياه ، أو يقول كما قال ابن عباس بأنها رخصة عند الاضطرار؟^{٢٠} .

ويبدو من هذا الكلام أن الفقهاء لم يعملوا عقولهم في نصوص الإباحة فهم يقرؤون بعين واحدة هي عين التحيز للرواية على مذهبهم ويدافعون بمنطق الخصومة لا الموضوعية، فمن ثم يمكن القول أن استدلالهم على تحريم نكاح المتعة ونبد نصوص الإباحة وتحميل الرسول (ص) أمر تحريم ما أحل الله - هو أمر وادٍ وسقطة من سقطاتهم وذلك للأسباب التالية :

قولهم إن نصوص التحريم في الصحيحين يرد عليه بأن نصوص الإباحة في الصحيحين أيضاً ..

قولهم تحريماً مؤبداً مردوداً لثبوت استمرار الصحابة على تطبيق نكاح المتعة بعد الرسول وفي عهد أبي بكر وعمر ..

٢٠ - مسلم، كتاب النكاح، هامش باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ ثم استقر تحريمه إلى يوم القيامة ، وانظر كتب الفقه.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين
١٤٩

استدلّاهم بقوله تعالى { إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ .. }
على أن الإسلام لا يعترف إلا بنوعين من العلاقة الجنسية نص عليهما القرآن
وهما :

الزواج الدائم وملك اليمين ..

هذا الاستدلال مردود أيضاً لكون حكم إباحة المتعة نزل في المدينة،
والآية السابقة المستدل بها مكية والمكي لا ينسخ المدني حسب قواعد النسخ
والمنسوخ التي يعمل بها الفقهاء ويعتقدونها ..

وهذا الاستدلال من قبل الفقهاء يعني أن ملك اليمين بالإضافة إلى الزواج
الدائم يمكن أن يكونا بديلاً عن زواج المتعة ..

ونحن نفهم أن زواج الدائم إذا تيسرت أسبابه لن تكون هناك حاجة للزواج
المؤقت، لكن الذي لا يمكن فهمه هو كيف يكون ملك اليمين بديلاً عن زواج
المتعة .. ؟

هل هذا يعني أن الفقهاء ينادون بإشاعة ملك اليمين بين المسلمين بدلاً من
إشاعة زواج المتعة .. ؟

لقد وجد الفقهاء أنفسهم في مازق حرج ، إما أن يقرروا بإباحة زواج المتعة
وبالتالي ينصرون الشيعة خصومهم . وإما أن يوجدوا بديلاً لهذا الزواج .

وكان هذا البديل في نظرهم هو ملك اليمين، وهو بديل أدهى وأمر ..
وهم مع اختيارهم هذا لم يبينوا لنا أحكام ملك اليمين، وكيف يمكن
تطبيقه .. ؟

إن الفقهاء قد أعماهم الحقد على خصومهم الشيعة ولم يكلفوا أنفسهم
الاطلاع على مصادرهم ليعرفوا منها كيف يطبق نكاح المتعة وما هي شروطه ؟

فهم قد نسبوا إلى القائلين بإباحته أن هذا الزواج لا ميراث فيه ولا نسب وهذا غير صحيح فهذا الزواج يتعامل معه الشيعة كزواج شرعي إذا حدث من ورائه إنجاب فإن الابن ينسب لأبيه، ويحصل على كافة حقوقه الشرعية، وهو زواج يقوم على الإيجاب والقبول بين طرفي الزواج وبهذا يكون مستكملاً لأركانه الشرعية..

واستدلال ابن مسعود بقوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ.. } { قد أوقع الفقهاء في حرج وأدى إلى اعترافهم أن ابن مسعود كان يعتقد إباحة زواج المتعة، محاولين التشويش على هذا الاعتراف بقولهم:

ولعله رجع بعد ذلك أو استمر لعدم بلوغه نص النهي، وهذا مردود لأن ابن مسعود من فقهاء الصحابة، ومحاولتهم ربط موقفه بموقف ابن عباس مردود أيضاً لعدم ثبوته وثبوت ابن عباس على القول بإباحة زواج المتعة^{٢١}.

يروى أن عبد الله بن الزبير قام بمكة - حين استولى عليها أثناء صراعه مع الأمويين - فقال : إن ناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتنون بالمتعة يعرض برجل - أي ابن عباس - فناداه - أي ابن عباس - فقال : إنك لجلف جافٍ فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين - الرسول - فقال له ابن الزبير : فجرب بنفسك لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك^{٢٢}.

ونخرج من هذه الرواية بما يلي : أن ابن عباس كان مستمراً على موقفه بإباحة زواج المتعة حتى كف بصره وحتى عصر خلافة ابن الزبير ..

٢١ - أنظر تفاصيل أقوال الفقهاء حول زواج المتعة ومناقشتها في كتابنا : زواج المتعة حلال في الكتاب والسنة.

٢٢ - مسلم، باب نكاح المتعة.

أن ابن الزبير سب ابن عباس وهدده ولم يواجهه بنص شرعي يبطل موقفه ..
أن ابن عباس لم يتراجع عن موقفه ورد على ابن الزبير ..
إن ابن الزبير أصدر حكماً تهديدياً بـ رجم ابن عباس وهو ما له سند شرعي
سوى السلطان، أي أن ابن عباس كان يواجه ابن الزبير بالنص، وكان ابن الزبير
يواجهه بالسلطان وهو نفس موقف عمر الذي نهى عن المتعة بالسلطان..
يقول الفقهاء : قوله - أي ابن عباس - إنك لجلف جافٍ أي غليظ الطبع
قليل الفهم، وقوله - أي ابن الزبير - لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك لعل فيه
مبالغة في الوعيد لمنع المتعة^١.

وهذا التعليق من قبل الفقهاء على هذه الحادثة جانب حقيقة الأمر وموّه
عليه، وهو أن هذه الحادثة دليل على استمرار زواج المتعة بعد نهى عمر، وهو
على كل حال اعتراف صريح منهم بجهل ابن الزبير وأنه لا شأن له بمثل هذه
الأمور حتى أن قوله لأرجمنك لم يجد قبولاً لديهم، واعتبروه من نوع المبالغة
في العقاب، إذ أن رواياتهم تنص على أن حكم الرجم خاص بالزاني المحصن^٢.
المحصن^٢.

أما تحريم الحمر الأنسية - أي الأهلية - الذي ألصقه الرواة برواية تحريم
زواج المتعة، فهو كشأن الأحكام السابقة التي ابتدعتها الروايات على لسان
الرسول (ص)..

١ - المرجع السابق، الهامش.

٢ - اعتبر بعض الفقهاء قول ابن الزبير هذا دليل على جواز رجم ناكح المتعة ، وقال آخرون بعدم
جواز ذلك ، أنظر كتب الفقه ، وانظر كتابنا زواج المتعة حلال.

فمن المعروف أن الإسلام قد حرم كل ذي ناب من الحيوانات والطيور،
والحمر لا تدخل في دائرة الحيوانات المفترسة، صحيح أنها خلقت للركوب
وقضاء الحوائج لكن هذا لا ينفي جواز أكلها ..

وبالطبع هناك حيوانات أخرى خلقها الله سبحانه لكي تؤكل لحومها وتكون
طعاماً للإنسان وهي أولى بالأكل من الحمر، إلا أن ما يجب تأكيده هنا هو مبدأ
التحليل والتحریم أن الحمر في دائرة الإباحة، أما النهي فإنه يساويها ببقية
الحيوانات الأخرى المحظورة ..

يروى أن رسول الله (ص) نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع^١.
ويروى أنه في غزوة خيبر نحرروا الحمر الأهلية فلما غلت القدور نادى
منادي الرسول: اكفثوا القدور فلا تطعموا من لحوم الحمر شيئاً، فقلنا: إنما نهى
عنها النبي لأنها لم تخمس .
وقال آخرون حرّمها البتة^٢ ..

ويروى عن ابن عباس قوله: لا أدري أنه نهى عنه رسول الله (ص) من أجل أنه
كان حمولة الناس فكره أن تذهب حمولتهم، أو حرّمه في يوم خير^٣.
ويروى: نهى رسول الله (ص) يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في
الخيّل^٤.

ويروى: نحرنا على عهد النبي (ص) فرسا فأكلناه^٥.

١ - مسلم كتاب الصيد والذبائح والبخاري كتاب الذبائح والصيد.

٢ - مسلم كتاب الصيد والذبائح، والبخاري كتاب الخمس.

٣ - البخاري كتاب المغازي ومسلم كتاب الصيد والذبائح.

٤ - المصدرين السابقين ..

٥ - مسلم والبخاري كتاب الصيد والذبائح.

ويظهر من هذه الروايات أنها جميعها تضرب رواية النهي عن أكل الحمر وتشكك فيها .

فالرواية الأولى: تحرم كل ذي ناب والحمر لا تدخل في هذا ..
والرواية الثانية: تشكك في أسباب النهي أهو بسبب أن هذه الحمر لم تقسم ويؤخذ خمسها قبل أن تؤكل ، أو هو بسبب التحريم القطعي ..
والرواية الثالثة: تشكك في سبب النهي أهو وقتي أم دائم، فابن عباس لا يدري سبب التحريم أهو بسبب خوف الرسول من ألا يجد الناس ما يحملون عليه متاعهم . أم هي حرمت يوم خير لسبب آخر .

والرواية الرابعة والخامسة: تتناقض مع الروايات السابقة خاصة رواية النهي ، فهي تنهى عن لحوم الحمر وتبيح لحم الخيل مع أن الحمر لا تختلف عن الخيل في شيء، فكلاهما من أكلة الحشائش، وكلاهما يستخدم في الركوب، بل أن أهمية الخيل أكبر بكثير من أهمية الحمير ..
وإذا كان قد نحر الفرس في عهد النبي لضرورة، فإن الضرورة تحكم أيضاً أن تتطلب الحاجة نحر حمار كما حدث في خير ، فهم قد نحرُوا حماراً ولم ينحروا فرساً مع أن الخيل كانت موجودة ..

ومثل هذا التناقض الذي نراه في الروايات المنسوبة للرسول إنما يدعونا إلى إعادة النظر في مثل هذه الروايات، وعدم التسرع في بناء حكم شرعي عليها سواء أكان بالحظر أو بالإباحة، فسلطة التشريع هذه من خصائص الله سبحانه وليست من صلاحيات البشر ..

وكان يجب على الفقهاء أن يكون أول الممثلين لهذا لكنها عبادة الرجال..

أما نكاح الشغار الذي أدخل في دائرة التحريم أيضاً فينطبق عليه ما ينطبق على نكاح عمّة الزوجة أو خالتها ونكاح المتعة من أن آية سورة النساء لم تشملها فمن ثم هو يناقض القرآن ويضيف حكماً جديداً فوق الأحكام القطعية التي نصت عليها ..

يقول الفقهاء : الشغار أن يزوج الرجل ابنته لرجل على أن يزوجه الآخر ابنته، والشغار كما يكون على البنت يكون على الأخت وعلى غيرهما ، وليس بينهما صداق أي مهر على أن يضع كل واحد منهما صداق الأخرى ولا مهر سوى ذلك ..

وكان سائغاً في الجاهلية وحكم هذا العقد عندنا صحته وفساد التسمية، فيجب مهر المثل فبلزومه يخرج من كونه شغاراً لأنه مأخوذ فيه عدم الصداق، وحكمه عند غيرنا بطلانه، والمسألة من مباحث النهي في أصول الفقه ..

قل الخلاف فيما إذا ذكر كون بضع كل منهما صداق الأخرى، وأما إذ لم يذكر بل قال زوجتك ابنتي على أن تزوجني ابنتك ولم يزد عليه فقبل، فالعقد جائز اتفاقاً ولا يكون شغاراً، ولو قوله على أن يكون بضع ابنتي صداقاً لابنتك كان نكاح الثاني صحيحاً اتفاقاً والأول على خلاف . ويبطل العقد عند الثلاثة وقال أبو حنيفة يصح بمهر^١ .

ويبدو من هذا الكلام أن جوهر المسألة هو الصداق، أي لو كان هناك صداق جاز هذا الزواج، إذن المسألة ليست في حركة التبادل بين شخصين هذا يزوج هذا ابنته أو أخته أو عمته مقابل أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته أو عمته، فالزواج الصحيح في ذاته، والفقهاء حاثرون ما بين الحكم بطلان هذا الزواج وما بين الحكم بإباحته، وهذه الحيرة دليل على أن هذه الرواية لا تفيد بشئ قطعي أو

١ - مسلم . كتاب النكاح ، هامش باب تحريم نكاح الشغار وبطلانه .

هي تصطدم بزواج مستكمل شروطه الشرعية ، وإذا كان الصداق هو الذي يضيف المشروعية على هذا الزواج فإن ذلك يفتح باب التحايل بأن يسمى كل من طرفي الزواج أي مهر دفعا للخرج ..

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل الصداق ركناً من أركان الزواج ؟
والجواب لا . وهذا ما عليه الفقهاء^١ .

إذن كيف جعل الصداق وسيلة لإخراج زواج الشغار من دائرة الحرمة إلى دائرة الإباحة . ؟

لقد بارك الفقهاء الرواية لكونها صادرة عن البخاري ومسلم وأدوا دورهم بوضعها في مصاف نصوص التحريم ..

في الدماء

يروى أن رسول الله (ص) قال : " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمارق من الدين المفارق للجماعة " ^٢ .

ويروى عن عمر قوله : الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء . إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف ^٣ ..

وسئل عبد الله بن أبي أوفى : هل رجم رسول الله (ص) ؟
قال : نعم ..

قلت : قبل سورة النور أم بعد ؟

قال : لا أدري ^١ .

١ - يجمع الفقهاء على أن ركني الزواج الإيجاب والقبول ، وهذا ما دلت عليه النصوص .

٢ - مسلم كتاب القسامة ، والبخاري كتاب الديات .

٣ - مسلم والبخاري كتاب الحدود .

ويروى عن الرسول قوله : " من بدل دينه فاقتلوه " ٢ .
ويروى أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله (ص) فأزله
الشیطان - أي ارتد - ولحق بالكفار . فأمر به رسول الله أن يقتل يوم الفتح،
فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره رسول الله ٣ .
ويروى عن الرسول (ص) قوله : " إذا أبق العبد إلى الشرك فقد حل دمه " ٤ .
ويروى عن الرسول (ص) قوله : " من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي
جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان " ٥ .
ومن خلال هذه الروايات يتبين لنا أن هناك ثلاثة مبررات لإباحة دماء
المسلمين نسبت إلى الرسول (ص) وهي : الشيب الزاني (الزاني المحصن) ..
المرتد ..

المفارق للجماعة ..

والأحكام الثلاثة الأولى لم ينص عليها القرآن ..

أما النفس بالنفس فهي من باب القصاص الذي نص عليه القرآن وربط هذا
الحكم القرآني بحكمين آخرين لم ينص عليهما القرآن كما في الرواية الأولى
هو من مكر الرواة الذين يحاولون إضفاء الشرعية على أحكام ما أنزل الله بها من
سلطان ..

١ - المرجعين السابقين .

٢ - أبو داود كتاب الحدود والبخاري كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد . وانظر فتح الباري

ج ١٢ / ٢٦٧

٣ - أبو داود المرجع السابق.

٤ - المرجع السابق.

٥ - مسلم كتاب الإمامة.

وفيما يتعلق بحكم الرجم فقد نصت رواية عمر على أن حكم الرجم في كتاب الله بينما هو لا وجود له في كتاب الله..
وهذا التصريح من عمر يعطينا دلالة هامة وهي أن الناس لا تتقبل بفطرتها إلا أحكام القرآن وهو ما دفع بعمر إلى التأكيد على أن حكم الرجم موجود في القرآن ..

وحتى تتضح لنا الصورة لا بد من تتبع رواية عمر من أولها ..
تقول الرواية : إن الله قد بعث محمدا (ص) بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها فرجم رسول الله ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وأن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف ..
ويبدو من خلال كلام عمر أنه شم رائحة معارضة لحكم الرجم فصعد المنبر ليحذر من ذلك ..

والغريب في كلام عمر أنه قد اعتبر الرجم فريضة تركها ضلال، وكيف يكون فريضة وهو ليس في كتاب الله، وكيف يضل من يعمل بكتاب الله؟
قال النووي : قوله - أي عمر - آية الرجم أراد بها (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة) وهذا مما نسخ لفظه وبقي حكمه..

والتعليق على قول النووي هذا والذي هو رأي جميع الفقهاء - يجرنا إلى مناقشة قضية النسخ والمنسوخ وهل هناك نسخ في القرآن ..؟
يعرف الفقهاء النسخ بقولهم : هو نسخ حكم شرعي سابق بحكم شرعي لاحق..

وهو أنواع ثلاثة : ما نسخ لفظاً وبقي حكماً ، ما نسخ لفظاً وحكماً، ما نسخ حكماً وبقي لفظاً ..

والنوع الأول هو ما يتعلق بحكم الرجم .

والنوع الثاني مثل رواية عائشة قالت : كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفى رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن^١ .

وقول عائشة هذا يشير إلى جهلها بالقرآن إذ لا توجد آية تتحدث عن خمس رضعات في القرآن ، ولو كانت موجودة فأين تكون قد ذهبت..؟
وقد رد أحد الفقهاء على عائشة بقوله : لا حجة في خمس لأن عائشة أحالتها على أنه قرآن وقالت : ولقد كانت في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها، وقد ثبت أنه ليس من القرآن لعدم التواتر ولا تحل القراءة به ولا إثباته في المصحف، ولا يجوز القيد به لأننا إنما نجوز التقيد بالمشهور من القراءة ولم يشتهر ولأنه لو كان قرآناً لكان متلوّاً اليوم إذ لا نسخ بعد النبي (ص)^٢ .

وما لم تؤكد لنا هذه الرواية التي تتحدث عن صحيفة عائشة هو أن عائشة كتبت شيئاً عن الرسول على أنه قرآن وما هو بقرآن ، وهذا مؤداه الشك في فقه عائشة وفي رواياتها أيضاً ..

أما النوع الثالث فمثله قوله تعالى : {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَلْيَسْأَلْنَهُنَّ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} (النساء / ١٥)

١ - مسلم كتاب الرضاع.

٢ - هامش مسلم ، كتاب الرضاع باب التحريم بخمس رضعات ، وهو مذهب الشافعي.

فهذه الآية قد نسخت بآية سورة النور التي حددت حكم الزاني بالجلد مائة جلدة علناً^٣.

وبالتأمل في فكرة النسخ وأنواعه يتبين لنا أنها فكرة تضر بالقرآن وتعتدي على نصوصه، إذ أن تبنيها يعني تعطيل الكثير من الأحكام المنصوص عليها في القرآن التي من الممكن أن تسهم في حل الكثير من المشكلات المعاصرة ..
ويكفي القول إن فكرة النسخ هي من ابتداع الرواة وقام الفقهاء بتأصيلها ولا يوجد ما يعضدها من نصوص القرآن^٤.

وهل يقبل العقل أن يعطل نص من نصوص القرآن يتلى على الملاء بينما يلزم المسلمون بحكم لا وجود له في القرآن ويدعي أنه كان موجوداً فيه ..؟
إن الفقهاء لم يتوقفوا عند حد تبني فكرة نسخ القرآن بالقرآن بل تجاوزوا هذا الحد بتبنيهم نسخ القرآن بالروايات وهو ما أشرنا إلى صورة منه فيما يتعلق بزواج المتعة حين قرروا نسخ قوله تعالى { فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ } الخاص بإباحة زواج المتعة، برواية النهي التي ذكرناها^٥.
أما الرواية الثانية حول الرجم فهي تشكك في الرجم ولا تجزم بقطعيته فراويناها لا يدري إن كان حكم الرجم قد طبق قبل نزول آيات سورة النور أم لا..

٣ - أنظر سورة النور آية رقم ٢

٤ - يعتمد الفقهاء على قولهم بالنسخ على قوله تعالى { مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا } .. (البقرة : آية رقم ١٠٦) ، وهو ما يقول به المفسرون أيضاً . إلا أنه بالتأمل في النص يتبين أن الآية المقصودة هنا هي آيات الكون لا الآيات القرآنية. ..

٥ - النساء آية رقم ٢٤ . وانظر تفاصيل مناقشة نسخ هذه الآية في كتابنا : زواج المتعة.

إلا أن ما تؤكد هذه الرواية هو أن السؤال الذي توجه به السائل يحمل دلالة قوية على أن آيات سورة النور نسخت حكم الرجم وهو مبرر سؤال السائل : قبل سورة النور أم بعد .. ؟

أما رواية : من بدل دينه فاقتلوه، فأقل ما يقال فيها أنها رواية من صنع السياسة لضرب التيارات المعارضة لأنظمة الحكم التي كانت سائدة في تلك الفترة، واتهامها بالردة والزندقة وإضفاء المشروعية على عملية تصفيتها والقضاء على رؤوسها ..

وهذه الرواية تصطدم بعدة نصوص قرآنية صريحة منها :
{ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قِيمَتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة: ٢١٧]
{ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ.. } [البقرة: ٢٥٦]
{ .. أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } [يونس: ٩٩]
{ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ.. } [الغاشية: ٢٢]
{ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ .. }
(الكهف: ٢٩) .

ومن هذه النصوص وغيرها يحدد القرآن أن حرية الاعتقاد مطلب انساني وحق من الحقوق التي يجب احترامها في ظل الحياة الدنيا التي هي دار اختبار، فمن ثم لم يحدد عقوبة للمرتد في الدنيا وهو ما ينص عليه صراحة قوله تعالى {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ..}٦.

وهذا دليل قاطع وبرهان ساطع على بطلان رواية من بدل دينه فاقتلوه،
وكونها مختلفة، فليس من الممكن أن يصل الحال بالرسول إلى أن يتحدى
القرآن بهذه الصورة الفجة ..

وإذا كان الفقهاء قد تبنا هذه الرواية وبنوا على أساسها أحكاماً تتعلق بالردة
والمرتدين وكيفية تطبيق حد الردة عليهم، إلا أنهم لم يجيئونا على حكم
اليهودي الذي ينتقل إلى المسيحية أو المسيحي الذي ينتقل إلى اليهودية فهذه
الرواية على ما يبدو عامة وليست خاصة ، فهل يعني هذا أن حكم الردة
يشملهم..؟

ورواية شفاعة عثمان لعبدالله بن أبي السرح بعد أن ارتد وقبول الرسول
لشفاعته تطرح أمامنا السؤال التالي:
إذا كان قتل المرتد حكماً شرعياً وحداً من حدود الله فهل يجوز أن تقبل
الشفاعة فيه..؟

والجواب: هو رواية عائشة قالت : إن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية
التي سرقت فقالوا : ومن يكلم فيها رسول الله (ص) ؟
فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ؟ فكلمه أسامة .
فقال رسول الله : " أتشفع في حد من حدود الله ؟ " ثم قام فخطب^٧..
والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : كيف يقبل الرسول الشفاعة في حد
المرتد ويرفضها في حد السرقة .. ؟

والجواب أن هذا التناقض هو من صنع الرواة ولا شأن للرسول به، فرواية
عثمان وابن أبي سرح لها أبعاد سياسية وتهدف إلى دعم عثمان وخطه، وإبعاد

٧ - مسلم كتاب الحدود ، والبخاري كتاب الأنبياء.

الشبهة عنه في حمايته وتأمينه لابن أبي السرح الذي فر من وجه الرسول والمؤمنين ولم يظهر إلا في عهد عثمان، كما نصت على ذلك الكثير من الروايات التي يتداولها القوم، فالرواية تهدف إلى تأكيد أن عثمان حصل على عفو من الرسول مباشرة بشأن ابن أبي السرح لا كما تقول الروايات الأخرى التي استثمرها خصوم عثمان^٨.

أما رواية المخزومية فحادثة جنائية عادية لا تمت من قريب أو بعيد بأي من الرموز القبلية التي يراد تضخيمها وإحاطتها بهالة مقدسة ..
ورواية إذا أبق العبد إلى الشرك فقد حل دمه . هي دعم للروايات السابقة بشأن حكم المرتد ..

إلا أن الخلاف في التعبير والألفاظ هنا يؤكد ما طرحناه سابقاً من أن الروايات إنما تروى بالمعنى لا بالنص الحرفي الذي نطق به الرسول إن صح نسبتها إليه، وهي تخضع لأهواء الرواة ومذاهبهم مما يضعها في دائرة الشك والتمحيص ..

أما رواية من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان ، فمن الواضح أن الذي نطق بها هو معاوية أو حاكم من الحكام وليس رسول الله (ص) ..

وهذه الرواية تفقد جميع الثورات التي هبت في وجه الطغاة من الحكام في تاريخ المسلمين مشروعياتها وتصورها وكأنها حركات قطاع طرق ..
وهي من جانب آخر تضيفي المشروعية على الحاكم وتبرر له سحق هذه الثورات بفرمان رسولي ..

٨ - أنظر كتب التاريخ وترجمة عثمان في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني والاستيعاب لابن عبد البر، وأسد الغالب لابن الأثير.

وفي منظور الفقهاء وحتى الصحابة من أنصار الخط القبلي مثل أبي هريرة وابن عمر وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة، أن الأمة اجتمعت على معاوية وولده يزيد من بعده، ثم اجتمعت على سائر حكام بني أمية وبني العباس من بعد، فمن ثم فإن هؤلاء هم جماعة المسلمين ومعاوية ويزيد ومن تلاهم هو إمام المسلمين الذي لا يجب الخروج عليه وشق عصا الطاعة، وإن من يقع في هذا المحذور فهو حلال الدم، ولا شك أن مثل هذا الحكم إنما هو موجه إلى خط الإمام علي وأهل البيت وشيعتهم، فهؤلاء هم الذين قادوا الثورات ضد هؤلاء الحكام بداية من الحسين (ع) الذي ثار في وجه يزيد بن معاوية ..

وقد اعتبرت روايات أخرى الخروج وشق عصا الطاعة مروق من الدين كالرواية التي ذكرناها والتي نصت على الربط بين المارق من الدين والمفارق للجماعة ..

ونحن نتوجه إلى الفقهاء مطالبين بأن يأتونا بنص من كتاب الله يدعم مثل هذه الروايات، أو برهان عقلي يجعلنا نطمأن أن جماعة المسلمين هي جماعة معاوية أو يزيد أو أبي جعفر المنصور أو غيرهم من الحكام ..؟

يقول الفقهاء : وفي هذا دليل على أن مذهب عبد الله بن عمر كمذهب الأكثرين في منع القيام على الإمام وخلعه إذا حدث فسقه، أما إذا كان فاسق قبل عقدها - أي البيعة - فاتفق على أنها لا تنعقد له، لكن إذا انعقدت له تغلباً أو اتفاقاً ووقعت كما اتفق ليزيد، صار بمنزلة من حدث فسقه بعد انعقادها له فيمتنع القيام عليه، ويدل على ذلك إنكار ابن عمر على ابن مطيع في قيامه على يزيد، وقد احتج من أجاز القيام بخروج الحسين وابن الزبير وأهل المدينة على بني أمية واحتج الأكثرية على المنع بأنه الظاهر من الأحاديث^٩.

٩ - مسلم، هامش باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، كتاب الإمارة.

ويروى عن الرسول قوله : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله " ١٠ .
وفي رواية : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله " ١١ .
إن زمن هذه الرواية هو خلافة أبي بكر حين خرجت عليه العرب وأراد ردعهم فتصدى له عمر بقوله : كيف تقاتل الناس وقد قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ..

وكان جواب أبي بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة..
وهذا الصدام الذي وقع بين أبي بكر وعمر يعود سببه إلى أن المسألة لا صلة لها بالشرع وأحكامه، وإنما هي مسألة قبلية تتلخص في عدم الرضا عن أبي بكر كحاكم، ولو حسبت المسألة بأي حساب آخر كان ذلك مجانية للحقيقة والصواب .

إذ لو حسبناها بالحساب الشرعي فإننا نجد أن موقف عمر سليم من الناحية الشرعية لكونه يتحصن بنص منسوب للرسول، بينما أبو بكر يتحصن برأيه فقط..
من هنا فإن ظهور هذا النص في تلك الفترة من قبل عمر - راويه - في مواجهة أبي بكر إنما يعني أن هذا النص كان موجها للعرب وهم قد دخلوا في دين الله، فمن ثم ليست هناك حاجة لقتالهم من جديد، وهي وجهة نظر عمر، إلا أن أبا بكر أصر على موقفه لأسباب تتعلق بمستقبل نظامه واقتنع بها من نفس

١٠ - مسلم كتاب الإيمان البخاري كتاب الزكاة.

١١ - مسلم البخاري كتاب الإيمان.

المنظور عمر متخلياً عن النص الذي وجه بعد ذلك نحو الشعوب غير العربية، وأصبح سلاحاً في يد الحكام يشهرونه ما بين الحين والآخر في وجه أصحاب الديانات الأخرى، وفي وجه المعارضة الإسلامية والقوى المناوئة لنظامهم والتي كانوا يدفعون بها في جيوشهم الغازية تحت شعار الجهاد في سبيل الله وإدخال الناس في دين الله، من أجل الخلاص منها^{١٢} .

وإن المتأمل في حركة الفتوحات الإسلامية سوف يتبين له أنها لم تسهم في إدخال الناس في دين الله وأنها أسهمت في زيادة ثروات الحكام، وكانت في حقيقتها صدام عسكري بين حكم عربي وحكم آخر أسقط بالقوة بينما بقيت الشعوب على حالها وقد فرضت عليها الجزية والخراج^{١٣} .

والمتأمل في نص الروايتين يكتشف أن الرواية الأولى اقتصرت على عصمة الدم والمال بمجرد قول لا إله إلا الله، بينما الرواية الثانية زادت عليها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهذا يدعوننا إلى الشك في الروايتين، فالرواية الأولى لا تدعم رؤية أبي بكر بينما الرواية الثانية تدعم موقفه وتضفي عليه الشرعية، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا عارضه عمر .. ؟

إن القوم يناقضون أنفسهم بتبني روايات تناقض بعضها وتضعهم في موطن الحرج، وسوف نعرض لنماذج من هذه الروايات التي تقودنا إلى نتيجة محددة وهي عدم شرعية موقف أبي بكر وقتاله للمخالفين له ..

١٢ - أنظر قصة الحجاج بن يوسف مع عبد الرحمن بن الأشعث في غزوة دير الجماجم بكتب التاريخ.

١٣ - كان معاوية ومن تلاه من الحكام يصادرون نفائس الغنائم من الجنود ويأخذونها لأنفسهم ويحولون بين الناس وبين الدخول في الإسلام خوفاً من تدني دخل الدولة من الجزية والخراج حتى جاء عمر بن عبد العزيز، أنظر الطبري وكتب التاريخ.

١٦٦ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

يروى عن الرسول قوله : " ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار " ^{١٤} .
ويروى : " من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وسرق " ^{١٥} .
ويروى : " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمة ألقاها إلى مريم وروح منه . والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل " ^{١٦} .
ويروى : أن أسامة بن زيد قتل رجلاً بعد أن نطق بلا إله إلا الله ، فعنفه الرسول (ص) ^{١٧} .

ومثل هذه الروايات وغيرها إنما تؤكد عصمة الدماء لا استباحتها ، وتؤكد من جانب آخر أن مشروعية استباحة الدماء هي مشروعية خاصة بالرسول وحده ، فهو الناطق بأمر الله سبحانه المطبق لشرعه كما أمر ، فمن ثم فلن تراق على يده دماء بغير حق ، لكن هذه الروايات وبدعم الفقهاء منحت هذه المشروعية للحكام من بعد الرسول فاعملوا في حصانتها السيف في رقاب المسلمين . .
ولأجل ذلك روي : أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة وراء كل إمام برا كان أو فاجرا ^{١٨} .

١٤ - مسلم كتاب الإيمان والبخاري كتاب العلم .

١٥ - البخاري كتاب اللباس ومسلم كتاب الإيمان .

١٦ - مسلم كتاب الإيمان والبخاري كتاب الأنبياء .

١٧ - البخاري كتاب المغازي ومسلم كتاب الإيمان ، ومثله حدث مع خالد بن الوليد حين قتل رجلاً من بني خزيمة بعد أن استأمنهم ، وقال فيه الرسول : " اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد " ، أنظر سيرة ابن هشام .

١٨ - أنظر كتب العقائد مثل العقيدة الطحاوية وشرحها والعقيدة الواسطية وغيرهما .

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين
١٦٧

وروي : من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من شعب
النفاق^{١٩}.

فمثل هذه الروايات التي باركها الفقهاء هي التي دفعت بالمسلمين للقتال
تحت راية الحكام بدعوى الجهاد ..

في العبادات والمعاملات

ولقد نسب الرواة للرسول الكثير من الأحكام التي تتعلق بالعبادات
والمعاملات والتي تحولت بمرور الزمن إلى أمور مسلم بها يتعبد بها المسلمون
ويحتكمون إليها خاصة بعد أن اعتمد الفقهاء هذه الروايات وتنافسوا فيما بينهم
على الاجتهاد واستنباط الأحكام على ضوءها ..

ومن هذه الروايات : يروى أن رسول الله (ص) دعا بإناء فأفرغ على كفيه
ثلاث مرات فغسلها، ثم أدخل يمينه في الإناء ، فمضمض واستنشق ثم غسل
وجهه ثلاثاً ، ويديه إلى المرفقين ثلاثاً، ثم مسح برأسه ، ثم غسل رجليه ثلاث
مرات إلى الكعيين ، ثم قال : " من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا
يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه " ^{٢٠}.

ويروى أن الرسول توضأ ومسح على الخفين ^{٢١}.

ويروى أن الرسول قال : " إذا قال الإمام (غير المغضوب عليهم ولا
الضالين) فقولوا آمين ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من
ذنبه " ^{٢٢}.

١٩ - مسلم كتاب الإمارة باب ذم من مات ولم يغز.

٢٠ - مسلم كتاب الطهارة والبخاري كتاب الوضوء.

٢١ - البخاري كتاب الوضوء ومسلم كتاب الطهارة.

ويروى أن الرسول قال : " إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم ليسلم ثم ليسجد سجدتين " ٢٣ .

هذا بعض ما نسب القوم إلى الرسول (ص) بشأن الصلاة ..

وفيما يتعلق برواية الوضوء فهي تخالف مخالفة صريحة ما نص عليه القرآن بشأن الوضوء وهو ما يظهر من قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ } (المائدة : ٦).

هذا النص القرآني يحدد أن الوضوء ينحصر في حدود الوجه واليدين والرأس والرجلين ، وإذا كان هذا ما حدده النص فكيف للرسول أن يخالفه ويضيف المضمضة والاستنشاق ... ؟

والنص القرآني كما هو واضح أوجب مسح الرأس والرجلين بينما الرواية تنص على أن الرسول مسح الرأس وغسل الرجلين وكأن الرسول بهذا الفعل قد خالف القرآن ..

والرواية الثانية تصطدم بالنص القرآني السابق إذ أن النص أوجب المسح على الرجلين وهذا يعني عدم وجود حائل ، والرسول مقيد بالنص وهذا يعني أن فكرة الخفين من اختراع الرواة ..

أما الرواية الثالثة فهي تضيف على القرآن صراحة ما ليس فيه ، فسورة الفاتحة ختامها (ولا الضالين) والرواية تضيف كلمة (آمين) وتضيف عليها القدسية بجواز تلاوتها في الصلاة بل ومباركة الملائكة لهذه التلاوة ..

٢٢ - البخاري كتاب الآذان ، ومسلم كتاب الصلاة.

٢٣ - مسلم كتاب المساجد ، والبخاري كتاب الصلاة.

ولا يعقل أن الرسول (ص) يضيف على القرآن ما ليس فيه ثم يدخله في الصلاة التي هي مناجاة بين العبد والرب ..

والرواية الرابعة نسبت إلى الرسول السهو والنسيان في الصلاة وما تنبه لسهوه ونسيانه إلا بتنبيه الناس له بقولهم : يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء ؟ قال : " وما ذاك " ؟

قالوا : صليت كذا وكذا^{٢٤}.

وهذا الحديث يشير إلى أن الذين كانوا من خلف الرسول كانوا أكثر تركيزاً وتنبيهاً منه في الصلاة ..

فهل يعقل مثل هذا الكلام في حق النبي (ص)؟

وماذا كان يشغل الرسول عن ذكر ربه أثناء الصلاة؟

ثم أليس نسبة النسيان إلى النبي يعد طعناً في قدرته على تلقي الوحي وتبليغه للناس .. ؟

ثم كيف للناس أن يذكروا الرسول في قضايا الشرع والتعبده وهو وظيفته أن يذكر الناس؟

والله سبحانه يقول له : { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ .. } (الغاشية: ٢٢)

وفيما يتعلق بالمعاملات: يروى أن النبي (ص) جعل للجدة - في الميراث - السدس إذا لم يكن دونها أم^{٢٥}.

ويروى جاءت جدة إلى أبي بكر تسأله ميراثها..

فقال : ما لك في كتاب الله تعالى شيء، وما علمت لك في سنة نبي الله (ص) شيئاً، فارجعي حتى أسأل الناس، فشهد المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة أنهما حضرا رسول الله فأعطاهما السدس^{٢٦}.

٢٤ - مسلم كتاب المساجد ، والبخاري كتاب الصلاة.

٢٥ - أبو داود ، كتاب الفرائض.

ويروى أن رجلاً جاء إلى النبي (ص) فقال إن ابن ابني مات فمالي من ميراثه ؟ فقال : " السدس " . فلما أدبر دعاه فقال : " لك سدس آخر " . فلما أدبر دعاه فقال : " إن السدس الآخر طعمة " .

قال قتادة : فلا يدرون مع أي شيء ورثه ، أقل شيء ورث الجدة السدس^{٢٧} .
وهذه الروايات تضيف إلى أحكام الموارث التي نص عليها القرآن حكماً جديداً على لسان الرسول وهو ما يتضح من الرواية الأولى . .
أما الرواية الثانية فهي تكشف لنا أن هذا الحكم قضى به أبو بكر على أساس شهادة اثنين نسباه إلى الرسول ولم يكن هو على علم به . .
أما الرواية الثالثة فهي تكشف لنا أن الرسول حكم للجدة بالسدس أيضاً ، وهو ما لا يجوز شرعاً لأن الذكر له مثل حض الأنثيين فإما أن يكون السدس للجدة وللجدة نصف السدس ، وإما يكون الرسول قد أخطأ في الحكم ، وإما أن يكون هذا الحكم هو من اختراع الرواة . .

والاحتمال الثالث هو الأقرب ، فلا يعقل أن يساوي الرسول بين الذكر والأنثى في الميراث ، كما لا يعقل أيضاً أن يتردد الرسول في الحكم عدة مرات يضيف فيها سدساً آخر للسائل . .

يروى أن رجلاً سأل النبي (ص) : كيف أصنع في مالي . . ؟
كيف أقضي في مالي ؟

فلم يجب النبي بشيء حتى نزلت آية الميراث^{٢٨} .

في الزينة والسلوكيات

٢٦ - المرجع السابق .

٢٧ - المرجع السابق .

٢٨ - مسلم . كتاب الفرائض . والبخاري كتاب المرضى .

يروى أن الرسول (ص) قال : " إن الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجر جر في بطنه نار جهنم " ^١ .

ويروى نهانا رسول الله (ص) عن سبع : نهانا عن خواتيم الذهب وعن الشرب في الفضة أو قال آنية الفضة وعن المياثر والقسي وعن لبس الحرير والديباج والاستبرق ^٢ .

ويروى أن النبي (ص) قال : " لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة " ^٣ ..
الآخرة ^٣ ..

ويروى عن الرسول قوله : " من لبس الحرير في الدنيا فلن يلبسه في الآخرة " ^٤ .

ويروى عن عمر : أن رسول الله نهى عن الحرير إلا هكذا وأشار بإصبعيه اللتين تليان الابهام ^٥ .

ويروى عن عمر أيضاً أنه رأى حلة سبراء عند باب المسجد . فقال يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا .. فقال الرسول : " إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة " ..

ثم جاءت رسول الله منها حلل فأعطى عمر منها حلة . فقال عمر : يا رسول الله كسوتنيها وقد قلت في حلة عطار ما قلت ..

١ - مسلم كتاب اللباس والزينة ، البخاري كتاب الأشربة .

٢ - المرجعين السابقين .

٣ - البخاري كتاب الأطعمة ، ومسلم كتاب اللباس والزينة .

٤ - مسلم والبخاري كتاب اللباس والزينة .

٥ - المرجعين السابقين .

فقال الرسول : "إني لم أكسكها لتلبسها فكساها عمر أخا له بمكة مشركاً^١.
ويروى : أهدى إلى النبي (ص) مزوج حرير فلبسه فصلى فيه . ثم انصرف
فنزعه نزعاً شديداً كالكاره له . وقال : " لا ينبغي هذا للمتقين "^٢.
ويروى أن النبي رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في قميص من حرير،
من حكة كانت بهما^٣.
وما تهدف إليه هذه الروايات هو الوصول إلى الحكم بتحريم الحرير، وأن
الفقهاء قد قاموا على ضوء هذه الروايات بتقنين هذا التحريم، لكن السؤال هنا :
هل هذه الروايات تفيد التحريم وتقطع به . . ؟
والإجابة سوف تتضح لنا من خلال استعراض الروايات . .
الرواية الأولى تنهى عن لبس الحرير والديباج والاستبرق والمياثر والقسي
ولم تنه عن الحرير وحده .
وهذا يعني أن التحريم شملهم إلا أن جميع الروايات تركز على تحريم
الحرير وحده . فهل هذه الإضافة من الرواة أو أن هذه الأنواع من الملابس
ليست حراماً ولأجل ذلك أغفلتها الروايات الأخرى . . ؟
وفي كلتا الحالتين هذا أمر يثير الشك في مثل هذه الروايات ..
وبالتدقيق في نصوص القرآن لا نجد أية إشارة إلى تحريم الحرير وهذا
يعني أن أمر التحريم، خاص بالروايات وحدها وهو بمثابة إضافة حكم جديد
فوق أحكام القرآن . .

١ - البخاري كتاب الجمعة ومسلم كتاب اللباس والزينة.

٢ - مسلم كتاب اللباس والزينة، والبخاري كتاب الصلاة.

٣ - البخاري كتاب الجهاد ، ومسلم كتاب اللباس والزينة، وانظر أبا داود وكتب السنن.

وفي الرواية الثانية نكتشف أن التحريم خاص بالحياة الدنيا وأنه مباح في الآخرة ..

والرواية الثالثة تؤكد أن من لبسه في الدنيا لن يلبسه في الآخرة ومثل هذا يشير إلى أن المسألة لا تأخذ وضع الحكم الشرعي الذي يؤدي بمخالفه إلى النار، وإنما هي لا تخرج عن طور الكراهة لأسباب اجتماعية أو اقتصادية خاصة بمجتمع الرسول ..

ويدل على ذلك الاستثناء الذي أشار إليه عمر في روايته بجواز لبس الملابس التي تحوي قدراً من الحرير..

ويدل على ذلك أيضاً أن الحرير كان يباع في المدينة وعلى باب مسجد رسول الله أي كما تشير رواية عمر الثانية والتي عرض فيها على الرسول أن يشتري حلة من حرير فقال إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة..

وهذا النص لا يشير إلى التحريم وإنما يشير إلى الكراهة ..

ثم إن الرسول بعد ذلك جاءته حلل من حرير فقبلها - كما ذكرت الرواية وأهدى منها واحدة لعمر مما دفع بعمر إلى الاستفسار من الرسول عن سبب هذا التناقض في موقفه..

فهل كان من الممكن للرسول أن يسلك هذا السلوك لو كان الحرير حراماً؟..

وتدخل بنا رواية لبس الرسول للحرير والصلاة به إلى مدار آخر أكثر صراحة في أن الحرير، لا يدخل مجال التحريم ولو كان ذلك صحيحاً لنبذه الرسول بداية وما لبسه، وما صلى فيه، وهو بنزعه له بعد الصلاة وقوله: " لا ينبغي هذا للمتقين " يؤكد لنا أن المسألة لا تخرج عن طور الكراهة، ولو تم تأويل الرواية بغير هذه الوجهة لكان فيها اتهام مباشر للرسول بارتكاب المحرم والإصرار عليه بلبسه الحرير ثم الصلاة فيه ..

أما رواية إباحة الحرير لعبد الرحمن بن عوف والزبير لإصابتهم بالجرب فهي مردودة لعدة أوجه :

الأول : إن هناك روايات تنهى عن التداوي بالمحرمات . فإذا كان الحرير حراماً فلا يجوز التداوي به ..

الثاني : إن النبي يمكن أن يصف لهما دواء آخر وهو يروي عنه الكثير من الروايات الطبية التي يدين بها القوم..

الثالث : إن ابن عوف والزبير من أثرياء الصحابة والحرير كما هو معروف مرتفع الثمن، فهل هذا يعني أنهما اختاراه بأنفسهما ووافقهما عليه الرسول لكونهما يقدران على ثمنه ؟ أم أن الرسول هو الذي اختاره لهما لكونهما يقدران على نفقته^١؟.

إن مثل هذه الرواية إنما تثير الشك حول حكم النهي عن لبس الحرير، وسواء هما اختاراه أو الرسول اختاره لهما فالنتيجة واحدة وهي أن مسألة الحرير لا تدخل دائرة التحريم ..

يروى أنه شوهد رجلاً ببخارى على بغلة بيضاء عليه عمامة خز سوداء، فقال: كسانيها سول الله (ص)^٢.

ويروى : عشرون نفساً من أصحاب سول الله (ص) أو أكثر لبسوا الخز منهم أنس بن مالك والبراء بن عازب..^٣

ويروى أن رسول الله (ص) أرسل حلة استبرق إلى عمر فأرسلها إلى أخيه بمكة وأرسل معها بجبة ديباج وقال له تبعها وتصيب بها حاجتك^٤.

١ - في رواية أبو داود أنهما كانا في السفر.

٢ - أبو داود كتاب اللباس.

٣ - المرجع السابق.

ويروى أن جبة رسول الله (ص) كانت مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج.^٥

ويروى عن الرسول أنه نهى عن لبس القسي وعن لبس المعصفر وعن تختم الذهب وعن القراءة في الركوع . قال الراوي : ولا أقول أنها كم.^٦

وهذه الروايات إنما تصطدم بروايات النهي وتشير إلى تخطيط الرواة في النقل، وإن كان الفقهاء قد أولوها كعادتهم بما يفيد وجهتهم وهي التحريم، فإن قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة التي يتبنوها تقول بأن من الأولى أن يحمل الأمر على الإباحة، لا التحريم ما دام ليس هناك نص قطعي بالتحريم ..

يقول الفقهاء : تحريم الحرير والديباج وذلك للنهي المذكور، وهو نهى تحريم عند الكثير من المتقدمين وهو قول الأئمة الأربعة، وقال الشافعي إن النهى فيه كراهة تنزيه في قوله القديم ..

وقال القسطلاني : نهى النبي لبس الحرير نهى تحريم على الرجال وعلة التحريم إما الفخر والخيلاء أو كونه ثوب رفاهية وزينة يليق بالنساء لا الرجال أو التشبه بالمشركين ..

وقد حكى القاضي عياض أن الاجماع انعقد بعد ابن الزبير وموافقيه على تحريم الحرير على الرجال.^٧

٤ - المرجع السابق.

٥ - المرجع السابق.

٦ - المرجع السابق.

٧ - مسلم ، هامش كتاب اللباس والزينة.

وكان ابن الزبير قد قال بمنع النساء من لبس الحرير على أساس ظاهر رواية النهي، وأن الخطاب موجه للذكر والأنثى ..

يروى أن ابن الزبير خطب يقول: ألا لا تلبسوا نساءكم الحرير فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة^٨.

وهذه الرواية التي تدل على سطحية ابن الزبير إنما هي تعيد نفس موقفه من رواية إباحة المتعة التي واجهه بها ابن عباس، ففيها دلالة على أنه لم يكن من أهل الفقه والدراية ..

ولعل ابن الزبير استصعب أن الرجل يحرم من الحرير في الدنيا بينما تتمتع به المرأة في الدنيا والآخرة فأصدر فتواه هذه من باب المساواة في التكليف بين الذكر والأنثى ..

أو أن ابن الزبير تصور أن إباحة الحرير للمرأة في الدنيا سوف يؤدي إلى حرمانها منه في الآخرة ..

إلا أن ما نخرج به من رواية ابن الزبير هذه أن الرواة يتخبطون في أمر التحريم، وتنتج عن هذا التخبط تخبط الفقهاء في تأويلاتهم لهذه الروايات، وهو ما يبدو بوضوح في خلافاتهم حول قضية التحريم^٩.

وأهم ما تدل عليه رواية ابن الزبير هو أن الحرير كان مشاعاً بين الناس في زمانه مما دفع به إلى منعه بالسلطان وهو نفس موقفه من زواج المتعة ..

أما عن الذهب فيروى: نهى النبي (ص) عن خاتم الذهب^{١٠}.

٨ - مسلم، كتاب اللباس والزينة.

٩ - أنظر مسلم شرح النووي وفتح الباري شرح كتاب اللباس، وانظر كتب الفقه.

١٠ - مسلم كتاب اللباس والزينة، والبخاري كتاب اللباس.

ويروى أن رسول الله رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرح وقال "يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده" ^{١١}.

وينقل عن الفقهاء قولهم: أجمع العلماء شرقاً وغرباً على تحريم اتخاذ الخاتم من الذهب للرجال دون النساء وأما اتخاذه من الفضة فمباح لهم.. وروى في سنن النسائي والترمذي أن النبي (ص) قال: "أحل الذهب والحرير للإناث من أمتي وحرم على ذكورها" ^{١٢}.

وما ينطبق على الحرير ينطبق على الذهب من كونه لا يطابق القرآن ولم ينص على تحريمه، هذا من جهة، أما من جهة مناقشة الروايات فسوف يتبين لنا أن هذه الروايات حالها كحال سابقتها من الروايات المتناقضة التي تنهى تارة وتبيح تارة أخرى ..

يروى أن رسول الله (ص) اصطنع خاتماً من ذهب وكان يلبسه فيجعل فضه في باطن كفه، فصنع الناس، ثم إنه جلس على المنبر فنزعه، فقال: "إني كنت ألبس هذا الخاتم واجعل فضه من داخل". فرمى به ثم قال: "والله لا ألبسه أبداً"، فنبذ الناس خواتيمهم ^{١٣}.

ويروى أنه رأى في يد رسول الله (ص) خاتماً من ورق - فضة - يوماً واحداً، ثم إن الناس اصطنعوا الخواتيم من ورق ولبسوها. فطرح رسول الله خاتمه. فطرح الناس خواتيمهم ^{١٤}.

١١ - مسلم كتاب اللباس والزينة، باب في طرح خاتم الذهب.

١٢ - مسلم، هامش باب في طرح خاتم الذهب.

١٣ - البخاري كتاب الإيمان والندور، وأبو داود كتاب الخاتم، ومسلم كتاب اللباس والزينة.

١٤ - مسلم والبخاري كتاب اللباس.

ويروى : كتب النبي كتاباً أو أراد أن يكتب ، فقليل له : إنهم لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة نقشه (محمد رسول الله)^{١٥} .
ويروى اتخذ رسول الله خاتماً من ورق وكان في يده ، ثم كان بعده في يد أبي بكر ، ثم كان بعد في يد عمر ، ثم كان بعد في يد عثمان حتى وقع بعد في بئر أريس نقشه (محمد رسول الله)^{١٦} .
وفي رواية : ولم يختلف الناس على عثمان حتى سقط الخاتم من يده^{١٧} .
ويبدو من خلال الرواية الأولى أن الرسول كان يلبس الذهب ثم قرر فجأة نبذه ..

فهل كان لا يعلم بتحريمه ؟ ..
وإذا كان يعلم فلماذا لبسه ..؟

إن هذه الرواية تدل بوضوح على عدم حرمة لبس الذهب وأن نبذ الرسول له لم يكن من باب التحريم وإنما كان من باب الكراهة ، ويدل على ذلك قسمه بألا يلبسه أبداً ، وهو قسم خاص به وحده ، أي أن القرار الذي اتخذه الرسول بشأن لبس الذهب كان قراراً خاصاً به كنيي وليس خاصاً بأمته ..
ولو أخذنا هذه الرواية كدليل على التحريم لوجب علينا أن نحرم الفضة أيضاً إذ أن الرواية الثانية تحكي نفس القصة ولكن مع خاتم من فضة (الورق) ..
والمعروف أن الرسول قد أباح لبس الفضة وهو ما عليه إجماع الرواة والفقهاء كما ذكرنا ، إذن طرح الرسول خاتمه سواء كان ذهباً أو فضة مسألة لا صلة لها بالتحريم ، وإنما لها صلة بظرف ما واجهه الرسول واتخذ في مواجهته هذا القرار ..

١٥ - البخاري كتاب العلم ، ومسلم كتاب اللباس والزينة .

١٦ - البخاري ومسلم كتاب اللباس وانظر ابن سعد ج ١

١٧ - أبو داود كتاب الخاتم .

وما يدل على ذلك هو أن الروايات تشير إلى أن الرسول عاد إلى لبس خاتم الفضة وكان معه حتى توفي وورثه منه أبو بكر ثم عمر ثم عثمان .. .
وقد يكون الرسول نبذ خاتم الذهب والفضة سويًا وقام صناع الرواية باختراع رواية اتخاذ الرسول خاتم الفضة ليراسل به الحكام والملوك من أجل أن يضيفوا المشروعية على حكم الخلفاء الثلاثة - أبو بكر عمر عثمان - بوارثتهم خاتم الرسول..

ولعل ما يشير إلى ذلك هو تلك الجملة التي أضافها الراوي عن عثمان والتي تريد تبرير انحرافاته وتجاوزاته وإضفاء الشرعية على مواقفه بمحاولة إيهام المسلمين أن ما حدث له كان بسبب فقد خاتم الرسول .. .
إلا أن حقائق التاريخ تؤكد لنا أن ما حدث في زمن عثمان كان ثورة كاملة المقومات في وجه طاغية تجاوزت انحرافاته حدود الدين والعدل، كما تؤكد لنا أيضاً أن فكرة الترتيب الرباعي، أي جعل أبي بكر في مقدمة الخلفاء يليه عمر ويليهِ عثمان ثم علي، فكرة مختلفة ومن صنع السياسة وليس لها أي سند من الروايات التي يتعبد بها القوم^{١٨}.

يقول الفقهاء: قوله إن رسول الله اصطنع خاتماً من ذهب لا شك أن ذلك قبل أن يعلم (ص) حرمة ثم لما علم أن لبسه حرام نزع ونبذه وحلف أن لا يلبسه أبداً..

وقال الزرقاني: طرحه لتحريم لبس الذهب حينئذ على الرجال، أو لكرهية مشاركتهم له، أو لما رأى من زهوهم بلبسه وجعل فسه في باطن كفه لأنه أبعد من الاعجاب والزهو^{١٩}.

١٨ - أنظر لنا كتاب السيف والسياسة، وانظر الفتنة الكبرى لطفه حسين، وانظر كتب التاريخ.

١٩ - مسلم، هامش باب في طرح خاتم الذهب.

وهذا القول ليس إلا محاولة للّبيّ عنق النص وانتزاع الحرمة منه ولو كان ذلك على حساب الرسول، فالفقهاء بقولهم هذا قد طعنوا في الرسول واتهموه بالجهل وعدم معرفة الحلال والحرام، وحسب قولهم هذا يكون الرسول قد شرب الخمر وأكل الربا وفعل سائر المحرمات قبل أن يعلم حرمتها .. ومثل هذا القول إنما هو ناتج من رؤيتهم لشخص الرسول (ص) كما صورت الروايات تلك الرؤية المنقوصة التي تصور الرسول بالانفصام، فمن ثمّ يمكن حمل مثل هذه السلوكيات - ممارسته الحرام قبل علمه به - على الجانب البشري من شخصيته أي الجانب غير المعصوم ..

وكلام الزرقاني يشير إلى كونه يتردد في الحكم بالتحريم، فهو يتأرجح بين الحكم بالحرمة والحكم بالكراهة ثم هو في النهاية حمل الرسول مسؤولية الحكم بالحرمة نتيجة لرؤيته زهو الناس وافتخارهم بليسه ..

ثم أين هذا كله من قوله تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (الأعراف: ٣٢)

وهذه الآية المكية تدحض قول الفقهاء وادعاءاتهم أن الرسول لم يكن يعلم بحكم حرمة الذهب ، بل ما تؤكده الآية هو الإباحة ومن زمان مكة، والرسول كان يتحرك وفق دائرة الإباحة، فمن ثمّ يمكن الحكم على ضوء هذا النص القرآني أن مثل هذه الروايات قد دست على الرسول أو حرفت بما يفيد التحريم ..

إن تحكيم القرآن على الدوام سوف يؤدي إلى فضح الرواة وإراحة العقول من متاهات الفقهاء ..

في القبور والتمثيل

ولقد تجاوز الرواة الحدود في نسبة التحريم للرسول حتى في السلوكيات والعادات والأعراف التي يكون نسبة التحريم إليها مصادماً للفطرة والعقل، فهم قد نسبوا إلى الرسول تحريم إطالة الثوب والتزعر . .

ونسبوا إليه تحريم حلق اللحية . .

ونسبوا إليه تحريم الأضرحة وزيارتها . .

ونسبوا إليه تحريم الصورة والتماثيل . .

ونسبوا إليه تحريم الموسيقى والغناء . .

ثم بارك الفقهاء هذا التحريم وجعلوا له أبواباً في كتبهم وألزموا الأمة به . .

يروى أن الرسول (ص) قال : " لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء " ^{٢٠}.

ويروى : بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مر رجل جمته، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة ^{٢١}.

ويروى ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار ^{٢٢}.

ويروى : نهى رسول الله (ص) أن يتزعر الرجل ^{٢٣}.

قال الفقهاء : الخيلاء بالمد والمخيلة والبطر والكبر والزهو والتبختر كلها بمعنى واحد وهو حرام ، ومعنى لا ينظر أي لا يرحمه ولا ينظر إليه نظر رحمة ، وقوله (ص) خيلاء إشارة إلى علة التحريم فيستفاد منه إن لم يكن الإسبال - أي إطالة الثوب - من الخيلاء لم يكن حراماً لكنه مكروه لوجوه منها السرف ومنها عدم الأمن من التنجس .

وقال النووي : أجمع العلماء على جواز الإسبال للنساء وقد صح عن النبي الإذن لهن ^{٢٤}.

٢٠ - مسلم والبخاري كتاب اللباس.

٢١ - المرجعين السابقين.

٢٢ - أبو داود كتاب اللباس.

٢٣ - مسلم والبخاري كتاب اللباس.

ويبدو من هذه الروايات أن الوعيد الذي تبشر به فوق الحالة المجرمة بكثير فإطالة الثوب ليس جريمة يستحق فاعلها هذا التهديد، وإذا كانت هذه المسألة بهذه الخطورة فلم لم تذكر في القرآن . .

وإذا كان الفقهاء قد ربطوا الوعيد المذكور في الروايات بالمتعمد المستحل، فإن هذا يعني أن هناك استثناء، والتحریم لا يكون فيه استثناء، فدل ذلك على أن الأمر لا صلة له بالتحریم، ومسألة المستحل إنما هي مرهونة بالنوايا..

وكيف لنا أن نعرف أن ذاك الذي يرتدي ثوباً طويلاً يرتديه من باب الكبر والخيلاء . . ؟

وفيما يتعلق بالنهي عن التزعفر قال الفقهاء : الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أباحوا التزعفر وهو مذهب الأحناف والشافعية والمالكية..
وقد روي أن ابن عمر كان يلبس الثوب المصبوغ بالمشق والمصبوغ بالزعفران..

وفي شرحه للزرقاني عملاً بما رواه ابن عمر قال : كان النبي (ص) يصبغ بالورس والزعفران ثيابه حتى عمامته، ولا يعارضه حديث الصحيحين نهى النبي أن يتزعفر الرجل وفي أن النهي للونه أو لرائحة تردد لأنه للكرهية، وفعله لبيان الجواز والنهي محمول على تزعفر الجسد لا الثوب أو على المحرم يحج أو عمرة لأنه من الطيب وقد نهى المحرم عنه^{٢٥}.

٢٤ - مسلم ، هامش باب تحریم جر الثوب خيلاء.

٢٥ - مسلم ، هامش باب النهي عن التزعفر للرجال . كتاب اللباس والزينة . . وحديث ابن عمر رواه أبو داود ، كتاب الترجل.

ويظهر من هذا الكلام أن الفقهاء وقعوا في حرج بين روايات النهي عن التزعر وغير روايات إباحته، وإن كان الجمهور قد مال إلى الإباحة فإن هذا يعني بطلان رواية البخاري ومسلم . وهذا موقف غير معتاد من الفقهاء ..

فهم عادة ما ينكرون الروايات خارج دائرة ما يسمونها بالصحيحين ويميلون إلى ترجيح روايتهما على كتب السنن الأخرى مثل أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم، من هنا فإن هذا الموقف من متقدمي الفقهاء قد أوقع متأخريهم في حرج فأرادوا أن يوفقوا بين رواية الإباحة ورواية النهي بأن قالوا ليس هناك تعارض بين رواية البخاري ومسلم التي تقوم بالنهي، وبين رواية الإباحة التي رواها ابن عمر، وعملوا على تحميل النهي على لون الزعفران أو رائحته، وكون المقصود بالنهي تزعر الجسد، لا ثوب وأنه خاص بالمحرم كوسيلة للخروج من هذا التناقض ..

إلا أن ما يعيننا من هذا كله أن الرواة صوروا الرسول بمظهر المتناقض وجاء الفقهاء فزادوا الطين بلة وإن كانوا مالوا إلى الإباحة لكونها الأصل فهم لم يجيبونا ما هو الموقف من رواية البخاري ومسلم التي تقول بالنهي .. ؟
ومثل هذا الموقف يفتح باب الشك في روايات ما يسمونه بصحيح البخاري وصحيح مسلم .

ومن جهة أخرى يفتح باب الشك فيما يسمى بالإجماع الذي هو السند الوحيد في الحكم بصحة هذين الكتابين ..
وحول اللحية يروى أن الرسول (ص) قال : "أنهكوا الشوارب واعفوا اللحي" ٢٦ .

وروي : "خالفوا المشركين ووفروا اللحي واحفوا الشوارب" ٢٧ .

٢٦ - البخاري كتاب اللباس ، باب إعفاء اللحية، ومسلم كتاب الطهارة.

٢٧ - مسلم كتاب الطهارة ، والبخاري كتاب اللباس ، وانظر النسائي كتاب الزينة.

ومن هذين النصين وغيرهما قال الفقهاء بوجوب إطلاق اللحية وتحريم حلقها واختلفوا في مقدارها وطولها، وأخذ البعض بمقياس ابن عمر وهو حد القبضة باليد، أي أن طول اللحية لا يجب أن يتجاوز قبضة اليد حسب مذهب ابن عمر..

واختلفوا في شعر الوجه هل هو من اللحية أم لا ؟
فأدخل بعضهم شعر الوجه في دائرة اللحية..
وقال آخرون بعدم شمول اللحية له..

إلا أن ما يستوقفنا هنا هو : كيف استنبط الفقهاء من روايات اللحية حكم تحريم حلقها..؟

والجواب أن الفقهاء اعتبروا قول الرسول : وفروا اللحى ، واعفوا اللحى أمر والأمر واجب امتثاله ومخالفته تعني الوقوع في الحرمة، وبالتالي دخلت اللحية دائرة التشريع وحمل الرسول أمر تبليغ حكمها للأمة ..
وإذا كان الرسول قد بلغ الأمة أمر اللحية عن طريق الوحي فأين هي الإشارات القرآنية التي تدعم هذا الأمر..؟

وما دامت لا توجد نصوص قرآنية تدعم أمر اللحية فإن هذا يعني أن أمرها من اختلاق الرسول وإضافاته، وإذا كان الفقهاء قد باركوا هذا الأمر فإن هذا يعني أيضاً أنهم قد أدخلوا الرسول دائرة التشريع، فإن أقروا بغير ذلك ، فمعنى هذا أن مسألة اللحية لا صلة لها بحدود الشرع وهي لا تخرج عن كونها عادة وليست عبادة ..

إن عادة إطلاق اللحى كانت شائعة في الجاهلية عند العرب وكل ما فعله الرسول هو أنه أقر هذه العادة، إلا أن الرواة اخترعوا لها الروايات لشغل الأمة بالشكليات وإبعادها عن الاهتمام بجوهر الدين حتى يفسحوا الطريق أمام

الحكام، ثم جاء الفقهاء فاشتقوا لها الأحكام وضخموها لأن مثل تلك الأمور كانت شغلهم الشاغل في ظل واقع عزل فيه الإسلام عن دوره وجوهره ..
وفيما يتعلق بالأضرحة وزيارتها يروى أن رسول الله (ص) قال : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ٢٨ .
وفي رواية : " لولا ذاك لأبرز قبره " ٢٩ .
وفي رواية : " فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن هذا " ٣٠ .
ويروى قوله عن النصارى : " أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا . فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة " ٣١ .
ويروى عن علي قوله : أمرني رسول الله (ص) ألا أدع وثناً إلا كسرتة ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ٣٢ .
ويروى عن النبي (ص) قوله : " اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد " ٣٣ .
يقول الفقهاء حول صور الكنائس وقبورها : إن تصوير أوائلهم الصور ليتأسوا بها ويتذاكروا أفعالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عند قبورهم، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشياطين أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فحذر النبي (ص) عن مثل ذلك سداً للذريعة المؤدية إلى ذلك ٣٤ .

٢٨ - مسلم كتاب المساجد .

٢٩ - المرجع السابق .

٣٠ - المرجع السابق .

٣١ - المرجع السابق ، وانظر البخاري كتاب الجنائز وكتاب الصلاة .

٣٢ - مسند أحمد .

٣٣ - المرجع السابق .

٣٤ - مسلم ، هامش باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، كتاب المساجد .

ويبدو من هذه الروايات ومن أقوال الفقهاء أن النهي والوعيد المرتبط ببناء القبور في المساجد يرتبط بعلة عبادة هذه القبور كما حدث في بني إسرائيل وفي قوم عيسى..

إلا أن السؤال الذي يفرض نفسه هنا : هل وقع هذا في تاريخ المسلمين؟.. وهل كانت في زمن الرسول (ص) حالات مشابهة لحالة اليهود والنصارى؟..

إن النهي الوارد في هذه الروايات يتركز في اتخاذ القبور مساجد وليس في القبور ذاتها ، ومعنى مساجد لغة أي مكان للسجود لذات القبور ، أما السجود لله سبحانه في القبر أو حوله أو أمامه فليس فيه ضير، هذا على أساس تسليمنا بصحة هذه الروايات وسلامة مضمونها، فهناك شكوك كثيرة تحيط ببواعثها وأهدافها . . والذين يقدسون الكعبة مثلاً ويجعلون من أحجارها شيئاً فوق العادة ، أو من كسوتها دواء أو بركة أو ما شابه ذلك، ويحلمون لو اقتطعوا قطعة من الحجر الأسود أو من أحجارها أو من كسوتها ليتداووا أو يتبركوا بها إذا ما اعتبرنا هذا خللاً في الاعتقاد أو اعوجاجاً في الفكر، فهل العيب في الكعبة أم في سلوك المسلمين..

كذلك إذا بدرت بعض السلوكيات من المسلمين حول قبور الأولياء والصالحين اعتبرت شركاً في منظور البعض فهل العيب في هذه القبور أم في المسلمين . . ؟

يروى أن النبي (ص) مر على قبر منبوذ فأمرهم وصفوا عليه^{٣٥}.

٣٥ - مسلم ، كتاب الجنائز . باب الصلاة على القبر . والبخاري كتاب الجنائز .

ويروى أن رجلاً أو امرأة سوداء كانت تقيم بمسجد الرسول (ص) ماتت ولم يعلم النبي، فلما علم بوفاتها ودلوه على قبرها أتى القبر فصلى عليها^{٣٦} . .
وما تشير إليه هاتين الروايتين هو أن القبور يجوز الصلاة فيها وعليها، وهو ما يناقض الروايات السابقة والتي استنبط منها الفقهاء أحكاماً بعدم جواز الصلاة في القبور أو في المساجد التي بها قبور . .
قال الفقهاء : لما وسع مسجد الرسول (ص) جعلت الحجرة الشريفة - أي الحجرة التي تضم قبر النبي - مثلثة الشكل محدودة حتى لا يتأتى لأحد أن يصلي إلى جهة القبر المقدس مع استقبال القبلة^{٣٧} .
وإذا صح هذا الكلام فما معنى صلاة النبي على القبر الذي أشارت إليه الروايتان السابقتان ؟ . .

وسوف نعرض هنا لعدد من الشواهد والوقائع التي تثير الشك في مثل هذه الروايات المنسوبة للرسول حول الأضرحة واتخاذ المساجد على القبور . .
أولاً : إن الوقائع التاريخية تؤكد أن اليهود الذين كتبت عليهم الذلة والمسكنة بأمر الله سبحانه عاشوا مشردين في الأرض ، فمن ثم ليس من الثابت أنهم أقاموا مساجد أو معابد على قبور أنبيائهم الذين قتلوا بعضهم وحازوا على غضب أكثرهم ، والمكان الوحيد المعروف تاريخياً الذي اتخذته اليهود موضعاً للعبادة هو بيت المقدس .

٣٦ - مسلم البخاري كتاب الجنائز.

٣٧ - مسلم ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

وكان لسليمان (ع) هيكلًا - أي بلاط - ولم يكن له معبدًا، وقد كان مشهوراً في زمن الرسول (ص) قبر إبراهيم في الخليل، وقبر موسى إلا أننا لم نسمع أن الرسول أشار إلى هذين القبرين بشئ يدل على أن اليهود اتخذوهما أوثاناً . .

ثانياً : إن المسلمين منذ قرون طويلة في جزيرة العرب وخارجها يتخذون من مقام إبراهيم صلى كما نصت الآية في سورة البقرة، ومقام إبراهيم هو رمز حجري .

ثالثاً : إن السيدة هاجر وولدها نبي الله إسماعيل (ع) دفنا في الكعبة ويطوف من حولهم ملايين المسلمين كل عام بل ويتمسحون بجدار قبرهما المسمى حجر إسماعيل^{٣٨} .

رابعاً : إن القرآن نص على بناء المساجد على القبور حين تم اكتشاف أهل الكهف {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا} [الكهف : ٢١].

خامساً : إن القبور والقباب ظلت مقامة بالبقيع في المدينة وفي سائر أنحاء الجزيرة العربية حتى ظهرت الحركة الوهابية الحنبلية فهدمت هذه القبور والقباب باعتبارها في منظورهم رمزا من رموز الشرك بالله^{٣٩} .

سادساً : إنه يلاحظ تاريخياً أن المسلمين لم يتصدوا لبناء المساجد فوق قبور الأولياء والصالحين ولم يعترضوا سبيلها باستثناء فرقة الحنابلة التي تسمت

٣٨ - أنظر تاريخ نبي الله إسماعيل في سيرة ابن هاشم وكتب التاريخ.

٣٩ - أنظر لنا كتاب فقهاء النفط ، وكتاب مدافع الفقهاء، وكتاب ابن باز فقيه آل سعود.

فيما بعد بأهل السنة، تلك الفرقة التي فرخت ابن تيمية والذي دخل في صدام مع فقهاء عصره بسبب القبور وانتهى الأمر بحبسه حتى مات في الحبس ..
وقامت الحركة الوهابية في العصر الحديث بإحياء أفكاره المتشددة بشأن القبور وفرضتها على المسلمين في جزيرة العرب بقوة السيف وفي خارج الجزيرة بتأثير النفط^{٤٠}.

سابعاً : إنهم يروون عن الرسول (ص) قوله : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى " ، وذلك حتى يقطعون الطريق على المسلمين الذين يزورون مقامات الأولياء والصالحين في البلاد المختلفة.

والثابت أن الرسول (ص) شد الرحال من المدينة وزار قبر أمه وبكى عند قبرها ، ولم يأمر بهدم هذا القبر^{٤١}.

ويبدو من رواية النهي عن شد الرحال أنها تنهى عن السفر مطلقاً إلا لهذه المساجد الثلاثة ، ومثل هذا الاستنتاج يثير الشك في الرواية ..
وحول الصور والتماثيل وردت العديد من الروايات التي يشيب لها الولدان..
يروى أن الرسول (ص) قال : " إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون^{٤٢} .

ويروى عن الرسول (ص) قوله : " إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم أحيوا ما خلقتم^{٤٣} .

٤٠ - أنظر تاريخ الحركة الوهابية وانظر المراجع السابقة.

٤١ - الرواية الأولى لمسلم كتاب الحج ، والبخاري كتاب الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، والرواية الثانية رواها النسائي وأبو داود وابن ماجه كتاب الجنائز.

٤٢ - مسلم والبخاري كتاب اللباس.

٤٣ - المرجعين السابقين.

ويروى قول الرسول (ص): "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل" ^{٤٤}.

يقول الفقهاء: قوله أشد الناس عذاباً هذا محمول على من فعل الصورة لتعبد أو على من قصد به مضاهاة خلق الله واعتقد ذلك فهو كافر يزيد عذابه بزيادة قبح كفره ومن لم يقصد ذلك فهو صاحب كبيرة..
لكن الأولى أن يحمل على التهديد لأن قوله (ص) عند الله تلويح إلى أنه يستحق أن يكون كذا لكنه محل العفو ..

قال أصحابنا وغيرهم من العلماء تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الروايات وسواء صنعه بما يمتن أو بغيره فصنعه حرام بكل حال لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى، وأما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان فإن كان معلقاً على حائط أو ثوباً ملبوساً أو عمامة ونحو ذلك مما لا يعد ممتناً فهو حرام .

ولا فرق في هذا كله بين ما له ظل وما لا ظل له، هذا تلخيص مذهبنا في المسألة، وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهو مذهب الثوري ومالك وأبي حنيفة وغيرهم ^{٤٥}.

والذي يظهر من هذه الروايات وتأويلات الفقهاء لها أن المسألة تنحصر في دائرة محددة وهي أن المصورين يضاهون خلق الله ولأجل ذلك اشتد النكير عليهم والوعيد بهم ، ولكن مثل هذا الكلام هل يقبل عقلاً ؟..

٤٤ - البخاري كتاب بدء الخلق ، ومسلم كتاب اللباس والزينة ، وانظر أبو داود وكتب السنن .

٤٥ - مسلم هامش باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة ، كتاب اللباس والزينة .

هل هذا الرسام الذي يصمم صورة طائر أو حيوان أو إنسان على قطعة قماش أو وسادة أو لباس يعتبر متحدياً لله وتدخل في أخص خصائصه وهي الخلق . . ؟

وبالطبع مثل هذا التصور فيه سذاجة بالغة واستخفاف كبير بالعقل وبالرسول الذي يروي مثل هذه الروايات . . ؟

إن العقل يقول إن الرسول (ص) لا يمكن أن يروي مثل هذه الروايات وأن هذه السذاجة والسطحية هي من صنع الرواة، وإذا ما سلمنا أن هذا هو حال التصوير في زمن الرسول (ص) وأن هناك صلة وثيقة بينه وبين العبادات الشركية السائدة آنذاك . فهل هذا هو حال التصوير والصور اليوم . . ؟

إن الصور اليوم أصبحت ركيزة أساسية في المدنية المعاصرة، فهي دخلت في صناعة (السينما) وأدوات كشف الجريمة ونشرات الأخبار ووسائل الاتصال المختلفة ونشر العلوم . . الخ، والاستغناء عن ذلك كله فيه مفسدة عظيمة ليس فقط للناس وللمدنية، ولكن للإسلام ذاته الذي سوف يعجز عن مواكبة العصر ويتزوي في ركن مظلم من أركانه . .

وإذا كان فقهاء الماضي قد وقفوا هذا الموقف المتشدد من الصور وحرموها تحريماً مطلقاً وهي صور جامدة فكيف الحال بها اليوم وقد تحركت ونطقت وصنعت الأعاجيب؟

أليس ذلك هو الأولى بالتحريم لأن الصور بهذه الحالة تكون قد اقتربت أكثر من عملية الخلق ومضاهاة صنع الله . . ؟

وبالطبع لو قدر لفقهاء ذلك الزمان أن يروا ما وصل إليه حال الصور اليوم لرفعوا راية التكفير وأعلنوا الجهاد ضد المصورين . .

إلا أننا أمام مثل هذه الروايات مخيرون بين ثلاثة خيارات :

إما أن نرفضها كلية لعدم موافقتها للقرآن والعقل ..
وإما أن نقرها وبالتالي يتهم الإسلام بالتخلف والرجعية ..
وإما أن نحملها على مدلول آخر غير ما توحى به ظاهرها ..
والخيار الثاني اختارته التيارات الإسلامية المتشددة وعلى رأسها التيار
الوهابي الحنبلي ..

والخيار الثالث تبناه فقهاء العصر فأباحوا الصور الفوتوغرافية واختلفوا في
الصور اليدوية (الرسم) فبعضهم أباحها وبعضهم حرمها في كل ذي روح أي
رسم الحيوانات والطيور والإنسان وخلافه، كما اختلفوا أيضاً في التماثيل بين
الحظر والإباحة..

ونحن نختار الخيار الأول باعتبار أن هذه الروايات لا تخرج عن كونها رد
فعل لظروف زمنية وواقع لا صلة لنا به ..

في الغناء والموسيقى

وفيما يتعلق بالغناء والموسيقى يروون أن الرسول (ص) قال : " ليكون من
أمتي أقوام يستحلون الخمر والحريير والخمر والمعازف "٤٦.
ويفسرون قوله تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ } على
لسان بعض الصحابة مثل ابن مسعود وابن عمر أن لهو الحديث هو الغناء ٤٧.
ويقول الفقهاء إن مذهب مالك ينهى عن الغناء ويعتبره من فعل الفساق،
وينقل عن مالك قوله : إذا اشتريت جارية ووجدتها مغنية كان لك ردها بالعيب..

٤٦ - البخاري باب ما جاء في من يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه.

٤٧ - الآية في سورة لقمان رقم ٦ ، أنظر تفسير الطبري والقرطبي والدر المنثور.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين
١٩٣

وكان أبو حنيفة يكره الغناء مع إباحته للنبذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة والمدينة..
وقال الشافعي : الغناء مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ..

وبذلك أفتى أحمد بن حنبل^{٤٨} .

ونقل القرطبي عن بعضهم قوله : لا تقبل شهادة المغني والرقاص . قلت - أي القرطبي - : وإذ ثبت أن هذا الأمر لا يجوز فأخذ الأجرة عليه لا تجوز^{٤٩} .
وينقل عنهم اتفاق أهل العلم على المنع من إجارة الغناء والنوح وإبطال المغنية والنائحة كره الشعبي والنخعي ومالك^{٥٠} .
وينقل عنهم عدم جواز قطع يد السارق لآلات اللهو لكونه متفق على تحريم اتخاذها^{٥١} .

وقد حشدت كتب السنن الكثير من الروايات المنسوبة للرسول (ص) والتي تنهى عن الغناء . إلا أن هذه الروايات جميعها لا ترقى إلى مستوى الصحة بشهادة فقهاء الحديث..

أو حسب قول واحد من المعاصرين : وأما ما ورد فيه - أي في الغناء والموسيقى من أحاديث نبوية فكلها مشخنة بالجراح لم يسلم منها حديث عن طعن عند فقهاء الحديث وعلمائه^{٥٢} .

٤٨ - أنظر القرطبي ج / ١٤ ، وانظر كتب الفقه.

٤٩ - المرجع السابق.

٥٠ - أنظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج ٣٠ / ٢١٥

٥١ - أنظر الأحكام السلطانية لأبي يعلى .

٥٢ - الحلال والحرام ليوסף القرضاوي.

إلا أنه رغم هذه الروايات وهذا الموقف المتشدد تجاه الغناء والموسيقى من قبل أصحاب المذاهب الأربعة، فإن هناك من الفقهاء من شذ عن هذا الموقف وأفتى بإباحة الغناء والموسيقى وعلى رأس هؤلاء الغزالي وابن حزم . . ويعود هذا الموقف من قبل الغزالي وابن حزم وغيرهما إلى وجود عدد من الروايات التي تشير إلى إباحة الغناء والموسيقى . .

ومن هذه الروايات رواية عائشة : أن أبا بكر دخل عليها والنبي عندها يوم فطر أو يوم الأضحى - أي في عيد الفطر أو عيد الأضحى - وعندها قيتان تغنيان بما تقاذفت به الأنصار يوم بعث، فقال أبو بكر : مزمار الشيطان ؟ مرتين . فقال النبي (ص) : "دعهما يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وإن عيدنا هذا اليوم" ^{٥٣}.

ويروى عن عائشة أيضاً قالت : رأيت النبي (ص) يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمر ، فقال النبي : "دعهم " . آمنا بني أرفدة . وأنا جارية . فاقدروا قدر جارية حديثة السن، حريصة على اللهو ^{٥٤} . ويروى : جاء النبي (ص) فدخل حين بنى على - أي حين تزوجت الراوية - فجلس على فراش فجعلت جويزات لنا يضرين بالدف ويضرين من قتل آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن : وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال (ص) : "دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين" ^{٥٥}.

ويروى عن عائشة قالت : إنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال النبي (ص) " يا عائشة ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو" ^{٥٦}.

٥٣ - البخاري ، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدمة النبي وأصحابه المدينة، وانظر كتاب العيدين .

٥٤ - المرجع السابق ، كتاب المناقب باب قصة الحبشة، وانظر كتاب العيدين وكتاب الصلاة .

٥٥ - المرجع السابق، كتاب النكاح ، باب ضرب الدف والوليمة، وانظر كتاب الفضائل .

٥٦ - المرجع السابق كتاب النكاح ، باب النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها .

ويروى أن عائشة أنكحت ذات قرابة لها من الأنصار، فجاء الرسول (ص) فقال: "أهديتم الفتاة؟" قالوا: نعم. قال: "أرسلتم معهما من يغني؟" قالت: لا.

فقال الرسول: "إن الأنصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معهما من يقول: أتيناكم. أتيناكم. فحيانا وحياكم"^{٥٧}.

وهذه الروايات تقودنا إلى ما أشرنا إليه سابقا من مسألة التناقض في الروايات المنسوبة للرسول، وأن هذا التناقض يقود إلى الشك فيها ويضع المسلم في موقف الحيرة كما هو حال الفقهاء الذين تضاربت اجتهاداتهم نتيجة لتضارب هذه الروايات.

وإن كان أكثر الفقهاء قد قاموا بإزالة هذا التناقض عن طريق التأويل والتبرير وادعاء النسخ وغير ذلك، وكأن فقهاء التحريم بموقفهم هذا يريدون تحريم الغناء لذاته وهذا موقف ضد الفطرة والعقل، إذ أن الغناء أمر مواكب لمسيرة الإنسان في كل زمان ومكان كل يغني بطريقته وبما يلائم عصره وظروفه ومتطلباته ..

وقد كان الغناء عادة موجودة عند العرب وعندما جاء الإسلام أقرها وقام بتهذيبها وفق معطيات جديدة .
ويروى أن الصحابة كانوا يتغنون بالقرآن^{٥٨}.

٥٧ - أنظر ابن ماجه باب إعلان النكاح والغناء والدفع.

٥٨ - يروى ابن ماجه باب في حسن الصوت بالقرآن قول الرسول (ص) عن القرآن: "تغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا"، وانظر البخاري كتاب فضل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن، وانظر فتح الباري ج ٩

وكان الغناء منتشرًا في المدينة بين الرجال والنساء في عهد الرسول . .
وإذا كانت هناك بعض المنكرات التي ارتبطت بالغناء والموسيقى في عصر
ما بعد الرسول (ص) فإن هذا لا يدعو إلى تحريم الغناء، وإنما يدعو إلى تصفية
هذه المنكرات وإعادة الصورة النقية الخالية من الشوائب له . .

ويبدو من هذا الموقف المتشدد الذي يحاول الفقهاء والمحدثون نسبته إلى
الرسول ، أنه نابع من رد فعل لواقع وسلوكيات محددة ارتبطت بالعصر الأموي
والعباسي وليس نابعاً من نص صريح محدد من القرآن . إذ أن محاولتهم تفسير
قوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
.. } على أن المقصود به هو الغناء . وهي محاولة استنتاجية وليست قطعية يشوبها
قصر نظر فالنص يتحدث عن الناس وليس عن المؤمنين، ولفظ (الناس) يرتبط
دائماً بالنصوص المكية مثلما يرتبط لفظ (المؤمنون) بالنصوص المدنية..

والفترة المكية فترة صراع عقائدي وليست فترة تشريع مما يمكن على ضوءه
الحكم - باعتبار أن النص مكي والسورة مكية - أن هذا النص لا صلة له بالغناء
بدليل ربطه اللهو بالضلال عن سبيل الله..

وهذه إشارة إلى المفاضلة بين سبيل الله وسبيل الطاغوت والكفر والضلال،
وكون اللهو المقصود به هنا هو شيء آخر يرتبط بالكفر والضلال عن سبيل الله،
والغناء بإجماع الفقهاء ليس هكذا إن صح تجريمه فهو صورة من صور الفسق
التي لا تخرج عن دائرة الإيمان..

من هنا يمكن القول إن تحريم الغناء ليس إلا صورة من صور عبادة الرجال
لكونه تحريم منسوب للرجال وليس للنصوص . .

في سبب الصحابة

وهناك بالإضافة إلى ما ذكرنا عدة صور أخرى من المحرمات المنسوبة للرسول بعضها يشتم منه رائحة السياسة، وبعضها يتعلق بعبادات وسلوكيات سائدة، والبعض الآخر منها يتعلق بظروف الواقع ..

أما التحريم الذي يتعلق بالسياسة فهو تحريم سب الصحابة ..
يروى عن الرسول (ص) قوله " لا تسبوا أصحابي . فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"^{٥٩}.
قال الفقهاء : اختلف في سب الصحابي .

قال القاضي عياض : ذهب الجمهور إلى أنه يعزر وعن بعض المالكية يقتل .
وخص بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسين وقواه السبكي في حق من كفر الشيخين - أبو بكر وعمر - وكذا من كفر من صرح النبي (ص) بإيمانه أو تبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر بذلك عنه لما تضمن من تكذيب رسول الله^{٦٠}.

وقال النووي : أعلم أن سب الصحابة حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب - أي الحروب التي وقعت بين الصحابة - متأولون، قال القاضي وسب أحدهم من المعاصي الكبائر ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل^{٦١}.

وقبل أن نعلق على هذا الكلام لا بد لنا من أن نعرف من هو الصحابي .. ؟
يقول ابن حجر : وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي (ص) مؤمناً به ومات على الإسلام فدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغز ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارضه كالعمى . ويدخل في قولنا مؤمناً به كل مكلف من الجن والإنس^{٦٢}.

٥٩ - مسلم والبخاري كتاب فضائل الصحابة.

٦٠ - فتح الباري ج ٧ / ٣٦

٦١ - مسلم ، هامش باب تحريم سب الصحابة.

٦٢ - الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ / المقدمة.

وقال ابن حزم : إن الله قد أعلمنا أن نفرا من الجن آمنوا وسمعوا القرآن من النبي (ص) فهم صحابة فضلاء^{٦٣}.

وقال أحمد بن حنبل : أصحاب رسول الله (ص) كل من صحبه شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه^{٦٤}.

وقال البخاري : من صحب رسول الله (ص) أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه^{٦٥}.

وقال الواقدي : أهل العلم يقولون كل من رأى رسول الله (ص) وقد أدرك الحلم فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممن صحب رسول الله ولو ساعة من نهار، ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدمهم في الإسلام^{٦٦}.

ويبدو من هذا التعريف العائم للصحابي أنه يخالف القرآن والعقل والعرف فقد حشد القرآن الكثير من النصوص التي تتحدث عن المنافقين والفاسقين وأصحاب الإفك وأصحاب مسجد الضرار والأعراب وغيرهم، وجميع هؤلاء الذين ذمهم القرآن وحذر منهم يدخلون في عداد الصحابة من منظور الفقهاء^{٦٧}.

أما العقل والعرف فيصطدمان بهذا التعريف المائع للصحابي ، فالصحبة لا تأخذ حكمها بمجرد الاحتكاك بين فرد وفرد لمدة دقائق..

وكذلك اللغة لا تقبل هذا التعريف دون أن تتحقق طول الملازمة ..

قال القاضي أبو بكر : قد تقرر للأمة عرف أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثرت صحبته لا على من لقيه ساعة أو مشى معه خطى أو سمع منه حديثاً، فوجب لذلك أن لا يجري هذا الاسم إلا على من هذه حاله، ومع هذا

٦٣ - المرجع السابق.

٦٤ - أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، المقدمة.

٦٥ - المرجع السابق.

٦٦ - المرجع السابق.

٦٧ - أنظر سورة التوبة ، وانظر أبواب المنافقين في كتب السنن.

فإن خبر الثقة الأمين عنه - أي عن الرسول - مقبول ومعمول به، وإن لم تطل صحبته ولا سمع منه إلا حديثاً واحداً، ولو رد قوله إنه صحابي لرد خبره عن رسول الله^{٦٨}.

وقال الغزالي: لا يطلق اسم الصحبة إلا على من صحبه ثم يكفي في الاسم من حيث الوضع الصحبة ولو ساعة، ولكن العرف يخصصه بمن كثرت صحبته^{٦٩}.

ويقول ابن الأثير: أصحاب رسول الله (ص) على ما شرطوه كثيرون، فإن رسول الله شهد حنيناً ومعه اثنا عشر ألفاً سوى الأتباع والنساء، وجاء إليه هوازن مسلمين فاستنقذوا حريمهم وأولادهم، وترك مكة مملوءة ناساً، وكذلك المدينة أيضاً، وكل من اجتاز به من قبائل العرب كانوا مسلمين، فهؤلاء كلهم لهم صحبة، وقد شهدت معه تبوك من الخلق الكثير ما لا يحصيهم ديوان وكذلك حجة الوداع، وكلهم له صحبة ولم يذكروا إلا هذا القدر، مع أن كثيراً منهم ليست له صحبة^{٧٠}.

ويقول سعيد بن المسيب: الصحابة لا نعدهم إلا من أقام مع رسول الله (ص) سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين^{٧١}.

ونخرج من هذا كله أن هذا التعريف المانع للصحابي سوف يؤدي إلى دخول من هبَّ ودبَّ في مفهوم الصحبة، وبالتالي يحق له الرواية عن الرسول بعد حصوله على درجة العدالة التي وضع الفقهاء الصحابة فيها . .

٦٨ - أسد الغابة، المقدمة.

٦٩ - المرجع السابق.

٧٠ - المرجع السابق.

٧١ - المرجع السابق، وسعيد بن المسيب من فقهاء التابعين ولم يكن على وفاق مع الخط الأموي الذي وضع حجر الأساس لهذا التعريف المانع للصحابي.

٢٠٠.....دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

وإذا كان هناك من الفقهاء من رفض هذا التعريف إلا أنه استسلم للأمر الواقع وبارك موقف الآخرين وجاراه .

وهو ما يبدو من كلام القاضي أبي بكر والغزالي وابن المسيب ..
فهؤلاء على الرغم من موقفهم قبلوا الكثير من الروايات التي جاءت عن طريق من اقحموا في دائرة الصحبة ..

وليست الخطورة في هذا التعريف تكمن في منح هؤلاء الصحبة وصفة العدالة، وإنما الخطورة تمكن في توجهاتهم وولاءاتهم، وفي كم الروايات التي نسبوها للرسول (ص) ..

وكما ذكرنا فإن معاوية هو أول من وضع هذه القاعدة وجاء بركش الناس والأعراب والمنافقين وضمهم إلى صفوفه ومنحهم سلطة الرواية باسم الرسول تحت شعار الصحبة ..

وجاء التابعون ومن بعدهم فباركوا هذا الخط وتلقوا هذا الكم من الروايات بتأثير السلطة وعلى أساس أنها جاءت عن طريق موثوق به وهو طريق الصحابة..
ومن هنا فإن التصدي لمثل هذا الأمر يعني التصدي للنهج الأموي ومن بعده النهج العباسي، وحتى لا تكون المواجهة مباشرة بين المسلمين وهؤلاء الحكام فقد جعلوا الصحابة حائلاً بينهم ..

وأصبح التصدي للروايات يعني التصدي للصحابة والعكس بالعكس ..
وهو أمر يشكل خطورة كبيرة على هؤلاء الذين يحتمون بهؤلاء الصحابة ورواياتهم ..

وهذا هو السبب المباشر لاختراع فكرة النهي عن سب الصحابي ونسبة النهي للرسول ..

إن باب النقد والتقويم لو قدر له أن يفتح على الصحابة لأدى هذا إلى انهيار كثير من الرموز المقدسة في أعين المسلمين، ومع انهيارهم تنهار رواياتهم ..

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين
٢٠١

ومع انهيار رواياتهم تنهار القوى الحاكمة التي تحصن بهذه الروايات وتفرض سلطانها على المسلمين بواسطتها..

وإذا ما قدر لنا أن نسلم بصحة هذه الرواية (لا تسبوا أصحابي) فإن مناقشة مضمونها يفيد بعكس المراد وذلك لما يلي :

أولاً : إن قول الرسول (ص) لا تسبوا أصحابي يعني الخصوص، أي أن له مجموعة خاصة من المؤمنين تطاول عليها البعض الذين لا يدخلون في دائرة الصحبة فنهاهم عن ذلك ..

يقول ابن حجر : المراد بقوله (أصحابي) أصحاب مخصوصون وإلا فالخطاب كان للصحابة^{٧٢}.

وقال آخر : إن الخطاب بذلك لغير الصحابة وإنما المراد من سيوجد من المسلمين، وقد عقب ابن حجر على هذا القول ورفضه باعتبار أن الخطاب كان بسبب حادثة سب بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف^{٧٣}.

ثانياً : إن هناك الكثير من حوادث السب التي وقعت بين الصحابة ولم يقل فيها الرسول (ص) هذا الكلام . ومنها حادثة سب أبي بكر لعمر ..

روي أن أبا بكر جاء الرسول شاكياً من عمر بقوله : إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه - أي تتناولت عليه - ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك^{٧٤} ..

ثالثاً : إن معاوية فتح باب سب الإمام علي على المنابر ولم يعترض عليه أحد من الصحابة والتابعين ولم يواجهوه بأمر النهي المنسوب للرسول ..

٧٢ - فتح الباري ج ٧ / ٣٤ ، وهو إشارة من الرسول إلى تصنيف من حوله ودلالة على عدم مساواتهم.

٧٣ - المرجع السابق، ونذكر القارئ بسبب ابن عباس لابن الزبير في رواية المتعة السابقة وقوله له : إنك لجلف جاف.

٧٤ - البخاري كتاب فضائل الصحابة باب فضل أبو بكر.

رابعاً : إن الفقهاء عند تناولهم لهذه الرواية يربطونها بالمعارك التي وقعت بين الصحابة، وهم بذلك يقصدون سد باب الطعن والهجوم في العناصر التي شاركت في وقعة الجمل مع عائشة، أو التي شاركت في وقعة صفين مع معاوية، والهدف من ذلك هو الحفاظ على صورة عائشة ومعاوية وابن عمر وعمرو بن العاص وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك، وغيرهم ممن ساند معاوية والخط الأموي، وأسهم في رواية هذا الكم الهائل من الروايات المنسوبة للرسول..

في حجاب المرأة

ومن صور التحريم التي نسبت إلى الرسول (ص) والتي تدور في محيط العادات تحريم كشف المرأة وجهها ويديها . . .
يروى عن عائشة قولها إن نساء الأنصار لما نزلت سورة النور عمدن إلى حجور أو حجوز فشققنهن فاتخذنه خمر^{٧٥}.
ويروى عن أم سلمة قالت : لما نزلت يدين عليهن من جلابيهن خرج نساء

الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية^{٧٦}.

ويروى عن عائشة قولها : يرحم الله النساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ} شققن أكنف مروطن فاختمرن بها^{٧٧}.

٧٥ - أبو داود، كتاب اللباس.

٧٦ - المرجع السابق.

٧٧ - المرجع السابق.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين
٢٠٣

ويروى عن عائشة أيضاً : لا تلتئم المرأة ولا تتبرقع ولا تلبس ثوب بورس
ولا زعفران^{٧٨}.

وروي أن فاطمة بنت قيس لما طلقت ، أمرها الرسول أن تعتد في بيت ابن
عمها ابن أم مكتوم لكونه ضرير البصر، وإذا وضعت خمارها لا يراها^{٧٩}.
وروي أن الرسول (ص) قال : " لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس
القفازين"^{٨٠}.

هذه هي الروايات التي اعتمد عليها الفقهاء في حرمة وجه المرأة ويديها
وأن جسدها بكامله عورة ..

وأمام هذه الروايات لنا هذه الملاحظات :

أولاً : هل النساء قبل نزول آية الحجاب كن متبرجات في المدينة؟..

ثانياً : ما هو نوع اللباس الذي كانت ترتديه نسوة المدينة آنذاك؟..

ثالثاً : هل هذه الروايات تنطق بحرمة كشف وجه المرأة ويديها ؟..

يقول الفقهاء: إن النساء كن يخرجن في المدينة بالجلباب أو بلا جلاباب
يرى الرجل وجهها ويديها وذلك قبل نزول آية الحجاب، فلما نزلت آية
الحجاب سترت وجهها وكفيها^{٨١}.

وحسب هذا القول فإن التبرج الذي كان سائداً في المدينة هو كشف الوجه
والكفين فقط ..

لنترك الروايات تكشف لنا الحقيقة..

٧٨ - البخاري باب ما يلبس المحرم من الثياب.

٧٩ - مسلم كتاب الطلاق.

٨٠ - البخاري، وانظر موطأ مالك.

٨١ - فتاوى ابن تيمية ج ٢/٢ 109 وما بعدها.

يروى أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله (ص) وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها الرسول وقال " يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا " . وأشار إلى وجهه وكفيه^{٨٢}.

ويروى : أن النبي (ص) أردف الفضل بن العباس خلفه يوم النحر، فجاءت امرأة تسأل الرسول، فطفق الفضل ينظر إليها ويطيل الالتفات إليها ، فجعل النبي يصرف وجهه إلى الشق الآخر^{٨٣}.

ويروى : أن الرسول (ص) قال : " لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة " ^{٨٤}.

ويروى عن الرسول (ص) قوله : " إياكم والجلوس على الطرقات "، فقالوا : ما لنا بد ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها..

قال : " فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها " ..

قالوا : وما حق الطريق ؟

قال : " غص البصر . وكف الذي ورد السلام " ^{٨٥}.

ويروى أن الرسول قال : " لعن الله الواشمات والموتشحات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله " ^{٨٦}.

ويروى أن رسول الله (ص) رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال " إن المرأة تقبل في صورة شيطان

٨٢ - أبو داود كتاب اللباس .

٨٣ - مسلم كتاب اللباس والزينة .

٨٤ - رواه أحمد والترمذي وأبو داود .

٨٥ - مسلم، كتاب اللباس والزينة .

٨٦ - المرجع السابق .

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ٢٠٥

وتدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه" ١ .

ويروى قول النبي في بيعة النساء : "إني لا أصافح النساء" ٢ .
ويروى عن عائشة قولها : لا والله ما مست يد رسول الله (ص) يد امرأة قط ٣ .
قط ٣ .

ويروى عن عائشة أيضاً قولها : إن هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله؟
قال : "لا أبأيعك حتى تغيري كفيك، كأنهما كف سبع" ٤ .
وما يتضح لنا من خلال هذا الكم من الروايات أن المجتمع المدني كان
يعايش المرأة سافرة الوجه ظاهرة الكفين وأن هذا هو العرف السائد الذي تعامل
معه الرسول . .

فإذا تبين لنا هذا فإنه يمكن القول إن آيات الحجاب نزلت لمواجهة حالة
أخرى ونمط آخر من سلوكيات النساء، ولم تنزل لتحريم الوجه والكفين . .
وإذا كانت نسوة المدينة قد بالغن في التستر بعد نزول آيات الحجاب كما
أشارت الروايات التي يستند إليها أنصار تحريم كشف الوجه واليدين فتلك
مسألة سلوكية تعكس اهتمامهن بأمر الله وتحوطهن في تطبيقه وليس هذا تشريعاً
للأمة . .

وقوله تعالى : {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يُغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ
أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ
أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا

١ - مسلم كتاب النكاح.

٢ - سنن ابن ماجه . باب بيعة النساء .

٣ - المرجع السابق.

٤ - أبو داود كتاب الترجل .

وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ
آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ { (النور: ٣١)

وهذا النص الصريح الذي ينهى عن غض البصر يدل دلالة صريحة على أن
هناك شئ ظاهر من المرأة يستدعي جذب بصر الرجل نحوها ، ألا وهو الوجه
والكفين ، وهو ما دفع ببعض فقهاء المذاهب إلى القول بأن الوجه والكفين من
المرأة ليسا بعورة فلا يجب سترهما، وحملوا الروايات التي تشير إلى خلاف
ذلك على النذب دون الوجوب مؤكدين أن الوجه والكفين هما المقصودان من
قوله تعالى: { إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا }^١.

أما أصحاب الاتجاه المتشدد الذي يلصق بالرسول التحريم، فيتجه إلى أن
الزينة المقصودة هنا ليست هي الوجه والكفين، وإنما هي زينة المرأة الخارجة
عن أصل خلقتها، والتي لا يؤدي النظر إليها رؤية شئ من بدنها مثل الثياب أو
الحلي ..

وقد اعترف إمام التشدد والذي تتعبد بأقواله التيارات الإسلامية والاتجاه
الوهابي عموماً بأن الزينة في هذه الآية تنقسم إلى قسمين :
زينة ظاهرة وقد تنازع فيها السلف على قولين :
قال ابن مسعود ومن وافقه هي الثياب ..

وقال ابن عباس ومن وافقه هي ما في الوجه والكفين مثل الكحل والخاتم،
ثم علق على هذا الكلام بقوله: وحقيقة الأمر أن الله قد جعل زينتهن زينة ظاهرة،
وزينة غير ظاهرة، وجوز لها - أي المرأة - إبداء زينتها الظاهرة لغير الزوج
وذوي المحارم، وأما الباطنة فلا تبديها إلا للزوج وذوي المحارم^٢.

١ - أنظر كتب الفقه ، وكتاب فقه السيرة للبوطي، والحلال والحرام للقرضاوي.

٢ - ابن تيمية ، الفتاوى الكبرى ج ٢٢

ويبدو من خلال الروايات التي عرضنا لها بخصوص كشف المرأة لوجهها وكفيها، أن النساء كن يتجاوزن هذا الكشف ويكشفن المزيد من جسدن مثل الصدر والرأس والسيقان والذراعين، وهذه هي صورة التبرج التي نزلت الآيات بخصوصها ..

ويبدو أيضاً أن لباس المرأة في تلك الفترة لم يكن مثيراً وشاذاً كما هو الحال في صورة اللباس المعاصرة، فقد كانت المرأة ترتدي الجلباب وهو لباس طويل واسع يغطي معظم جسدها، ويطلق على الجلباب أيضاً اسم الملاء ويسميه البعض الرداء ويطلق عليه العامة اسم الإزار ..

يروى أن أم سلمة زوج النبي (ص) قالت له حين ذكر الإزار، فالمرأة يا رسول الله ؟ قال : ترخي شبراً، قالت أم سلمة : إذا ينكشف عنها، قال : فذراعاً لا تزيد عليه^١.

ويروى أن رسول الله (ص) أتى بقباطي، فأعطى منها قبطية لأحد أصحابه وقال له : اصدعها صدعين فاقطع أحدهما قميصاً وأعط الآخر امرأتك تختمر به، فلما أدبر قال له الرسول : "وأمر امرأتك أن تجعل تحته ثوباً لا يصفها"^٢.
ويروى : لعن رسول الله الرجل يلبس لبس المرأة، والمرأة تلبس لبس الرجل^٣.

ومن الرواية الأولى تتضح لنا الحقائق التالية :

- إن أم سلمة تستشير الرسول في أن تطيل ثوبها فيجيبها بأن تطيله شبراً ..
- إن أم سلمة استدركت على الرسول أن الشبر لا يكفي لستر الساقين ..
- إن الرسول تراجع عن رأيه وقال بذراع بدلاً من الشبر ..

١ - أبو داود كتاب اللباس.

٢ - المرجع السابق.

٣ - المرجع السابق.

٢٠٨ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

ومن الحقيقة الأولى يتبين لنا أن اللباس الخاص بالمرأة مسألة اختيارية وليست محددة في هيئة خاصة .

كما يتبين لنا أن الرسول لا علم له بلباس النساء وما يحقق الستر لهن وما لا يحققه وهو ما يؤكده توجيه أم سلمة له .

كما يتبين لنا أيضاً بالتأمل أن كشف جزء من الساق كان عادة سائدة من قبل النساء وهو ما يوحي به قولها : إذا ينكشف عنها..

ومن الحقيقة الثانية يتبين لنا أن مسألة ستر الساقين ليست ذات أهمية شرعاً ولو كانت كذلك ما قال الرسول : "ترخي شيراً" ..

ومن الحقيقة الثالثة يتبين لنا أن تراجع الرسول يفيد عدم التشدد في مسألة اللباس ومرونته تجاه هذه المسألة ..

وإذا كانت هذه الاستنتاجات لا ترضي القوم وتخالف المؤلف فهذا يضعنا بين أمرين :

إما أن نرفض الرواية ..

وإما أن نقبلها على ما فيها من مساس بشخص الرسول واتهامه بالجهل والتهاون ..

أما الرواية الثانية فتكشف لنا الحقائق التالية :

- إن الرسول أهدى واحداً من أصحابه ثوبا شفافا (القباطي) ..

- إن هذا الثوب يصلح للرجال والنساء ..

- إن الرسول أمر الصحابي أن تختمر زوجته بهذا الثوب الشفاف شريطة أن

ترتدي تحته ما لا يصف جسدها ..

وهذا كله يشير إلى مرونة الرسول (ص) في مسألة اللباس وقبوله مشاركة

النساء للرجال في نوع اللباس، كما أنه يشير إلى حقيقة هامة وهي أن مثل هذا

الثوب الشفاف كان معروفا في المدينة وترتديه النساء ولعلنهن أسرفن في لباسه

مما اعتبر صورة من صور التبرج الفاضحة التي استدعت نزول آيات الحجاب وارتداء النسوة الخمر وضربها على الجيوب (أي الصدور) من ثياب ثقيلة لا تشف ولا تجسم ..

والرواية الثالثة تكشف لنا أن هناك حالة من التنازع في الزينة بين المرأة والرجل في محيط اللباس، فكانت النسوة يرتدين السراويل والنعال ويضعن على رؤوسهن ما يشبه عمام الرجال ..

يروى أن رسول الله (ص) دخل على أم سلمة وهي تختمر فقال: "لية لا ليتين" ^١ ..

أي لا تلف الخمار حول رأسها إلا مرة واحدة لا مرتين كما يفعل الرجال ..
ويروى عن عائشة أنها سألت: المرأة تلبس النعل، فقالت: لعن رسول الله الرجل من النساء ^٢.

ومثل مسألة ارتداء النساء نعال الرجال تكشف لنا أن المرأة كانت تكشف قدميها ..

ومما سبق ذكر يمكن القول إن تلك الروايات التي استند إليها فقهاء التحريم لا تفيد بالضرورة هذا الحكم ولا تقطع به وذلك من وجوه عدة:
أولاً: أن ما فعلته نساء الأنصار بنفسها بعد نزول آية الحجاب مجرداً جتهاد شخص وليس دليلاً على وجوب ستر الوجه واليدين ..

ثانياً: إن نهى الرسول (ص) المرأة أن تتبرقع أو تلبس القفاز أثناء الاحرام لا يفيد بالضرورة أن الحكم الشرعي السائد كان ستر الوجه واليدين، فإنه يحتمل

١ - أبو داود كتاب اللباس.

٢ - المرجع السابق.

أن التبرقع ولبس القفاز كان عادة سائدة من قبل بعض النسوة اللاتي يبالغن في الامتثال لأحكام الشرع، وكان الرسول (ص) ينهاهن عن ذلك أثناء الاحرام ..
ثالثاً: إنه لو كان ستر الوجه واليدين حكماً شرعياً لبينة الرسول وأشار إليه بما لا يوجب هذا الخلاف الواقع بين الفقهاء حول هذه المسألة ..

رابعاً: إن التبرقع كان عادة سائدة في الجاهلية من قبل النساء وهي عادة كانت أكثر ما تلتزم بها الحرائر من النساء بينما الإماء ومحترفات الزنا كن متبرجات ..

خامساً: إن قصارى ما وصل إليه فقهاء التحريم حول هذه الروايات وحول آية الحجاب لا يخرج عن كونه مجرد استنتاجات واجتهادات وهي بهذا لا تلتزم أحداً إلا أتباعهم ..

سادساً: إن ما يقود إليه البحث والتأمل في نصوص الحجاب هو أن ستر الوجه واليدين حكم خاص بنساء النبي (ص) اللاتي أمرن بالاحتجاب عن الناس كلية وعدم الخروج من بيوتهن، ولا مانع من أن تتأسى بهن بقية النسوة لكن هذا يكون من باب الاقتداء لا من باب التطبيق لحكم شرعي خاص بهن ..

سابعاً: إن رواية فاطمة بنت قيس التي أمرها الرسول (ص) أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم لكونه ضرير البصر غير مقبولة عقلاً لكونها نصت على أنه لا يرى منها شيئاً إذا وضعت خمارها، هل المقصود منها أنه لا يرى وجهها؟ أم لا يرى جسدها؟

إن من العجب العجاب أن يستدل الفقهاء بمثل هذه الرواية على وجوب ستر وجه المرأة ويديها، فالرواية لا تفيد شيئاً يتعلق بالأمر، فابن أم مكتوم رجل ضرير لا يرى شيئاً من الأصل، ووجود فاطمة عنده من باب ستر نفسها والحصول على حرية الحركة في البيت دون حجاب، لا الحصول على حريتها في كشف وجهها ويديها..

صور أخرى..

ومن بين صور التحريم التي رفع لوائها الفقهاء وهي من باب العادات تحريم لعبة الشطرنج، إلا أننا لن نخوض فيه هنا لأن القوم من فرط تقواهم وورعهم لم ينسبوا تحريمه إلى الرسول (ص) وإنما نسبوه إلى بعض الصحابة والتابعين وهذا فيه الكفاية للدلالة على عبادة الرجال . .

ويروى أن الرسول (ص) نهى عن النذر، وقال : " إنه لا يرد شيئاً وإنما يستخرج به من البخيل " ^١.

ويروى أن الرسول (ص) قال : " من نذر أن يطيع الله فليطعه . ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه " ^٢ . .

ويروى عنه (ص) : " لا نذر في معصية " ^٣.

ويروى أن الرسول استفتى فقال المستفتي : إن أُمي ماتت وعليها نذر . فقال الرسول : " اقضه عنها " ^٤ .

يقول الفقهاء : عادة الناس تعليق النذور ودفع المضار فنهى عنه فإن ذلك فعل البخلاء إذ السخي إذا أراد أن يتقرب إلى الله تعالى استعجل فيه وأتى به في الحال، وقال ابن عبد الملك : هذا التعليل يدل على أن النذر المنهي عنه ما يقصد به تحصيل غرض أو دفع مكروه على ظن أن النذر يرد عن القدر شيئاً وليس مطلق النذر منهياً إذ لو كان كذلك لما لزم الوفاء به وقد أجمعوا على لزومه إذا لم يكن المنذور معصية ^٥ .

١ - البخاري كتاب القدر ومسلم كتاب النذر.

٢ - أبو داود كتاب الإيمان والنذر.

٣ - المرجع السابق.

٤ - البخاري كتاب الوصايا ومسلم كتاب النذر.

٥ - مسلم ، هامش كتاب النذر.

ويبدو من كلام الفقهاء أنه محاولة لإزالة التناقض بين الروايات وتقييد النهي الوارد فيها ، إلا أن قولهم في النهاية قاد إلى الإباحة وهو ما يؤدي إلى ضرب رواية النهي المطلق وانعدام قيمتها وأهميتها ..

ومثل ذلك مسألة السفر بالقرآن إلى بلاد الكفار ..

يروى أن رسول الله (ص) نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو^١ ..

يقول الفقهاء : العلة في المنع هو خشية إصابة الكفار له ونيلهم إياه .

وقال النووي : فإن أمنت هذه العلة بأن يدخل في جيش المسلمين الظاهرين - المنتصرين على العدو فلا كراهة ولا منع منه حينئذ لعدم العلة هذا هو الصحيح، وبه قال أبو حنيفة والبخاري وآخرون وقال مالك وجماعة من أصحابنا بالنهي مطلقاً^٢ .

ومثل هذه الرواية وكلام الفقهاء فيها لا يستقيم مع العصر، فهي رواية ظرفية ترتبط بزمان الرسول (ص) والأزمان السابقة، أما اليوم فإن الإسلام ينتشر في بلاد الكفر ويمارس المسلمون شعائرهم بحرية لم يجدوها في بلادهم التي هاجروا منها ..

من هنا يمكن القول إن مثل هذه الروايات، رواية النهي عن النذر ورواية النهي عن السفر بالمصحف، ورواية النهي عن الصور ونكاح الشغار ونكاح المتعة لا حاجة لنا بها اليوم، ومن الواجب نبذها والخلاص منها ليس فقط لكونها لا تتفق مع روح العصر، ولكن لكونها تضيف على الرسول صفة المشرع فيما لا فائدة فيه فمن ثم فهي تزيد من إحراج الرسول شرعاً وعقلاً ..

والفائدة الوحيدة التي يمكن تحصيلها من وراء رواية النهي عن السفر بالمصحف هي إثبات أن القرآن كان موجوداً في زمن الرسول ومكتوباً، وهو ما

١ - البخاري وأبو داود كتاب الجهاد ومسلم كتاب الإمارة.

٢ - مسلم هامش باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى بلاد الكفار.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين
٢١٣

يناقض عقيدة القوم من الفقهاء والمحدثين والتي تنص على أن القرآن لم يكن مجموعاً في زمن النبي ومات وهو على هذا الحال من التفرق في صدور الناس، وهو ما يؤدي إلى إحراج الشيخين - أبي بكر وعمر - اللذين تصدياً لجمع القرآن بعد وفاة الرسول..

ويروى عن السؤل (ص): "نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة^١."

ويروى: لعن رسول الله (ص) زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج^٢.

ويروى: لعن رسول الله زائرات القبور^٣.
ويبدو من الرواية الأولى أن الرسول (ص) كان قد نهى عن زيارة القبور ثم رجع عن ذلك وأباحها بهدف العظة والتذكرة..
وهذه الإباحة تشمل الرجال والنساء فالخطاب الشرعي لا يخص الرجل وحده..

فإذا تبين لنا ذلك فما معنى الرواية الثانية التي تلعن زائرات القبور؟
والإجابة تفرض علينا إما أن نأخذ برواية الإباحة، وإما أن نأخذ برواية النهي..

فكلا الروايتين محل تصديق الرواة، والفقهاء رجحوا رواية الإباحة واعتبروا رواية النهي منسوخة وبهذه الطريقة تم حل التناقض بين الروايتين..

١ - أبو داود، كتاب الجنائز.

٢ - المرجع السابق.

٣ - ابن ماجه، باب النهي عن زيارة النساء القبور . وهذه الرواية تثير الشك في الإضافة التي لحقت بالرواية التي سبقتها والتي تتعلق ببناء المساجد على القبور وإنارتها.

قال السيوطي : كان ذلك حين النهي ثم أذن لهن حيث نسخ النهي، وقيل بقين تحت النهي لقلّة صبرهن وكثرة جزعهن، قلت وهو الأقرب إلى تخصيصهن بالذكر^١.

ومثل هذه المسألة إنما تدور في محيط الأمور السلوكية التي تتغير بتغير الواقع والتي لا تدخل في دائرة المحرمات، فهي أشبه بالعادات التي لا يجوز إقحام الدين فيها، فمن ثم فإن نسبة التحريم في مثل هذه المسألة للرسول أمر مشكوك فيه ..

وما ينطبق على المسألة السابقة ينطبق على مسألة تحريم بيع الكلاب، ووصل المرأة شعرها، والشرب في آنية الذهب والفضة..
روي أن رسول الله (ص) نهى عن ثمن الكلب^٢..

وروي أن امرأة جاءت إلى النبي (ص) فقالت يا رسول الله إن لي ابنة عريسا أصابتها حصبة فتمرق شعرها أفأصله، فقال الرسول : " لعن الله الواصلة والمستوصلة"^٣.

ويقول الفقهاء عن ثمن الكلب أن ذلك لا يقصد به الكلب المعلم، ويقولون عن وصل الشعر إن هذا حكم يعم الرجل والمرأة..
وقال النووي الأحاديث صريحة في تحريم الوصل مطلقاً وهو الظاهر المختار..

وقال آخر : الرجل والمرأة في ذلك سواء هذا إذا كان المتصل شعراً لآدمي لكرامته، وأما غيره فلا بأس بوصله فيجوز اتخاذ النساء القراميل من الوبر - رباط تربط به المرأة شعرها من الوبر -^٤ .

١ - ابن ماجة بشرح السندي ، هامش باب ما جاء في النهي عند زيارة النساء القبور .

٢ - البخاري كتاب البيوع، ومسلم كتاب المساقاة .

٣ - مسلم كتاب اللباس والزينة .

٤ - مسلم كتاب اللباس والزينة، هامش باب تحريم فعل الواصلة .

وقول الفقهاء هذا إنما يؤكد مسألة التحريم في مثل هذه الأمور التي لا تخرج عن كونها من العادات النافعة للناس، وإذا كان الرسول قد نهى عن بيع الكلب غير المعلم فما قيمة هذا النهي إذن؟
إذ من المعروف أن الكلب غير المعلم لا قيمة له وهو أشبه بالكلاب الضالة.

فإذا كان التحريم يقصد هذا النوع من الكلاب فلا مبرر له، خاصة وأن كلاب الزينة لم تكن تعرف في زمان الرسول، وهذا الاستنتاج يثير الشك حول الرواية من أساسها ..

أما وصل المرأة التي يتساقط شعرها بشعر غيرها وهو ما يشبه (الباروكة) اليوم فقد جزم الفقهاء بتحريمه رغم أن الرواية لا تنطق بذلك . إنما هي تنطق بالزجر والتخويف من هذا الفعل، ثم هم أباحوا الوصل إذا كان من غير شعر الآدمي فكيف ذلك..؟

أيجوز للمرأة أن تصل شعرها بشعر الحيوانات ولا يجوز لها أن تصله بشعر الآدمي..؟

وهل من المصلحة أن يتساقط شعر المرأة فتسوء في عين زوجها ولا تتحرك لعلاجها بشئ يعيد إليها زينته .. ؟

وما هو الضرر من وصل الشعر .. ؟

هل هو الغش، وغش من ؟

هل هو غش الزوج، وهل الزوج لا يعلم بحال زوجته .. ؟

أم هو غش الخاطب، وهل الخاطب يرى شعر مخطوبته .. ؟

هل كانت النساء تمضي في الطرقات حاسرات كاشفات رؤوسهن فيمكن للواصلة أن ينخدع بها الناس .. ؟

أما ما يتعلق بتحريم آنية الذهب والفضة فيقول الفقهاء : إن الاجماع منعقد على تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة في الأكل والشرب والطهارة، والأكل بملعقة من أحدهما، والتجمر بمجمرة منها والبول في الإناء منهما، وجميع وجوه الاستعمال ومنها المكحلة والميل وظرف الغالية وغير ذلك^١.

ومثل هذا السلوك إنما يعكس حالة اجتماعية خاصة للقادرين على فعله دون إلحاق ضرر بالمجتمع وبالأخرين، فما دام المرء ثريا من وجوه الحلال واتخذ لنفسه مثل هذه الآنية فما هو الضرر في هذا؟

هل هو الاسراف؟

فما هو الحال إذا كان متخذ هذه الآنية يرعى حق الله في ماله ولا يظلم أحداً؟

وإذا ما سلمنا بصحة هذا النهي فإنه يحمل على النهي الظرفي الخاص بواقع الرسول وتركيبه المجتمع المدني، ثم إذا كانت الفضة مباحة فلماذا تحرم آنيته؟

ويبقى بعد هذا مسألة النهي عن إلقاء السلام على أهل الكتاب ..

يروى عن الرسول (ص) قوله : " لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه"^٢.

١ - مسلم كتاب اللباس والزينة، هامش باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة.

٢ - مسلم كتاب السلام.

يقول الفقهاء : قوله (ص) لا تبدأوا اليهود .. الخ قيل النهي للتنزيه وضعفه النووي وقال الصواب إن ابتداءهم بالسلام حرام لأنه إعزاز ولا يجوز إعزاز الكافر..

وقال الطيبي : المختار أن المبتدع لا يبدأ بالسلام ولو سلم على من لا يعرفه فظهر ذمياً أو مبتدعاً يقول استرجعت سلامي تحقيراً له، وأما إذا سلموا على المسلم فقد جاء في حديث آخر أنه يردهم^١.
إن المتأمل في هذه الرواية يتبين له أنها تتنافى مع خلق الرسول الذي جذب نحوه المشرك قبل الكتابي ، وتتنافى مع نصوص القرآن التي تبيح طعام أهل الكتاب ومناكحة نساءهم..


وإذا كان الإسلام يبيح هذا، أفلا يبيح إلقاء السلام عليهم ؟ ..
فإذا ما تبين لنا هذا فمن أين جاء الفقهاء بهذا الموقف المتشدد ؟ ..
وإذا كان بعض الفقهاء قد أجاز بدء اليهود والنصارى بالسلام واعتبر النهي للتنزيه لا للتحريم فلماذا لم يحترم الفقهاء هذا الرأي وضعفوه..؟
والجواب إن فقهاء التشدد ونسبة التحريم للرسول ضد التسامح وحرية الرأي على الدوام، وهم يعتبرون المواجهة بينهم وبين المخالفين لهم مواجهة مصيرية تحتم إزالة أحد أطراف الصراع، وهم قد اختاروا أنفسهم وقرروا إزالة الطرف الآخر الذي يهدد وجودهم ومستقبلهم المرهون بهذه الروايات وهذه الفتاوى، فمن ثم فهم يطلقون على المخالفين لهم لفظ المبتدعة، وهم هنا قد ساووهم بأهل الكتاب وحرموا إلقاء السلام عليهم كما حرموه على أهل الكتاب..

١ - مسلم هامش باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، كتاب السلام.

وهؤلاء الفقهاء إنما استنبطوا موقفهم المتشدد هذا من خلال واقعهم الذي كان يعامل أهل الكتاب معاملة مواطني الدرجة الثانية، ويحرمون عليهم إشهار شعائرهم أو ارتداء أزياء المسلمين أو بناء معابد لهم أو حتى المرور في أحياء المسلمين، فضلاً عن دفع الجزية وخراج الأراضي التي يملكونها في ذلة وصغار ممنوع عليهم محاولة الدخول في الإسلام حتى لا يقل إيراد الدولة^١.
هذا هو واقع الفقهاء الذي لا يجراً أهل الكتاب على مخاطبة المسلمين فيه..
وهو واقع لا صلة بواقعنا المعاصر الذي يعيش فيه المسلم كمواطن من الدرجة الأولى في ظل دول النصارى في أوروبا، ولا يتحقق له هذا العيش في البلاد التي تدعي الإسلام ..

* * *

١ - أنظر لنا كتاب الكلمة والسيف، وانظر أحكام أهل الذمة لابن القيم الجوزية.



الرسول المجسم

الرسول يجعل لله صفات البشر..



نزل القرآن على الرسول (ص) بقوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } .

فهل ناقض الرسول هذا النص في أقواله وتوجيهاته . . ؟

إن التعمق في دراسة شخصية الرسول ودوره سوف يقودنا إلى الإجابة بالنفي، لكن التعمق في كم الروايات المنسوبة للرسول ومباركة الفقهاء لها يقودنا إلى القناعة بأن الرسول قد خالف هذا النص وناقضه، وهذا هو الطرح الذي ساد الأمة برعاية الحكام وأهل السنة ومن تجاوزه كان يرمى بالكفر والزندقة ويهدر دمه . .

هذا الطرح هو الذي أطلق عليه عقيدة السلف أو عقيدة الفرقة الناجية من النار، وتحت هذا المسمى أمكن جذب الجماهير المسلمة لتنطوي تحت راية هذه العقيدة وتتعصب لها وتسهم مع الحكام والفقهاء في تصفية واستئصال الرافضين لها من الشيعة والمعتزلة ومن أسموهم بالجهمية . .

ولما كانت الأمة قد عُبدت للرجال كان من السهل على الحكام والفقهاء استقطابها وتذويبها في دائرة هذه العقيدة التي تقوم على الروايات وأقوال الرجال..

جاءت الروايات لتجعل لله سبحانه عيناً ويداً ورجلاً وتجعله يهبط ويصعد ويضحك ويغار وتمكن رؤيته، وأن مكانه في السماء فوق العرش، وأنه يتكلم وقد خلق آدم على صورته، وأنه يكشف عن ساقه يوم القيامة، ويمسك الأرض على إصبع، والسماء على إصبع إلى آخر هذه الروايات . .

وجاء الفقهاء ليقوموا بدورهم في إضفاء الشرعية عليها مع تحذير المسلمين من الضلال والهلاك في حالة الانحراف عن هذه الروايات واتباع أهل الزيغ والضلالة من الاتجاهات الأخرى..

وكما لم يوقر أصحاب الروايات والفقهاء الرسول (ص) من قبل، لم يوقروا الله سبحانه ولم ينزهوه عن مشابهة البشر بإعلانهم نبذ هذه الروايات والكفر بها . وكيف لهم أن يوقروا الرسول وهم لا يوقرون الله خالق الرسول ؟..
إننا في مواجهة هذه الروايات ونصوص الفقهاء حولها نقف أمام ظاهرة خطيرة من ظواهر الانحراف عن الأديان وتزييفها، ظاهرة التشويه والتجسيم والتي تمثل أعلى صور الضلال العقائدي لكونها ترتبط بصفات الله سبحانه مباشرة ..

نصوص الروايات

هناك الكثير من الروايات التي تتعلق بصفات الله سبحانه سوف نعرض لها هنا، ثم نعرض بعدها نصوص الفقهاء حولها، ونتبع ذلك بعرض نصوص القرآن التي تدور حول نفس الموضوع والتي تم إخضاعها للروايات لتفسر على ضوءها..

يروى أن الرسول (ص) قال : " لما قضى الله الخلق، كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي " ^١.
ويروى عن الرسول (ص) قوله : " الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة " ^٢.

١ - مسلم كتاب التوبة، البخاري كتاب بدء الخلق.

ويروى عنه (ص): "لا أحد أغير من الله" ^٣.

ويروى عنه (ص): "إن الله يغار" ^٤.

ويروى عنه (ص): "إن الله يدني المؤمن - يوم الحساب - فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم. أي رب" ^٥.

ويروى: جاء خبر من الأحبار إلى الرسول (ص) فقال يا محمد. إنا نجد أن الله يحمل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع. وسائر المخلوقات على إصبع. فضحك النبي حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ^٦.

ويروى عنه (ص): "يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه" ^٧.

ويروى عنه (ص): "لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول قط. قط وعزتك" ^٨.

وفي رواية أخرى: "... فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله" ^٩.

ويروى عنه (ص): "أن الله خلق آدم على صورته" ^{١٠}.

ويروى عنه (ص): "يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن" ^{١١}.

٢ - البخاري كتاب الدعوات ومسلم كتاب التوبة.

٣ - مسلم كتاب التوبة، والبخاري كتاب التفسير.

٤ - مسلم كتاب التوبة والبخاري كتاب النكاح.

٥ - البخاري كتاب المظالم، ومسلم كتاب التوبة.

٦ - مسلم كتاب صفات المنافقين، والبخاري كتاب التفسير.

٧ - مسلم كتاب صفات المنافقين والبخاري كتاب الرقاق.

٨ - مسلم كتاب الجنة والبخاري كتاب الإيمان والندور.

٩ - مسلم كتاب الجنة، والبخاري كتاب التفسير.

١٠ - مسلم باب النهي عن ضرب الوجه، كتاب البر والصلة.

ويروى عنه (ص): "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه، فإن الله قبل وجهه" ١٢.

ويروى عنه (ص): "إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته" ١٣.

ويروى عنه (ص): "يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة" ١٤.

ويروى عنه (ص) أنه قال لجارية: "أين الله؟" قالت: في السماء. قال: "أعتقها فإنها مؤمنة" ١٥.

ويروى عنه (ص): "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا" ١٦.

ويروى عنه (ص): "العرش فوق الماء والله فوق العرش" ١٧.

ويروى عنه (ص): "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه وليس بينه وبينه ترجمان" ١٨.

ويروى عنه (ص): "إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن" ١٩..

ويروى عنه (ص): "إن ربكم ليس بأعور" ٢٠.

١١ - البخاري كتاب التفسير.

١٢ - مسلم والبخاري كتاب الصلاة.

١٣ - المرجعين السابقين.

١٤ - مسلم كتاب الإمارة، والبخاري كتاب الجهاد.

١٥ - مسلم كتاب الجنائز.

١٦ - البخاري كتاب التوحيد وكتاب التهجد وكتاب الدعوات، ومسلم كتاب صلاة المسافرين.

١٧ - رواه أبو داود والترمذي، وأنظر كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب ص ٢١٢

١٨ - مسلم كتاب الزكاة.

١٩ - مسلم كتاب القدر.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٢٢٥

ويروى عنه (ص): "يدي الله ملأى سماء الليل والنهار، رأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يفض في يمينه" ٢١.

ويروى عنه (ص): "يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبعون ما كانوا يعبدون. وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله تعالى منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم في الصورة التي يعرفونها فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا" ٢٢.

ويروى عنه (ص): "خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن - أي ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف - فقال سبحانه: مه. قالت: هذا المقام العائد بك من القطيعة" ٢٣.

ويروى عنه (ص): "حجابه - أي الله سبحانه - النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" ٢٤.

ويروى عنه (ص): "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري" ٢٥.

والظاهر من هذه الروايات إنما تؤكد فكرة التجسيم وتشبيه الله سبحانه بمخلوقاته بصورة فجأة ومستفزة ..
فالرواية الأولى تثبت لله الجهة والمكان ..
والثانية تثبت لله صفة الفرع ..

٢٠ - مسلم والبخاري كتاب الفتن.

٢١ - البخاري كتاب التفسير ومسلم كتاب الزكاة ..

٢٢ - مسلم كتاب الإيمان.

٢٣ - البخاري كتاب التفسير ومسلم كتاب الإيمان.

٢٤ - ابن ماجه باب فيما أنكرت الجهمية.

٢٥ - أبو داود كتاب اللباس.

- .. والثالثة تثبت لله صفة الغيرة ..
- .. والرابعة تؤكد نفس الصفة ..
- .. والخامسة تثبت لله صفة الملازمة والتكلم المباشرة مع المخلوق ..
- .. والسادسة تثبت أن لله أصابع وأن الرسول (ص) يقر الحبر اليهودي على صحة هذه الصفة كما هي في التوراة ..
- .. والسابعة تثبت لله صفة القبض باليد اليمنى واليسرى ..
- .. والثامنة تثبت أن لله قدماً ..
- .. والتاسعة تثبت أن لله رجلاً ..
- .. والعاشرة تثبت أن صورة آدم هي صورة الله ..
- .. والحادية عشرة تثبت أن لله ساقاً ..
- .. والثانية عشرة تثبت أن الله يقف قبل وجه المصلي ..
- .. والثالثة عشرة تثبت رؤية الله بالعين المجردة ..
- .. والرابعة عشرة تثبت أن الله يضحك ..
- .. والخامسة عشر تحدد مكان الله في السماء ..
- .. والسادسة عشرة تثبت أن الله يهبط إلى الدنيا كل ليلة ..
- .. والسابعة عشرة تثبت أن عرش الرحمن فوق الماء وأن الله فوق العرش ..
- .. والثامنة عشرة تثبت أن الله سوف يتكلم مع الناس دون وسائط ..
- .. والتاسعة عشر تثبت وجود الأصابع لله ..
- .. والعشرون تنفي عن الله صفة العور فهي تؤكد بالتالي أن له عين ..
- .. والإحدى والعشرون تثبت لله اليدين ..
- .. والثانية والعشرون تثبت أن أمة محمد تعرف صورة الله مسبقاً وأن الله سبحانه يأتيهم متنكراً فيكشفون تنكره فيعود إليهم بهيئته التي يعرفونها فلا ينكرونه ..

والثالثة والعشرون تثبت أن لله ضلعاً وخاصة وأن مخلوقاته تتمكن منه ..
والرابعة والعشرون تثبت أن الله يبصر كبصر بشر، وأن هذا البصر محدود
كما هو حال بصر البشر ..
والخامسة والعشرون تثبت تمسك الله بأزياء البشر، وربط صفاته بأنواع
الملابس السائدة ..
ومن هنا يتضح لنا مدى خطورة مثل هذه الروايات على الإسلام وصورته
التي تقترب بها هذه الروايات من صور الأديان السابقة التي دخلت مجال التشبيه
والتجسيم وتأليه البشر ..
إن مثل هذه الروايات تعطينا دلالة قاطعة على أن الأمة المسلمة قد انحرفت
عن نهج الرسول، ودخلت في متاهة الأحبار والرهبان، وعبادة الرجال والتي
حذرنا منها الرسول بقوله (ص) : "لتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر
وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم" .
قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟
قال : " فمن " ٢٦ .

وإن مباركة الفقهاء لهذه الروايات لهو برهان ساطع ودليل قاطع على كونهم
أخذوا مكان الأحبار والرهبان في إضلال هذه الأمة ونسبة التجسيم إلى الرسول ..
وسوف يتضح لنا من خلال استعراض نصوص الفقهاء حجم المتزلق الخطير
الذي انزلقوا فيه مع هذه الروايات، ذلك المتزلق الذي تتضح مدى خطورته عند
استعراض النصوص القرآنية المتعلقة بصفات الله سبحانه والتي أخضعوها لهذه
الروايات الباطلة ..

ومثل هذه الروايات لا مجال للمرونة في مواجهتها، فهي ليست روايات تتعلق بالأحكام أو الأخلاق أو حتى شخص الرسول، إنما هي تتعلق بالله سبحانه مباشرة ، فمن ثم فإن نبذها يعد واجباً شرعياً وعقلياً على كل مسلم يوحد الله وينزّهه عن مشابهة البشر..

ونبذها يتطلب نبذ أولئك الفقهاء الذين سلكوا سبيل الأبحار والرهبان وأضافوا على هذه الروايات التفسيرات والتأكيدات التي سلكت بها مسلك النصوص المعتمدة لتتلقاها الأمة بالقبول . .

أقوال الفقهاء

تبني الفقهاء في مواجهة الروايات السابقة منطق التسليم بمضمونها ما دام قد صح سندها وتناول هذا المضمون على أساس المجاز، وهو ما سوف يتضح لنا من خلال عرض أقوالهم . .

يقول أحمد بن حنبل : وعرش الرحمن فوق الماء والله على العرش والكرسي موضع قدميه، وهو على العرش فوق السماء السابعة، وللعرش حملة يحملونه والله يتحرك ويتكلم وينظر ويبصر ويضحك ويفرح ويحب ويكره ، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيها ما أراد ، وخلق آدم بيده على صورته، والسموات والأرض يوم القيامة في كفه، ويضع قدمه في النار تنزوي . ويخرج قوما من النار بيده، وينظر أهل الجنة إلى وجهه يرونه فيكرمهم، والقرآن كلام الله تكلم به ليس بمخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوق، فهو جهمي كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من قول الأول، ومن زعم أن ألفاظنا به وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمي،

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٢٢٩

ومن لم يكفر هؤلاء القوم كلهم فهو مثلهم، وكلم الله موسى تكليماً من فيه - فمه - وناولته التوراة من يده إلى يده ولم يزل الله عز وجل متكلماً فتبارك الله أحسن الخالقين^{٢٧}.

ويقول صدر الدين الحنفي : الواجب أن ينظر في باب الصفات فما أثبتته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفينا، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبتته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني^{٢٨}.

ويقول محمد بن الحسن الشيباني - صاحب أبي حنيفة - : اتفق الفقهاء كلهم من الشرق والغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله (ص) في صفة الرب عز وجل من غير تفسير - تأويل - ولا وصف ولا تشبيه . فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي وفارق الجماعة - السلف - فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا^{٢٩}.

ويقول الشافعي : آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله^{٣٠}.
وقال الأوزاعي : عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس . وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول^{٣١}.

٢٧ - رسالة السنة بذيال الرد على الجهمية والزنادقة، ط السعودية.

٢٨ - شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ط القاهرة ص ١٥٨ . .

٢٩ - نقد المنطق لابن تيمية ط القاهرة.

٣٠ - مقدمة لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدس ط القاهرة.

٣١ - المرجع السابق.

ويقول موفق بن قدامة المقدس : وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف
كلهم متفقون على الاقرار والامرار والاثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله
وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله، وقد أمرنا باقتفاء أثرهم والاهتداء بمنارهم
وحذرنا المحدثات . وأخبرنا أنها من الضلالات^{٣٢}.

ويقول ابن تيمية : ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما
وصف به رسوله محمد (ص) من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل،
وما وصف الرسول به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل
المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك، فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة
يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر به في كتابه^{٣٣}.

وقد أجمع فقهاء السنة على وجوب رؤية الله يوم القيامة باعتبارها واجبة في
النقل جائزة في العقل^{٣٤}.

وأجمعوا على إثبات صفة العلو أي أن الله في السماء، ومن تأول (فوق)
بأنه خير من عباده وأفضل منهم فذلك مما تنفر منه العقول السليمة وتشمأز منه
القلوب الصحيحة .

وقد سئل أبو حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض .
فقال : قد كفر..

فقليل له فمن يقول إنه على العرش ولكن لا أدري العرش في السماء أم في
الأرض ؟

قال : هو كافر، لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر^{٣٥}.

٣٢ - المرجع السابق.

٣٣ - العقيدة الواسطية ط القاهرة.

٣٤ - أنظر نصوص الفقهاء في الرؤية في كتب العقائد السابق ذكرها. . .

ويقول ابن رجب : إن قوماً نفوا كثيراً مما ورد في الكتاب والسنة من ذلك - الصفات - وزعموا أنهم فعلوه تنزيهاً لله عما تقتضي العقول تنزيهه عنه، وزعموا أن لازم ذلك مستحيل على الله عز وجل، فهم لم يكتفوا بإثباته حتى أثبتوا ما يظن أنه لازم له بالنسبة إلى المخلوقين، وهذه اللوازم نفياً وإثباتاً درج صدر الأمة على السكوت عنها^{٣٦}.

ويقول الأشعري في رسالة أهل الثغر ناقلاً إجماع أهل السنة على أن صفات الله حقيقة لا مجازاً : واستدلوا على ذلك بأنه - سبحانه - لو لم يكن له عز وجل هذه الصفات لم يكن موصوفاً بشئ منها في الحقيقة، ومن لم يكن له فعل لم يكن فاعلاً في الحقيقة، ومن لم يكن له إحسان لم يكن محسناً، ومن لم يكن له كلام لم يكن متكلماً في الحقيقة، ومن لم يكن له إرادة لم يكن في الحقيقة مريداً، وإن وصف بشئ من ذلك مع عدم الصفات التي توجب هذه الأوصاف له لا يكون مستحقاً لذلك في الحقيقة وإنما يكون وصفه مجازاً أو كذباً ..

وذلك أن هذه أوصاف مشتقة من أخص أسماء هذه الصفات ودالة عليها، فمتى لم توجد هذه الصفات لمن وصف بها كان وصفه بذلك تلقياً أو كذباً فإذا كان الله عز وجل موصوفاً بجميع هذه الأوصاف في صفة الحقيقة، وجب إثبات الصفات التي أوجبت هذه الأوصاف له في الحقيقة وإلا كان وصفه بذلك مجازاً..

وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى وأن له تعالى يداين مبسوطتين وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير أن يكون

٣٥ - العقيدة الطحاوية ص ٢٢٥.

٣٦ - جامع العلوم والحكم ص ٣٦٥.

جوازاً وأن يديه تعالى غير نعمته، وقد دل على ذلك تشريفه لآدم (ع) حيث خلقه بيده ..

وأجمعوا على أنه يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً ..
وأنه عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا كما روي عن النبي (ص) وقد نزل الوحي على النبي ..

وأنه تعالى فوق سموات على عرشه دون أرضه ..
وأن له عز وجل كرسي دون العرش وجاءت الأحاديث عن النبي (ص) أن الله تعالى يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه ..
وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة بعين وجوههم . وقد بين ذلك النبي ورفع كل إشكال فيه^{٣٧}.

وقال الجويني : صفات الله النفس والوجه والعين والقدم واليدان والعلم والنظر والسمع والبصر والإرادة والمشئة والرضى والغضب والمحبة والضحك والعجب والاستحياء والغيرة والكرهية والسخط والقبض والبسط والقرب والدنو والفوقية والعلو والكلام والسلام والقول والنداء والتجلي واللقاء والنزول والصعود والاستواء . وأنه تعالى في السماء . وأنه على عرشه بائن من خلقه^{٣٨} ..
وقال مالك : إن الله في السماء وعلمه في كل مكان^{٣٩} .

وقال ابن المبارك : نعرف ربنا فوق سبع سمواته على العرش بائنا من خلقه لا نقول كما قالت الجهمية إنه ها هنا، وأشار إلى الأرض^{٤٠} .

٣٧ - أصول عقيدة أهل السنة برسالة أهل الثغر ، ط القاهرة .

٣٨ - الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول للكرجي الشافعي .

٣٩ - المرجع السابق .

٤٠ - المرجع السابق .

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٢٣٣

وقال إسحاق : لا نزيل صفة مما وصف الله بها نفسه أو وصفه بها الرسول عن جهتها لا بكلام ولا بإرادة إنما يلزم المسلم الأداء ويوقن بقلبه أن ما وصف الله به نفسه في القرآن إنما هي صفاته^{٤١}.

ويروى عن مالك والأوزاعي وسفيان والليث وأحمد بن حنبل أنهم قالوا في روايات الصفات: أمروها كما جاءت^{٤٢}.

ومما سبق يتبين لنا أن الفقهاء تبنا روايات الصفات على حقيقتها، ورفضوا فكرة التأويل وحملها على وجه المجاز، وأنكروا ذلك على من قال به بل رموه بالزيغ والضلال والكفر في بعض الحالات كما هو واضح من كلام ابن حنبل وأبي حنيفة ..

ويبدو أن التشدد في مسألة الروايات الخاصة بالصفات والتعصب لها يأتي من جانب الحنابلة الذين يؤمنون بالمأثور ويرفضون الأخذ بالرأي، وهو الاتجاه الذي ساد في أواخر العصر العباسي، ثم حل محله اتجاه الأشاعرة الذي تبنته دولة السلاجقة ودولة الأيوبيين ثم دولة المماليك، فمن ثم عندما يطلق لفظ أهل السنة فإنما يشمل الحنابلة أولاً ثم الأشاعرة ثانياً ..

ولقد أسرف الحنابلة في التمسك بالروايات وتبني فكرة التجسيم ولم يرحموا خصومهم من التيارات الأخرى مثل الشيعة والمعتزلة والجهمية وحتى

٤١ - المرجع السابق.

٤٢ - المرجع السابق، وانظر شرح العقيدة الطحاوية وكتب العقائد..

الأشاعرة الذين يعتبروا من طينتهم، فكل أولئك اتهموا بالزيغ والضلال واعتبروا من أهل البدع الذين يجب مجانبتهم واستئصالهم^{٤٣}.

يقول ابن حنبل : وأما أصحاب الرأي - الذين يأخذون بالمجاز ويؤمنون بالعقل - فإنهم يسمون أصحاب السنة نابتة وحشوية، وكذب أصحاب الرأي أعداء الله، بل هم النابتة والحشوية، تركوا آثار الرسول (ص) وحديثه وقالوا بالرأي . وقاسوا الدين بالاستحسان وحكموا بخلاف الكتاب والسنة، وهم أصحاب بدعة جهلة ضلال وطلاب دنيا بالكذب والبهتان^{٤٤}.

ونفس هذا النهج الانفعالي المتعصب للرواية المعادي للرأي الآخر انتهجه الحنابلة من بعده، وفي مقدمتهم ابن تيمية الفقيه المشاغب الذي قال بالتجسيم واصطدم بفقهاء عصره وصدرت فتوى بكفره وكفر من اتبعه وصدر مرسوم بحبسه عدة مرات حتى مات في حبسه الأخير^{٤٥}.

ومن بالغ الحزن والأسى أن اتجاه الحنابلة الذي يتميز بالإنغلاق والتشدد وتبني التجسيم هو الذي ساد اليوم بسبب الحركة الوهابية ونفط آل سعود الذي سهل عملية اختراق المؤسسات والتيارات الإسلامية واستقطاب رموزها^{٤٦}.

٤٣ - أنظر كتاب دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ط القاهرة الذي انشق على الحنابلة وأعلن رفضه لعقيدتهم في صفات الله وقولهم بالتجسيم وتعلقهم بالروايات محل شك من ناحية السند.

٤٤ - رسالة السنة.

٤٥ - أنظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج ١ ، وهو يحوي تفاصيل الفتن التي أشعلها ابن تيمية والمحاکمات التي عقدت له.

٤٦ - أنظر لنا كتاب فقهاء النفط، وكتاب مدافع الفقهاء.

ولقد طعن الكثير من الفقهاء القدامى والمعاصرين في روايات الصفات على أساس كونها روايات آحاد لا يجوز الاعتماد عليها في أمور العقيدة ..
يقول صدر الدين الحنفي : خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به
وتصديقاً له - يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة وهو أحد قسمي المتواتر ولم
يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع كخبر عمر بن الخطاب : إنما الأعمال
بالنيات.

وخبر أبي هريرة : لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ..
وكان رسول الله (ص) يرسل رسله آحاداً، ويرسل كتبه مع الآحاد، ولم

يكن المرسل إليهم يقولون لا نقبله لأنه خبر واحد^{٤٧} ..
وهذا الرد فيه استغفال وسداجة ..
أما الاستغفال فهو أن صاحب هذا الكلام قد ادعى أن خبر الواحد تلقته
الأمة بالقبول، وهذا غير صحيح .
والصواب أن يقول تلقاه الفقهاء بالقبول لأن هناك خلاف حول الأخذ به
بين طوائف الأمة واتجاهاتها، إلا أن مثل هذا الكلام يشير إلى نزعة التعصب
والاستبداد الذي يتحلى به أهل السنة والذين بتحالفهم مع الحكام ودعمهم لهم
تصوروا أنهم الأمة والأمة هم .
وهذا ما يقودهم إلى تداول مثل هذه الشعارات وهو ما برر قول صاحبنا أن
خبر الواحد يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة ..

وأما السداجة فهو استدلاله برسل النبي إلى القبائل والبلاد وهو استدلال فيه استخفاف كبير بالعقل، إذ أن هذا المبعوث الواحد يتحدث بلسان الرسول الحي، أما الراوي الواحد فهو يتحدث بلسان الرسول الميت ..

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المبعوث الواحد معه كتاب أو برهان يثبت صدقه وكونه مبعوث النبي، أما ناقل الخبر فما هو برهانه؟

ومن هنا يمكن القول إن هناك ثلاثة توجهات أمام مسألة الصفات وهو ما يتضح من خلال أقوال الفقهاء :

الأول : أن هذه النصوص - قرآن وسنة - يفوض معناها إلى الله ويكف عن الخوض فيها وهو اتجاه بعض السلف .

الثاني : أن هذه النصوص تخضع للتأويل وتحمل على المجاز وهو اتجاه الخلف ..

الثالث : أن هذه النصوص تؤخذ على الحقيقة، وهو اتجاه الحنابلة وهو الاتجاه السائد لدى التيارات الإسلامية والوهابية .

نصوص القرآن

ومثلما حمل الفقهاء روايات الصفات على الحقيقة حملوا أيضاً نصوص القرآن المتعلقة بصفات الله على الحقيقة ..

وسوف نعرض هنا لهذه النصوص وأقوال الفقهاء فيها ..

يقول سبحانه : { .. بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ } [المائدة : ٦٤]

ويقول : { .. لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص : ٧٥] .

ويقول : { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ } [الملك : ١] .

ويقول : { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً } [يس : ٧١] .

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٢٣٧

قال الفقهاء : الاجماع على إثبات اليمين لله سبحانه بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهما يدان حقيقتان لله تعالى يليقان به^{٤٨}..
وقال أبو حنيفة : له يد ووجه ونفس كما ذكر تعالى في القرآن فهو له صفة بلا كيف ولا يقال إن يده قدرته ونعمته لأن فيه إبطال الصفة^{٤٩}.
ويقول سبحانه : { وَجَاءَ رَبُّكَ } [الفجر : ٢٢] .
ويقول : { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ.. } [البقرة : ٢١٠] .
يقول الفقهاء : الاجماع على ثبوت المجيء لله تعالى فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو مجيء حقيقي يليق بالله تعالى^{٥٠}.
وقد رفض الفقهاء تأويل المجيء بمجى أمره واعتبر القائلون بذلك من أهل التعطيل^{٥١}..
ويقول سبحانه : { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [المائدة : ١١٩] .
أجمع الفقهاء على إثبات الرضى لله تعالى من غير تحريف .. الخ . ونبذ تأويل الرضا بالشواب^{٥٢}..
ويقول سبحانه : { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ } [محمد : ٢٨] .
ويقول : { . . كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ } [التوبة : ٤٦] .

قال الفقهاء : الاجماع على ثبوت السخط والكره من الله، وهو سخط وكره حقيقي، ورفض تأويل السخط بالانتقام والكره بالابعاد^{٥٣}.
ويقول سبحانه : { عَآمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ } [الملك : ١٦] ..

٤٨ - أنظر شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين، ط القاهرة.

٤٩ - الفقه الأكبر لأبي حنيفة، نقلاً عن شرح الطحاوية ..

٥٠ - شرح لمعة الاعتقاد.

٥١ - المرجع السابق.

٥٢ - المرجع السابق.

٥٣ - المرجع السابق.

قال الفقهاء :الاجماع على ثبوت علو الذات لله وكونه في السماء فيجب إثباته له من غير تحريف .. الخ^{٥٤} ..

ورفضت الاتجاهات الأخرى القول بذلك واعتبرت أن المقصود من النص هو العلو والملك والسلطان ..

ويقول سبحانه : { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } [النساء : ١٦٤] ..

ويقول : { .. مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ } [البقرة : ٢٥٣] ..

أجمع الفقهاء على ثبوت الكلام لله وهو كلام حقيقي يليق بالله يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة^{٥٥} .

وقال المخالفون : كلام الله لا يكون إلا بواسطة عن طريق شئ من مخلوقاته وإضافة الكلام إلى الله إضافة خلق أو تشريف .

ويقول سبحانه : { وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة : ٢٢] .

يقول الفقهاء :الاجماع على ثبوت الرؤية وهي رؤية حقيقية تليق بالله^{٥٦} .
وقال المخالفون : المقصود بالرؤية رؤية الثواب أو العلم واليقين، والمقصود من قوله (ناظرة) أي منتظرة ..

ويقول سبحانه : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه : ٥] .

قال الفقهاء : اعتمد الفقهاء هذا النص على إثبات العلو لله سبحانه، أي علو ذاته وكونه في السماء، وأنه استوى حقيقة بلا كيف كما ورد عن مالك ابن أنس

٥٤ - المرجع السابق.

٥٥ - المرجع السابق.

٥٦ - شرح العقيدة الطحاوية: ٢٨٩.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٢٣٩

حين قال في هذه الآية : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة^{٥٧}.

وقال المخالفون : الاستواء هنا بمعنى الاستيلاء ..
ويقول سبحانه : { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ } ..
{ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } ..

قال الفقهاء : الاجماع على أن الله وجهها على سبيل الحقيقة يليق به^{٥٨} . وقال
المخالفون : المراد بالوجه الذات ..

ونخرج مما سبق بما يلي :

- إن الفقهاء يخضعون نصوص القرآن الخاصة بصفات الله سبحانه
للروايات بدلا من أن يكلفوا أنفسهم البحث عن مدلولها الحقيقي ..
- إن الفقهاء يصفون المخالفين لهم بالنفاة والمعتلة تارة، وبالجهمية تارة،
وبالكفر تارة أخرى، والمعتدلون منهم يصفونهم بأهل الكلام الذي هو مذموم
عندهم أيضاً ..

- إن الفقهاء يحاولون تصوير أهل المجاز والتأويل الذين خالفوهم
وكأنهم يخالفون النصوص القرآنية ويرفضونها وذلك حتى ينفروا المسلمين
منهم ..

- إن تبني الفقهاء فكرة أخذ نصوص الصفات على الحقيقة مع تمسكهم
بشعار لا كيف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف هو عين التناقض، ولو كانوا
صادقين مع هذا الشعار لما اصطدموا بأهل التأويل واتهموهم بالتحريف بينما هم
المحرفون ..

٥٧ - المرجع السابق.

٥٨ - المرجع السابق، وانظر كتب العقائد وكتب التفسير وكتابتنا : أهل السنة شعب الله المختار.

- إن تمسك الفقهاء بقوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } ليس إلا محاولة لإضفاء الشرعية على رؤيتهم . وأن الذين انضبطوا بهذا النص حقيقة هم أهل التأويل ..


- إن قول الفقهاء لا يمثل الاجماع كما يدعون لا على مستوى السلف ولا على مستوى الخلف، وإنما يمثل على الأغلب اتجاه أهل السنة أو أهل الحديث كما يحبوا أن يصفوا أنفسهم الذين هم في الحقيقة الحنابلة والأشاعرة ..

- إن كثيراً من الفقهاء وعلى رأسهم العز بن عبد السلام قد هاجموا هذا الاتجاه الذي يقود إلى التجسيم وأطلقوا على أصحابه وقف الحشوية، وهو تعبير عن كونهم لا يتحاشون عن التشبيه والتجسيم والحشو بكلام الرجال والتستر بالسلف الذين يقولون بالتفويض - أي تفويض معنى النص ومراده إلى الله - والتوحيد والتنزيه .



الرسول المهمل

الرسول الخاتم
لا يهتم بمستقبل الدين والأمة..



من أخطر ما يحاول الفقهاء والمحدثون نسبته إلى الرسول إهماله مستقبل الدعوة والأمة، ففي الوقت الذي تؤكد فيه النصوص القرآنية أن رسالة الإسلام هي الرسالة الخاتمة ومحمد (ص) هو خاتم الرسل، يأتي الرواة بروايات تؤكد تناقض الرسول مع هذه الحقيقة وجهله بها، وجاء الفقهاء من بعدهم فباركوا هذا التناقض وأكدوا هذا الجهل ..

ولقد كانت الكتب السابقة تحمل البشري للمؤمنين بقدوم نبي جديد يجدد أمر الدين وينهض بالأمة .

وهذا يعني أن مستقبل الدعوات الإلهية لم يكن موضع إهمال .. وجاء القرآن بعشرات النصوص التي تتعلق بالمستقبل ليس في حدود الحياة الدنيا وحدها وإنما في حدود الحياة الأخرى أيضاً^{٥٩}.

وبشر الرسول (ص) بكثير من القضايا المستقبلية التي تتعلق بأهل بيته وبواقع الأمة من بعده، وبسلوك الحكام وفقهاء السوء وفتح الدنيا على المسلمين، وظهور الموبقات والفرق والخلافات^{٦٠}.

وفي وسط هذا الكم من النصوص القرآنية والنبوية يأتي الرواة والفقهاء فينسبون للرسول التقصير والاهمال في أخطر القضايا التي يتعلق بها مستقبل الدين الخاتم ..

٥٩ - أنظر سورة الإسراء آية رقم ٧ وسورة الأحزاب آية رقم ٦٤ ، ٦٨ . وسورة سبأ آية رقم ٣١ ، ٣٣ ، وسورة النصر ، وسورة الصف آية رقم ٩ ، وسورة الانفطار وسورة الانشقاق .
٦٠ - أنظر كتاب الفتن في البخاري ومسلم وكتب السنن الأخرى .

ينسبون إليه تقصيره في جمع القرآن وترتيبه وتركه مهملاً متفرقاً في صدور
الناس هذا يحمل سورة وهذا يحمل آية وهذا يحمل كلاماً ينسبه للقرآن ..
وينسبون إليه إهماله وصية أمته ووضع الخطوط العريضة التي تحفظ الدعوة
بعد وفاته ..

والسبب المباشر في نسبة هذا الإهمال للنبي (ص) يعود إلى أن الخوض في
هاتين القضيتين يصطدم اصطداماً مباشراً بالوضع الذي ساد بعد وفاة الرسول
خاصة الوضع السائد زمن تدوين الروايات وجمعها ..

إن الخوض في هاتين القضيتين سوف يفتح الباب للطرح المناوئ للوضع
السائد ألا وهو طرح أهل البيت (ع) الذي ينادي به الشيعة والذي يقول بالوصية
لعلي وأبنائه ويقول بأن القرآن كان بحوزة أهل البيت مجموعاً ومرتباً وأن
الرسول لم يهمل أمر القرآن والوصية ..

إهمال القرآن

يروى عن زيد بن ثابت أن أبا بكر استدعاه أثناء حرب اليمامة . فإذا عمر
عنده، قال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال إن القتل استحر يوم اليمامة بقراء القرآن
وإنني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإنني أرى
أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (ص)،
قال عمر : هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك
ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، وإنك رجل شاب - أي زيد - عاقل لا تهملك
وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فأجمعه، قال زيد : فوالله لو
كانوا كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع
القرآن قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله، قال : هو والله خير، فلم يزل
أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر،

فتبعت القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره، فكانت الصحائف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر^{٦١}.

قال ابن حجر: المراد بالجمع هنا جمع مخصوص وهو جمع متفرقة في صحف ثم جمع تلك الصحف في مصحف واحد مرتب السور^{٦٢}. وقال الخطابي وغيره: يحتمل أن يكون (ص) إنما لم يجمع القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين بذلك وفاء لوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة^{٦٣}.

ومجمل ما ذكره الفقهاء حول قيام أبي بكر بجمع القرآن لا يخرج عن كونه يدور في حدود الثناء تارة والتبرير تارة أخرى .. . وتعد هذه الرواية المذكورة عالياً هي الرواية الوحيدة حول هذا الحدث الخطير . فمن ثم سوف نكتفي بها في هذا الباب وهي على كل حال تعتبر شافية وكافية لإلقاء الضوء على هذا الحدث وإبداء الملاحظات على تلك الملاحظات التالية:

الملاحظة الأولى : لماذا كلف أبو بكر زيدا وحده بهذا الأمر الخطير .. ؟
إن مثل هذا الموقف يشير وكان زيد هو كاتب الوحي الوحيد أو هو على الأقل المتفوق على كتاب الوحي الآخرين، فهل هذا صحيح .. ؟

٦١ - البخاري كتاب فضائل القرآن.

٦٢ - فتح الباري 8 / 9 وما بعدها.

٦٣ - المرجع السابق ، وتأمل هذا التبرير الواه . أنظر لنا كتاب دفاع عن القرآن ، والخدعة.

لنترك الروايات تجيب على ذلك ..
يروى عن الرسول (ص) قوله : " خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب " ^{٦٤} .
ومن الواضح أن هؤلاء الأربعة ليس فيهم زيد بن ثابت ..
ويروى عن ابن مسعود قوله : " والله لقد علم أصحاب رسول الله (ص) أنني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم " ^{٦٥} .
ويروى عنه أيضاً قوله : " والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت . ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت " ^{٦٦} .
والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : لماذا لم يستعن أبو بكر بعبد الله بن مسعود، وهل كان أبو بكر وعمر لا يعرفان أمر الرسول بأخذ القرآن من هؤلاء الأربعة .. ؟
الملاحظة الثانية : إذا كان القراء يموتون في حرب اليمامة، فهل الحفاظ وكتابة الوحي ماتوا أيضاً .. ؟
والإجابة تتضح من خلال الروايات السابقة أن حرب اليمامة لم يكن بها أحد من كتاب الوحي أو حفظة القرآن، وإنما كان بها سالم مولى أبي حذيفة وهو الوحيد الذي قتل فيها .. ^{٦٧}

٦٤ - البخاري كتاب فضل القرآن.

٦٥ - المرجع السابق.

٦٦ - المرجع السابق ، ونفس هذا النص ورد على لسان علي بن أبي طالب.

٦٧ - أنظر فتح الباري ج ٩

الملاحظة الثالثة : إن أمر الجمع لو كان مصيرياً كما يصور عمر ما رفضه أبو بكر بداية وجادله فيه وما جادلهم فيه زيد أيضاً حين أوكلوا له مهمة الجمع.. ومثل هذه الشبهة هي التي دفعت ببعض الفقهاء إلى القول بأن ما فعله أبو بكر هذا هو من باب الاجتهاد في أمر تركه الرسول فهو لا يدل على وجوب ولا تحريم^{٦٨}.

قال الباقلاني : كان الذي فعله أبو بكر من ذلك فرض كفاية بدلالة قوله (ص) : " لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن " . مع قوله تعالى : { **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** } قوله { **إِنَّ هَذَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى** } وقوله { **رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُّطَهَّرَةً** } فكل أمر رجع لإحصائه وحفظه فهو واجب على الكفاية وكل ذلك من النصيحة لله ورسوله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم . وقد فهم عمر أن ترك النبي جمعه لا دلالة فيه على المنع ورجع إليه أبو بكر لما رأى وجه الإصابة في ذلك وأنه ليس في المنقول ولا المعقول ما ينفيه وما يترتب من ترك جمعه من ضياع بعضه ثم تابعهما زيد بن ثابت وسائر الصحابة على تصويب ذلك^{٦٩}.

ويظهر لنا من كلام ابن الباقلاني أنه يلتزم نهج التبرير لموقف أبي بكر، ويحاول توفيق هذا الموقف مع النصوص القرآنية الصريحة، والتي تؤكد أن أمر الجمع والبيان والترتيب هي مهمة الوحي، ويقوم بتنفيذها الرسول واعترافه أن عملية جمع القرآن من قبل أبي بكر هي فرض كفاية كما أشار إلى مثل ذلك ابن حجر يعني أن هذه العملية لم تكن ضرورية وكان يمكن تركها، وفي هذا اعتراف صريح أن القرآن موجود ومجموع ..

الملاحظة الرابعة : لماذا لم يقر أبو بكر وعمر بهذه المهمة .. ؟

٦٨ - المرجع السابق.

٦٩ - المرجع السابق.

هل أنهما لم يحفظا شيئاً من القرآن ؟ . .

إن المكانة التي يضع فيها الرواة والفقهاء أبا بكر وعمر كانت توجب ألا يستعينا بأحد في هذا الأمر، فهما كما تصور الروايات وزيروا الرسول وجناحاه وأقرب الناس إليه وخير صحابته، وقد كان القرآن ينزل موافقاً لرأي عمر كما تصور الروايات على ما سوف نبين فيما بعد، فما دامنا في هذه المكانة فأين القرآن الذي ورثاه عن الرسول ؟ . .

إننا في مواجهة رواية جمع القرآن بين أمرين :

إما أن نكذب الرواية وننفىها من أساسها . .

وإما أن نقر ونعترف بجهل أبي بكر وعمر وعدم ارتباطهما بالقرآن وبالتالي التشكيك في قدرهما ومكانتهما من الرسول (ص) وهذا من شأنه أن يشكك في القرآن الذي جمعه . .

وتبني أي من الموقفين يضع الرواة والفقهاء في مازق حرج . .

الملاحظة الخامسة : أن زيد أيضاً لم يتجه إلى أيٍّ من كتاب الوحي المعروفين أثناء قيامه بعملية الجمع وهذا يشير إلى أنه وجه من قبل أبي بكر وعمر إلى أشخاص بعينهم، حتى أنه لم يجد آخر التوبة إلا عند أبي خزيمة الأنصاري مع وجود أبي مسعود وأبي بن كعب وعلي بن أبي طالب . .

ومثل هذا الموقف يشكك في عملية الجمع كم أشرنا، ويكشف لنا أن

المسألة لها أهداف أخرى لصالح الخليفين . .

وهذا الموقف من جهة أخرى يشكك في القرآن ذاته إذ كيف يعقل أن

خزيمة هو الوحيد الذي عنده آخر التوبة دون غيره ؟

وهو يشكك في الرسول أيضاً ويؤكد إهماله وتقصيره في إبلاغ آيات الله للناس وتوزيعه نصوص القرآن على هواه، وكان هواه مع خزيمة فخضه بهذه الآية.

ولو قدر لخزيمة أن يموت لضاعت الآية معه وبالتالي كأنها ما نزلت، ومثل هذا لا يعقل وهو يدعونا إلى الشك في رواية الجمع لا الشك في القرآن أو في الرسول (ص) ..

الملاحظة السادسة : أن ما تم جمعه وضع عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة بنت عمر . وهذا يشير إلى أمرين :

الأول : إن هذا الجمع خاص بأبي بكر وعمر وليس للمسلمين ..

الثاني : إن أبا بكر وعمر تراجعاً عن هذا الأمر وقررا الاحتفاظ بما جمعا ..

الملاحظة السابعة : إن ترك القرآن مفرقاً في صدور الرجال وعلى العصب والخاف وغير ذلك يعني اتهاماً مباشراً للرسول (ص) بالتقصير والاهمال، إذ أن ترك مهمة الجمع للرجال فيه مساس بالقرآن ويفتح الباب للشك في نصوصه، كما يفتح الباب لتحريفها ..

ولما كان الرسول هو خاتم الرسل ولن يأتي رسول من بعده يصحح عقائد الناس ويتصدى لتحريف الكتاب - وهو ما كان يحدث في الأمم السابقة - كان لا بد وأن تكون عملية الجمع والتدوين تامة وكاملة تحت إشراف الرسول في حياته وقبل مماته، وهو ما تؤكد الروايات التي عرضنا لبعضها والتي سوف نعرضها فيما بعد ..

يقول ابن حجر : وإذا تأمل المنصف ما فعله أبو بكر من ذلك جزم بأنه يعد في فضائله وينوه بعظيم منقبته لثبوت قوله (ص) : " من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها " . فما جمع القرآن أحد بعده إلا وكان له مثل أجره إلى يوم

القيامة وقد كان لأبي بكر من الاعتناء بقراءة القرآن ما اختار معه جوار الله ورسوله وقد أعلم الله تعالى في القرآن بأنه مجموع في الصحف في قوله : {يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً} وكان القرآن مكتوباً في الصحف لكن كانت مفرقة فجمعها أبو بكر في مكان واحد ثم كانت محفوظة إلى أن أمر عثمان بالنسخ منها فنسخ منها عدة مصاحف وأرسل بها إلى الأمصار^{٧٠} .

وكلام ابن حجر هذا الذي يدافع به عن أبي بكر، ويحاول أن يوجد له منقبة وفضيلة بفعله هذا الذي من أبرز نتائجه التشكيك في القرآن واتهام الرسول بالاهمال، يعد صورة من صور التبرير الذي هو نهج الفقهاء على الدوام .

إلا أن ابن حجر لم يجنأ كيف عاش المسلمون بدون القرآن الذي ظل محفوظاً حتى نسخه عثمان ؟

إهمال الوصية

وفيما يتعلق بوصية الرسول يروى القوم على لسان عائشة قولها حين سئلت : هل كان عليّ وصياً - أي للرسول - ؟

قالت : متى أوصى إليه ؟ وقد كنت مسندته إلى صدري أو حجري فدعا بالطست، فلقد انخشت في حجري فما شعرت أنه قد مات، فمتى أوصى إليه^{٧١} .

ويروى : سئل عبد الله بن أبي أوفى : هل كان النبي (ص) أوصى ؟ قال : لا.. فقلت : أي السائل - : كيف كتب على الناس وصية أو أمر بالوصية ؟

قال : أوصى بكتاب الله^{٧٢} .

ويروى عن عائشة قولها : ما ترك رسول الله ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيرة ولا أوصى بشئ^{٧٣} .

٧٠ - فتح الباري ج ٩ / ١٠

٧١ - مسلم البخاري كتاب الوصية.

٧٢ - المرجعين السابقين.

ويروى أن الإمام علي سئل : هل خصكم رسول الله (ص) بشيء ؟
فقال : كتاب الله وهذه الصحيفة .

ف قيل وما في هذه الصحيفة ؟

قال : العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر^{٧٤}.

وفي رواية أخرى : ما عُهدَ إلى رسول الله (ص) شيءٌ خاصٌ من دون
الناس^{٧٥} ..

ومثل هذه الروايات الهدف منها هو ضرب فكرة الوصية لعلي بن أبي
طالب، أو بصورة أخرى نفي وجود وصية للرسول (ص) خاصة بمستقبل الدعوة
والإمامة من بعده ..

وهذا موقف طبيعي من قوم يدعون أن الرسول مات وترك القرآن في مهبط
الريح معرض للضياع والنسيان، فإذا كان هذا موقفهم من كتاب الله الذي يعني
وجوده وجود الدين وضياعه ضياع الدين، فكيف يكون موقفهم فيما هو أدنى
من ذلك .. ؟

يقول الفقهاء : قولها - أي عائشة - وما شعرت أنه مات فمتى أوصى إليه،
الظاهر أنهم ذكروا عندها أنه - أي الرسول - أوصى له - أي لعلي - بالخلافة
في مرض موته، فلذلك ساغ لها إنكار ذلك واستندت إلى ملازمتها له في مرض
موته إلى أن مات في حجرها، فلا يرد ما قيل إن هذا لا يمنع الوصية قبل ذلك،
ولا يقتضي أنه مات فجأة بحيث لم يتمكن من الايصاء، ولا يتصور ذلك
لأنه (ص) علم قرب أجله قبل المرض ثم مرض أياماً فلم يوص لأحد لا في تلك

٧٣ - مسلم كتاب الوصية.

٧٤ - البخاري ، كتاب العلم.

٧٥ - مسلم كتاب الأضاحي ومسنده أحمد ج ١ / ١١٨

الأيام ولا قبلها، ولو وقع الايضاء لادعاه الموصى له، ولم يدع ذلك علي^{٧٦} لنفسه ولا بعد أن ولي الخلافة، ولا ذكره أحد من الصحابة يوم السقيفة^{٧٦}.

وعن رواية ابن أوفى يقولون: السؤال وقع عما اشتهر بين الجهال من الوصية إلى أحد، أو فهم السؤال عن الوصية في الأموال فلذلك ساغ نفيها لا أنه أراد نفي الوصية مطلقاً، لأنه أثبت بعد ذلك أنه أوصى بكتاب الله أي بدينه أو به وبنحوه ليشمل السنة^{٧٧}.

ويقولون عن الرواية الثالثة: قولها - أي عائشة - ولا أوصى بشئ أي في المال لعدم تركه مالا وإن أوصى بالكتاب والسنة، ولا أوصى لأحد بالخلافة فإنه مقصودها بالانكار^{٧٨}.

وقال النووي عن الرواية الرابعة والخامسة: فيه إبطال ما زعم الرافضة - الشيعة - من الوصية لعلي وغير ذلك من اختراعاتهم^{٧٩}.

إلا أن ما يمكن الخروج به من مثل هذه الروايات أن فكرة الوصية كانت مشاعة بين الناس وقد كثرت من حولها التساؤلات، وإن هذه التساؤلات كانت تتركز حول علي ..

وباستعراض رواية عائشة التي تتحدث فيها عن موت الرسول في حجرها ومناقشتها على ضوء الروايات الأخرى التي تتحدث عن موت الرسول بين يدي علي يتبين لنا أن نفي عائشة للوصية محل شك^{٨٠}.

أما رواية أوصى بكتاب الله فهي تدين القوم وتشكك في طرحهم ومواقفهم إذ أنها تثبت أن الرسول وهو ما يعني وجود الكتاب كاملاً مجموعاً ومدوناً مما يتناقض مع ادعاءهم أن الرسول ترك القرآن غير مجموع وأن أبا بكر جمعه..

٧٦ - مسلم هامش كتاب الوصية.

٧٧ - المرجع السابق.

٧٨ - المرجع السابق.

٧٩ - مسلم هامش باب تحريم الذبح لغير الله ، كتاب الأضاحي ، وقد وردت في هذا الباب عدة

روايات حول هذه المسألة بصيغ مختلفة.

٨٠ - أنظر باب الرواية بين الشك واليقين.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....

٢٥٣

وهذا الاعتراف بوصية الرسول بالكتاب إنما هو محاولة للتهرب من إلقاء الضوء على أهل البيت بزعامة علي الذي أوصى به الرسول في حجة الوداع كما أشرنا إلى النصوص الخاصة بذلك سابقاً^{٨١}.

كذلك قول عائشة ما ترك رسول الله . هو قول صادر عنها كرد فعل للصدام الذي وقع بين الإمام علي وفاطمة وبين أبي بكر بخصوص الإمامة وميراث الرسول..

وعائشة خصم لعلي وأهل البيت فمن ثم فإن الرواة والفقهاء يتلقفون أقوالها تلقف الكرة كي يدعموا بها موقفهم في مواجهة خط الإمام علي وأهل البيت المناوئ للخط السائد الذي يتحالفون معه وينصرونه برواياتهم وأقوالهم . .

ونفس النتيجة نصل إليها باستعراض رواية علي وهي إدانة القوم واتهامهم بالتضليل وطمس الحقائق ، فكون أن الإمام يسأل هذا السؤال هل خصكم رسول الله بشئ من دون الآخرين يعني أن في الأمر شئ يتعلق به دون الناس، وكونه يشير إلى الكتاب فهذا يعني أن القرآن موجود ومجموع وبحوزته هو وكونه يشير إلى الصحيفة فهذا يعني أنه قد كتب شيئاً عن الرسول (ص) غير القرآن . . وإذا كان الرواة والفقهاء يعترفون أن هناك من كان يدون أحاديث رسول الله في حياته مثل عبد الله بن عمرو بن العاص^{٨٢}.

٨١ - أنظر الباب السابق ذكره.

٨٢ - تأمل شهادة أبي هريرة لعبد الله بن عمرو بأنه كان يكتب الحديث عن الرسول وهو لا يكتب في البخاري كتاب العلم وانظر شرح البخاري لابن حجر ج ١

ويعترفون أن الرسول أوصى بالكتاب والسنة على الرغم من اعترافهم بعدم تدوينهما في زمن الرسول، فإن هذا كله يشير إلى أن الكتابة كانت مألوفة في عهد الرسول .

وما دامت الكتابة مألوفة في الرسائل والأحاديث أفلا تكون مألوفة في الوحي . . ؟

وماذا كانت وظيفة كتاب الوحي إذن..؟
هل كان الرسول يترك كل كاتب منهم يكتب ما يسمع منه من آيات في وقت ما، وحدث ما، ويترك الآخر يكتب عنه آيات أخرى دون أن يوجه هؤلاء الكتاب إلى تجميع وترتيب ما كتبوه..؟
وإذا كان قد ترك ذلك في بداية حركة الوحي فهل يتركه حين قرب أجله..؟

إن القوم أرادوا بنسبة هذه الرواية للإمام علي أن يضربوا فكرة الوصية المتعلقة به على لسانه حتى يقطعوا دابر الشك في نفوس المسلمين..
إلا أن التأمل في الرواية يصل إلى نتيجة عكسية تشكك في أطروحة القوم وفي رواياتهم ..

تناقض الروايات

والتأمل في كم الروايات المنسوبة للرسول المتعلقة بالقرآن والوصية يتبين له أن القوم في حرج بالغ، ففي الوقت الذي يتداولون فيه الروايات التي تنفي جمع القرآن ووجود الوصية، يتداولون أيضاً كم من الروايات تدحضها الادعاء وتؤكد جمع القرآن في زمن النبي ووجود الوصية . .
ومن هذه الروايات :

يروى أن ابن عباس سئل : أترك النبي من شيء؟

فأجاب : ما ترك إلا ما بين الدفتين . .
وسئل محمد بن الحنفية نفس السؤال فأجاب : ما ترك إلا ما بين الدفتين^{٨٣}.
ويروى عن الرسول (ص) قوله : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه "^{٨٤}.
ويروى عنه (ص) : " تعاهدوا القرآن "^{٨٥}.
ويروى أن عائشة جاءها رجل فقال : أريني مصحفك، فأخرجت له
المصحف فأملت عليه السورة، أي التي يريد^{٨٦}.
ويروى عن الرسول (ص) قوله : " إن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه
عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي "^{٨٧}.
ويروى : جمع القرآن على عهد النبي (ص) أربعة كلهم من الأنصار : أبي
بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد^{٨٨}.
ويروى عنه (ص) : " من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه "^{٨٩}.
ويروى أن رجلاً كان يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط .
فتغشته سحابة . فلما أصبح أتى النبي (ص) فذكر ذلك له . فقال : " تلك
السكينة "^{٩٠} .

٨٣ - البخاري كتاب فضل القرآن.

٨٤ - المرجع السابق.

٨٥ - المرجع السابق.

٨٦ - المرجع السابق.

٨٧ - المرجع السابق.

٨٨ - المرجع السابق.

٨٩ - المرجع السابق.

٩٠ - المرجع السابق.

قال ابن حجر معلقاً على الرواية الأولى : قوله ما بين الدفتين أي ما في المصحف وليس المراد أنه ترك القرآن مجموعاً بين الدفتين لأن ذلك يخالف ما تقدم من جمع أبي بكر ثم عثمان^{٩١}.

والمأمل في كلام ابن حجر هذا يرى مدى تحكم عبادة الرجال في نفوس هؤلاء، فهو قد عمل على إخضاع النص الصريح لموقف أبي بكر، والمفروض أن يكون العكس من ذلك أي يخضع أبو بكر للنص ..

إن المسلم إذا ما خير بين نص صريح وبين موقف من مواقف الصحابة فإنه يجب أن يختار النص لأنه هو الأساس، أما الموقف فهو شئ طارئ يرتبط بصاحبه ..

ولقد ضرب لنا الرواة والفقهاء مثلاً صارخاً في عبادة الرجال بميلهم إلى موقف أبي بكر وعمر وعثمان على حساب النصوص الصريحة التي تؤكد وجود القرآن وجمعه في حياة الرسول (ص) ..
وكان من نتيجة هذا الموقف أن حط من قدر الرسول ووضع القرآن في دائرة الشك ..

يروى : سألنا أصحاب رسول الله (ص) : كيف تحزبون القرآن، قالوا نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور إحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل من ق حتى نختم^{٩٢}.

قال ابن حجر : فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان في عهد النبي (ص)^{٩٣}.

٩١ - فتح الباري ج ٩

٩٢ - رواه أحمد وأبو داود، وانظر فتح الباري ج ٩

٩٣ - فتح الباري.

وهذا التصريح من ابن حجر أمام تلك الرواية الصريحة التي ذكرناها إنما هو تصريح تشوبه الحيرة والخلل، فالرواية تدل على أن ترتيب القرآن كان موضع اهتمام الصحابة وهذا الاهتمام ينبع من اهتمام الرسول بلا شك ولا يعقل أن يكون هناك ترتيب ولا يكون هناك جمع..

إلا أن ابن حجر أراد أن يطوق الرواية باعترافه أن الترتيب كان موجوداً على عهد الرسول على ما هو في المصحف الحالي أي مصحف عثمان، أي أنه اعترف بالترتيب ولم يعترف بالجمع بل ربط الجمع بعثمان، وكأنه بهذا يشير إلى أن ما فعله عثمان بالمصاحف هو عمل مشروع وأن مصحفه هو مصحف الرسول فهو قد جمعه على ترتيب الرسول ..

وهذا كلام مردود بالروايات والوقائع، فعثمان ليس من كتبه الوحي وحين تصدى لأمر القرآن تصدى له عن طريق السلطة أي لم يكن هذا الموقف موجوداً ويتبناه قبل أن يتولى الحكم، كما أن هذا الموقف لم يكن محل إجماع الصحابة ..

يروى أن عثمان أرسل إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام فنسخوها في المصاحف، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

وقال زيد بن ثابت : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله (ص) يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة ابن ثابت

الأنصاري { مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ } [الأحزاب: ٢٣]
فألحقناها في سورتها في المصحف^{٩٤}.

ويروى أن عثمان سئل عن عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم في أول
سورة التوبة، فأجاب أن قصتها شبيهة بالأنفال فظننت أنها منها فقبض رسول الله
ولم يبين لنا أنها منها^{٩٥}.

ونخرج من هاتين الروایتين بما يلي :
أولاً : إن المصحف الذي نسخه عثمان هو مصحف حفصة الذي جمعه أبو
بكر .

ثانياً : إن عثمان أوكل بنسخ المصحف إلى زيد بن ثابت وهو نفسه الذي
أوكل إليه أبو بكر جمع القرآن ..

ثالثاً : إن الثلاثة الآخرين المساعدين لزيد ليسوا من كتاب الوحي .

رابعاً : إنه فقدت من النسخ آية الأحزاب ولم يجدوها إلا عند واحد فقط
وهو نفس ما حدث في الجمع الأول ..

خامساً : إن ما كان بحوزة حفصة هو صحف فقط وهذا يناقض ما ذكر من
أن الجمع كان على أشياء متفرقة مثل العسب والألواح والخاف، فهل نسخت
حفصة المصحف الذي بحوزتها، أم هو تخط الرواة ؟

سادساً : إن عثمان يجهل آيات القرآن وتاريخه حيث إن الروايات تثبت
أن الرسول لم يكن يعلم ختم السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم وكان
من علامة ابتداء السورة نزول البسملة^{٩٦}.

٩٤ - البخاري كتاب فضل القرآن.

٩٥ - فتح الباري ج ٩

سابعاً : إن حال عثمان كحال أبي بكر وعمر من أنهم جميعاً تصدوا لمسألة لا خبرة لهم فيها وأوكلوها إلى آخرين ..

ثامناً : إن أمر عثمان بإحراق المصاحف دون مصحفه يدل دلالة قاطعة على أن هناك مصاحف موجودة كاملة ومتداولة بين الصحابة من عهد الرسول وعهد أبي بكر وعمر، وأن عثمان لم يلجأ لأي من هذه المصاحف بل لجأ لمصحف حفصة المخزون^{٩٧} .

تاسعاً : إن الصحابة ثاروا على قرار حرقه المصاحف وعلى رأسهم كتاب الوحي بقيادة ابن مسعود . وأدى هذا الأمر إلى إشعال نار الثورة على عثمان والتي أدت إلى مصرعه^{٩٨} .

عاشراً : إن عثمان يتهم الرسول (ص) بالاهمال والتقصير حين يذكر أنه قبض ولم يبين للناس أمر سورة التوبة ..
ومن هذا كله يتبين لنا أن ما فعله عثمان بالمصاحف هو امتداد لما فعله أبو بكر، وأن الهدف من الجمع الأول هو الهدف من النسخ الثاني، إنها مسألة خاصة بحكم الخلفاء الثلاثة وشرعيتهم ..

٩٦ - المرجع السابق.

٩٧ - كان هناك مصحف للأمام علي، ومصحف لأبي بن كعب ومصحف لابن عباس ومصحف لابن مسعود، وهذه المصاحف كانت مشهورة، أنظر كتب تاريخ القرآن . مثل تاريخ القرآن للزنجاني، ومثله لعبد الصبور شاهين، وانظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ومقدمات كتب التفسير.

٩٨ - أنظر كتب التاريخ، وقد سمي عثمان حراق المصاحف، وانظر لنا كتاب السيف والسياسة وكتاب الخدعة.

يروى أن ابن مسعود قال : يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ كتابة المصاحف ويتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر يريد زيد بن ثابت .

ويروى عنه قوله : لقد أخذت من في (فم) رسول الله (ص) سبعين سورة وإن زيد بن ثابت لصبي من الصبيان^{٩٩}.

ويقول ابن حجر : لما أمر بالمصاحف أن تغير ساء ذلك عبد الله بن مسعود فقال من استطاع أن يغل - يخفي - مصحفه فليفعل^{١٠٠}.

ويروى عن ابن مسعود قوله قال تعالى : { وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } غلوا مصاحفكم وكيف تأمرونني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت من في (فم) رسول الله^{١٠١}.

ويروى عن ابن مسعود أيضاً : والله لا أدفعه - يعني مصحفه - لعثمان - أقرأني رسول الله^{١٠٢}.

ومثل هذه الروايات تشير إلى الصدام الذي وقع بين عثمان وبين الصحابة بسبب المصاحف، وقد تمكن عثمان من إخضاع المدينة بينما الكوفة تغلي بزعامة ابن مسعود وغيره من الصحابة^{١٠٣}.

وما استعرضنا من الروايات ونصوص الفقهاء إنما يؤكد لنا أن مصحف أبي بكر ومصحف عثمان كلاهما لم يكونا محل إجماع المسلمين آنذاك، وإن عمل

٩٩ - فتح الباري ج ٩ ، والرواية الأولى للترمذي والثانية لأبي داود.

١٠٠ - المرجع السابق.

١٠١ - المرجع السابق.

١٠٢ - أنظر البخاري كتاب فضل القرآن ، وشرحه لابن حجر.

١٠٣ - أنظر المراجع التاريخية التي ترصد فترة عثمان ، مثل الطبري ومروج الذهب والكامل ، وانظر لنا الخدعة . والسيف والسياسة.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٢٦١

أبي بكر وعثمان لا يخرج عن كونه صورة من صور التعدي على كتاب الله وإخضاعه للوضع السائد..
وكان هذا العمل على حساب الرسول ، ويصطدم بنصوص القرآن الصريحة..

مثل قوله تعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } .
وقوله { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } [القيامة : ١٦ - ١٩] ..

نصوص الوصية

أما النصوص التي تؤكد وجود الوصية فمنها :
يروى عن الرسول (ص) قوله : " ما حق امرئ له شئ يوصي فيه بيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده " ١٠٤ ..

ويروى عن ابن عباس أنه قال : يوم الخميس ، وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء ، فقال : اشتد برسول الله (ص) وجعه يوم الخميس ، فقال : " ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبدا " ، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا : هجر رسول الله .

قال (ص) : " دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه " ١٠٥ .
وفي رواية أخرى قال معارضو كتابة الوصية : إن رسول الله (ص) قد غلبه الوجد وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم

١٠٤ - مسلم والبخاري كتاب الوصية.

١٠٥ - مسلم كتاب الوصية والبخاري كتاب الجهاد.

من يقول : قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله : " قوموا " ..

قال ابن عباس : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم لغتهم^{١٠٦}.

قال الفقهاء : ائتوني أمر وكان حق المأمور أن يبادر للامتثال، لكن ظهر لعمر مع طائفة أنه ليس على الوجوب وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح فكرهوا أن يكلفوه من ذلك ما يشق عليه في تلك الحالة مع استحضارهم قول الله تعالى { مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } وقوله { تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ }^{١٠٧}.

وقال الخطابي : إنما ذهب عمر إلى أنه لو نص بما يزيل الخلاف لبطلت فضيلة الاجتهاد وعدم العلماء^{١٠٨}.

وقال ابن الجوزي : وإنما خاف عمر أن يكون ما يكتبه - الرسول - في حالة غلبة المرض فيجد بذلك المنافقون سبيلاً إلى الطعن في ذلك المكتوب^{١٠٩}.

وقال ابن حجر : قول ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بين الرسول وبين كتابه، ليس الأمر في الواقع على ما يقتضيه هذا الظاهر، وإنما تعين حمله على غير الظاهر لأن عبيد الله بن عبد الله بن عباس راوي الحديث تابعي من الطبقة الثانية لم يدرك القصة في وقتها لأنه ولد بعد النبي بمدة طويلة ثم سمع من ابن عباس بعد ذلك بمدة أخرى^{١١٠}.

١٠٦ - مسلم كتاب الوصية البخاري كتاب المغازي .

١٠٧ - فتح الباري ج ٨

١٠٨ - المرجع السابق.

١٠٩ - المرجع السابق.

١١٠ - المرجع السابق.

وقال عياض : معنى كلمة الهجر التي ذكرها عمر - أفحش يقال هجر الرجل إذا هذى . وأهجر إذا أفحش^{١١١}.

ويعلق ابن حجر على وصف النبي (ص) بالهجر بقوله : وقوع ذلك عن النبي مستحيل لأنه معصوم في صحته ومرضه لقوله تعالى { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ }^{١١٢}.

وقال النووي وغيره : قوله قد غلب عليه الوجد أي فيشق عليه إملاء الكتاب ظهر لعمر أن الأمر ليس للوجوب، ودل أمره لهم بالقيام من عنده على أن أمره بالإتيان بآلة الكتابة كان على الاختيار، ولهذا عاش (ص) بعد ذلك أياما ولم يعاود أمرهم بذلك ولو كان واجبا لم يتركه لاختلافهم لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف، وقد كان الصحابة يراجعونه في بعض الأمور ما لم يجزم بالأمر، كما راجعوه يوم الحديبية في الخلاف، وفي كتاب الصلح بينه وبين قريش فإذا اعتزم امتثلوا، وقد عد هذا من موافقات عمر، واختلف في المراد بالكتاب فقليل كان أراد أن يكتب كتابا ينص فيه على الأحكام ليرتفع الخلاف، وقيل بل أراد أن ينص على أسامي الخلفاء حتى لا يقع بينهم الاختلاف^{١١٣} . .
وقولنا في هذا كله هو ما يلي :

أولاً : إن الرواية الأولى تنص على وجوب الوصية وعدم جواز أن يبيت المرء دون أن يكتب وصيته، فإذا كانت الوصية واجبة في الأموال فهي أكثر وجوبا في أمور الدين ومستقبل الدعوة الخاتمة . .
وإذا كان الرسول (ص) يقول بهذا ، فهو يؤكد أن الوصية كانت موضع اهتمامه في الأموال وغيرها من أمور الدين والدنيا . .

١١١ - المرجع السابق

١١٢ - المرجع السابق

١١٣ - مسلم هامش باب ترك الوصية ، كتاب الوصية.

والفقهاء بالطبع لم يركزوا على هذه الرواية التي حصروها في شؤون المال والميراث ولم يحاولوا التأكيد على أهمية الوصية من خلالها..
أما الرواية الثانية الخاصة بكتابة كتاب يعصم الأمة من الضلال والردة والانحراف بعد الرسول، فهي رواية ذات دلالات خطيرة وصريحة تتعلق بوصية الرسول، فمن ثم نرى الفقهاء وقد أحاطوا بها من كل جانب محاولين تميعها تارة، وتأويلها على غير المراد تارة، وتبرير مواقف الجبهة الراضية للوصية بزعامة عمر تارة أخرى، وهو ما يبدو بوضوح من خلال نصوصهم التي عرضناها..

ثانياً : إن استعراض الرواية الثانية الخاصة بكتابة الوصية يكشف لنا ما يلي :
أن الرسول أراد كتابة وصية تعصم الأمة من الضلال بعده وهو في مرض الموت وهذا يعني أن هذه الوصية ذات دلالات مستقبلية وسياسية فاصلة ومصيرية ..

وأن الصحابة انقسموا في مواجهة طلب الرسول إلى قسمين :

قسم مؤيد لكتابة الوصية ..

وقسم معارض لها ..

القسم الأول يتزعمه علي والأنصار ..

والقسم الثاني يتزعمه عمر والمهاجرين ..

وهذا القسم هو الذي رفع شعار حسبنا كتاب الله، وفي هذا إشارة إلى وجود القرآن كاملاً ومجموعاً ، ومن جهة أخرى هو محاولة للتغطية على الوصية والتقليل من شأنها ..

ورفع هذا الشعار في مواجهة الرسول فيه تجاوز لحد الأدب معه ومساس بشخصه الكريم، إذ أن الرسول هو الذي أنزل عليه الكتاب فليس من اللائق أن ينبه إليه .

إن الاتجاه المعارض لجأ إلى الطعن في شخص الرسول كمحاولة لإثارة الاتجاه الآخر وجذبه نحو الصدام معه دفاعاً عن الرسول لا عن الوصية، مما أدى بالرسول إلى حسم الموقف ووقف الصدام بين الطرفين بدلاً من الاصرار على كتابة الوصية، وهو ما حدث عندما قرر الرسول طرد الجميع من غرفته . .
ثالثاً : إن الفقهاء دافعوا دفاعاً مستميتاً عن عمر مبررين موقفه بمبررات واهية وساذجة فيها استخفاف بالعقل، وذلك بدلاً من أن يدافعوا عن الرسول وعن النص . .

رابعاً : إن الفقهاء أنزلوا عمر منزلة المجتهد بموقفه هذا الذي تجاوز فيه حد الأدب مع الرسول واتهمه بالتخريف والهديان..
خامساً : إن الفقهاء لم ينفوا وجود الوصية وكونها وصية مصيرية تتعلق بمستقبل الدين والإمامة من بعد الرسول . .

ونحن لا نريد هنا أن نخوض في موقف عمر ودوافعه وأبعاده فذلك ليس مجاله، وإنما المجال هنا يتركز في إبراز دور الرواة والفقهاء في تشويه الرسول، والخط من قدره ومكانته العالية والمساس بدوره ورسالته^{١١٤}.

الفقهاء والوصية

ولقد أشرنا سابقاً إلى الروايات التي تشير إلى وصية الرسول (ص) بأهل البيت في حجة الوداع والتي تؤكد تأكيداً قاطعاً نهم المقصودون بالوصية، وإن كانت رواية الكتاب لم ينتج عنها كتابة الوصية، فإن الرسول قد بينها وحددها في أكثر من موضع، ولعل هذا هو ما جعله لا يكتبها حين وقع الصدام أمامه بسببها لكونها بينة واضحة، ولعله يكون قد كتبها وتم التعيم عليها من قبل الحكام والفقهاء، كما تم التعيم على الكثير من النصوص الهامة . .

وعندما يقول الرسول (ص) في حجة الوداع : "أذكركم الله في أهل بيتي" ..
أليست هذه وصية .. ؟
وعندما يقول : "أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب
وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله .. وأهل بيتي" .. أليست هذه وصية .. ؟
وعندما يقول : "من كنت مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من
عاداه" ١١٥ .

أليست هذه وصية .. ؟
وعندما يقول : "لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلاً" ١١٦ .
وفي رواية : "اثنا عشر خليفة" ١١٧ .
وفي رواية : "لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة" ١١٨ ..
إلا أن هذه الروايات المحرجة التي أفلتت من الرواة لم تفلت من الفقهاء
الذين وجهوا دفتها بعيداً عن أهل البيت بتميع مفهوم أهل البيت تارة، وتأويل
الرواية لتخدم الحكام تارة والطعن في صحتها وسندها تارة أخرى ..
وهم قد مروا على روايات حجة الوداع مرور الكرام دون أن يلقوا الضوء
على مدلولاتها، إذ أن تبني مدلولات مثل هذه الروايات يصطدم بالوضع السائد
الذي يستمدون وجودهم منه ..

١١٥ - رواه أحمد والترمذي والهيتمي في مجمع الزوائد ، ورجاله ثقات ، وقال عنه السيوطي
حديث متواتر .

١١٦ - مسلم، كتاب الإمامة .

١١٧ - المرجع السابق .

١١٨ - المرجع السابق .

وهذا ما يبدو بوضوح من الرواية الأخيرة التي يبشر فيها الرسول باثني عشر خليفة، فهم قد طبقوا هذه الرواية على الحكام..

يقول الفقهاء: تردد العلماء في المعنى المراد بهذا - أي بالاثني عشر - فقالوا يحتمل أن يكون المراد بالاثني عشر خليفة مستحقي الخلافة من أئمة العدل، ويحتمل أن يكون المراد اجتماعهم في زمن واحد يفترق الناس عليهم فتتبع كل طائفة واحدا منهم، ويحتمل أن يكون المراد بالاثني عشر الذين يكون معهم إعزاز الخلافة وسياسة إمارة الإسلام واجتماع الناس كلهم على كل واحد منهم^{١١٩}.

وينقل صدر الدين الحنفي: الاثنا عشر: الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز ثم أخذ الأمر في الانحلال^{١٢٠}.

وقال السيوطي: الاثنا عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز وهؤلاء ثمانية. ويحتمل أن يضم إليهم المهدي من العباسيين لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، وكذلك الظاهر لما أوتيه من العدل. وبقي الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من آل بيت محمد (ص)^{١٢١}.

وقال ابن الجوزي: قد أطلت البحث في معنى هذا الحديث وتطلبت مظانه وسألت عنه فلم أقع على المقصود به لأن ألفاظه مختلفة ولا أشك أن التخليط فيه

١١٩ - مسلم هامش كتاب الإمارة.

١٢٠ - شرح العقيدة الطحاوية.

١٢١ - تاريخ الخلفاء المقدمة.

من الرواة، ثم وقع لي فيه شئ وجدت الخطابى بعد ذلك قد أشار إليه ثم وجدت كلاماً لأبي الحسين بن المنادي وكلاماً لغيره^{١٢٢}.

وقال آخر : يحتمل في معنى هذا الحديث أن يكون هذا بعد المهدي الذي يخرج في آخر الزمان فقد وجدت في كتاب دانيال إذا مات المهدي ملك بعده خمسة رجال من ولد السبط الأكبر ثم خمسة من ولد السبط الأصغر ثم يوصي آخرهم بالخلافة لرجل من ولد السبط الأكبر ثم يملك بعده ولده فيتم بذلك اثنا عشر ملكاً كل واحد منهم إمام مهدي^{١٢٣}.

وقال القاضي عياض : لعل المراد بالاثني عشر في هذه الأحاديث وما شابهها أنهم يكونون في مدة عز الخلافة، وقوة الإسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة، وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر بني أمية ووقعت بينهم الفتن^{١٢٤}.

ويروى عن كعب الأحمار قوله : يكون اثنا عشر مهدياً ثم ينزل روح الله فيقتل الدجال^{١٢٥}.

وقيل : إن المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدن الإسلام إلى يوم القيامة، يعملون بالحق وإن لم تتوالى أيامهم^{١٢٦}.

ويقول ابن حجر : .. والذي وقع أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين فسمى معاوية يومئذ

١٢٢ - أنظر كشف المشكل وفتح الباري ج ١٣

١٢٣ - فتح الباري.

١٢٤ - تاريخ الخلفاء المقدمة وانظر فتح الباري.

١٢٥ - فتح الباري ج ١٣

١٢٦ - المرجع السابق.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٢٦٩

بالخلافة، ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن ثم اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك، ثم لما مات يزيد وقع الخلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة الوليد ثم سليمان ثم يزيد، ثم هشام وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام فولي نحو أربع سنين، ثم قاموا عليه فقتلوه وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من بعده يومئذ ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك^{١٢٧}.

ومن الواضح أن الفقهاء تخطوا في تحديد الأئمة الاثني عشر الذين أوصى بهم الرسول وبشر بهم في عدة روايات، وهذا الخطب يعود سببه إلى في كونهم أخضعوا النص للسياسة، وسيروه في طريق الحكام الذين غلبوا على الأمة بالسيف، من أبي بكر حتى آخر حكام بني أمية الذين حصروا الروايات في دائرتهم، وأهملوا بني العباس الذين جمعت الروايات في عصرهم ونموا وترعرعوا في ظلالهم^{١٢٨}.

ولم يحدث في تاريخ المسلمين أن اجتمعوا على حاكم من الحكام كما يدعي الفقهاء الذين يريدون إيهام المسلمين بأن اغتصاب السلطة بالقوة والاستقرار في الحكم يعني موافقة وإجماعا عليهم ..

وهل يقبل أن يبشر الرسول بأمثال هؤلاء الحكام مثل معاوية وولده يزيد وأبناء مروان الذين يشهد التاريخ بفسادهم وإجرامهم ويربط بهم عزة الإسلام،

١٢٧ - المرجع السابق.

١٢٨ - نستثني من هؤلاء الإمام علي فهو الحاكم الوحيد الذي جاء باختيار الناس ورضاهم وإن لم يتم الاجماع عليه.

والظاهر أن الفقهاء يريدون أن يربطوا عزة الإسلام بحركة الغزو المسلح والذي قامت به جيوش هؤلاء الحكام والتي كان نتيجتها سيادة دولهم على المشرق والمغرب على أساس أن هذه السيادة هي سيادة الإسلام. لقد أغفل الفقهاء تماماً أهل البيت تحت ضغط السياسة وتوجهوا بأبصارهم نحو الحكام ..

أهملوا الإمام علي، وأهملوا الإمام الحسن، وأهملوا الإمام الحسين، وأهملوا زين العابدين، وأهملوا محمد الباقر، وأهملوا جعفر الصادق، وأهملوا موسى الكاظم، وأهملوا علي الرضا، وأهملوا محمد الجواد، وأهملوا علي الهادي، وأهملوا الحسن العسكري، وأهملوا المهدي المنتظر .. أهملوا هؤلاء واهتموا بالحكام ..

إن المتتبع لتاريخ هؤلاء الاثني عشر سوف يتبين له أنهم هم المقصودون بوصية الرسول، وهم ورثة علمه وحججه على الناس وقد تم التعتيم عليهم وعلى سيرتهم في كتب التاريخ من قبل الرواة والفقهاء والحكام ، وكان نتيجة هذا التعتيم أن نشأت الأجيال المسلمة لا تعرف عنهم شيئاً، خاصة بعد أن سلطت الأضواء على الأئمة الزائفين الذين حلوا محلهم^{١٢٩}.

وكما حاول الرواة والفقهاء التعتيم على أئمة أهل البيت حاولوا أيضاً التعتيم على قوله تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } بأن صرفوا معناه على نساء النبي^{١٣٠} ..

١٢٩ - أنظر مروج الذهب للمسعودي ، وتاريخ يعقوبي ، والبداية والنهاية لابن كثير وطبقات ابن سعد ، ووفيات الأعيان لابن خلكان وكتب التراجم ، وانظر لنا موسوعة أهل البيت.
١٣٠ - أنظر كتب التفسير سورة الأحزاب، وانظر موسوعة أهل البيت.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٢٧١


إن تخصيص أهل البيت بالتطهير من دون بقية فئات الأمة يعني أنهم الفئة المؤهلة لقيادة الأمة وحفظ الدين من بعد الرسول، فمهمة الحفظ والقيادة لا بد وأن تكون لفئة تحمل مواصفات النبي (ص) ..
وهذا دليل قاطع على كونهم هم الذين أوصى بهم الرسول ويدل على ذلك ربطهم بالكتاب .

* * *



الرسول الجاهل

الرسول يفر من الوحي ويفتي بلا علم
ويصح له عمر..



تكتظ كتب السنن بعشرات الروايات التي تصف الرسول (ص) بالجهل وتشكك في قدراته على القيام بدوره كنبى مرسل . .
وكالعادة بارك الفقهاء هذه الروايات وقاموا بتبريرها وتأويلها دون أن ينتبهوا إلى خطورتها ومساسها بشخص الرسول . .
ولقد تمادى الفقهاء في موقفهم فباركوا روايات ترفع مقام عمر فوق مقام الرسول، وتدخلة مقام النبوة وتجعله مشاركاً للرسول في أمر الوحي .
وفي هذا الباب جمعنا الكثير من الروايات المتناثرة في كتب السنن والتي تصلح كل رواية منها ليقوم عليها باباً خاصاً بها، لكننا ألحقناها بالباب لقرب موضوعها من موضوعه وتجنباً للإطالة وتيسيراً للقارئ . .
وبين الروايات المتعلقة بالرسول والروايات المتعلقة بعمر نقف في دهشة وضجر من هؤلاء الفقهاء الذين هان عليهم رسولهم إلى هذا الحد . .

الرسول والوحي

بدأ القوم بتجهيل الرسول (ص) مع أول خطوة خطاها على طريق البعثة والرسالة في مكة . .

تروي عائشة أن الرسول (ص) كان يخلو بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد، وأن الملك جاءه فقال اقرأ، قال : " ما أنا بقارئ " ، فأخذه فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال : اقرأ، قال : " ما أنا بقارئ " ، فأخذه فغطه ثانية حتى بلغ

منه الجهد ثم أرسله فقال : اقرأ، قال : " ما أنا بقارئ " ، فأخذه فغطه الثالثة ثم أرسله فقال : { اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } . فرجع بها الرسول يرجف فؤاده ودخل على خديجة قائلاً : " زمّلوني زمّلوني " ، فزملوه حتى ذهب منه الروح ، وأخبر خديجة بالخبر وقال : " لقد خشيت على نفسي " ، فأخذته خديجة على ورقة بن نوفل وكان على دين النصرانية . .

فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزلّه الله على موسى ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك .

فقال الرسول : " أو مخرجي هم ؟ "
قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي^{١٣١} .

ونخرج من هذه الرواية بالنتائج التالية :

أولاً : أن هناك شك يحيط بربط هذه الرواية بعائشة، إذ أن حدث نزول الوحي على الرسول كان قبل ولادتها حسب الروايات التي تقول أنها ولدت في السنة الثانية أو الرابعة أو الخامسة . .

وحتى تثبت لنا صحة هذه الرواية فيجب على القوم أن يعترفوا أن عمر عائشة هو أكبر بكثير مما يذكرون، لكي يثبت لنا صحة معاشتها لهذا الحدث وهذا هو الأرجح وإلا تصبح هذه الرواية على كف عفريت . .

ثانياً : إن الرسول (ص) كان يتعبد بغار حراء من قبل البعثة وهذه إشارة إلى كونه كان معداً لاستقبال الوحي، فمن ثم فإن ظهوره له لم يكن مفاجأة وبالتالي فليس هناك مبرر للخوف منه . .

ثالثاً : إن تبني مثل هذه الرؤية التي تنص على خوف الرسول وفزعه من جبريل إنما ينبع من عقيدة الرواة والفقهاء في كون الرسول غير معصوم قبل

١٣١ - البخاري كتاب بدء الوحي ، ومسلم كتاب الإيمان .

البعثة فهذه الرؤية تجرد الرسول من خاصية الوعي والعلم بما يتعلق بالوحي والرسالة قبل البعثة وهو ما تؤكد النصوص التالية من الرواية ..

رابعاً : إن ما يدحض هذا التصور هو تعبد الرسول الدائم في غار حراء وهو ما تؤكد الرواية - قبل بعثته، فعلى أساس أي دين كان يتعبد ؟ ومن أين له العلم بهذا .. ؟

خامساً : إن القوم يتداولون رواية تقول على لسان الرسول (ص) : "إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن" ١٣٢ .
وهذه الرواية تعطينا دلالة قاطعة أن الرسول كان في حفظ الله ورعايته من قبل أن يوحى إليه ..

سادساً : إن جبريل قام بتعذيب الرسول وإكراهه على القراءة، وهذا سلوك غير معقول من رسل الله سبحانه ولا يجوز نسبته لجبريل (ع) وهذا الموقف من جبريل يكشف لنا أن الرسول (ص) كان يقرأ ويكتب، وإلا فكيف يطلب منه القراءة وهو لا يجيدها..؟

سابعاً : إن ذهاب الرسول لورقة النصراني ليستفتيه يشم منه رائحة الطعن والتشويه لشخص الرسول ودعوته، وكأنه يشير إلى وجود صلة بين ما جاء به الرسول وبين النصارى ..

ثامناً : إن الرسول لم يكن يعلم شيئاً عن أبعاد الدعوة التي أوحى إليه بها ونتائجها المستقبلية، وإن ورقة هو الذي نبهه إلى هذا، وهو يقود إلى نفس النتيجة السابقة ..

ومن خلال هذا كله يمكننا الحكم ببطلان هذه الرواية وعدم صحة نسبتها للرسول (ص) فإن نسبتها له يعني اتهامه بالجهل، وهذا الاتهام يقودنا إلى الطعن

في الرسالة، وبالتالي فنحن نضحي بالرواية وبالرجال الذين أكدوها في مقابل الحفاظ على الصورة السامية للرسول والذي هو يعد حفاظاً على الدين الذي جاء به . .

ويروى عن الرسول (ص) قوله : " بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه، فرجعت فقلت زملوني "١٣٣.

وهذه الرواية تعد امتداداً للرواية السابقة التي تؤكد جهل الرسول بأمر الوحي والذعر منه والفرار من أمامه..

إلا أن الجديد في هذه الرواية هو ظهور جبريل أمام الرسول جالس على كرسي بين السماء والأرض وهو كلام لا معنى له ولا صلة له بالأمر وهو على ما يبدو من اختلاق خيال الراوي . .

فهل ظهر جبريل لمجرد إخافة الرسول فقط، أم جاء إليه بكلام الله..؟

وكيف سوف يوصل إليه هذا الكلام ما دام قد فر منه . . ؟

ويروى عن الرسول (ص) قوله : " فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج عن صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه "١٣٤.

وفي رواية أخرى : " بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان بين رجلين، فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً، فشق صدري من النحر إلى مرافق البطن ثم غسل البطن بماء زمزم . ثم ملئ حكمة وإيماناً "١٣٥ .

١٣٣ - مسلم كتاب الإيمان، والبخاري كتاب بدء الوحي .

١٣٤ - البخاري كتاب الصلاة، ومسلم كتاب الإيمان.

١٣٥ - البخاري كتاب بدء الخلق ومسلم كتاب الإيمان.

وفي رواية ثالثة : إن رسول الله (ص) أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرع فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه عقلة، قال : هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه . ثم أعاده في مكانه^{١٣٦} .

ويروى : "أوتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم أنزلت"^{١٣٧} .

ويظهر لنا من خلال هذه الروايات الأربعة التي تدور حول حدث محدد وهو شق قلب الرسول، أنها روايات متناقضة وتضرب بعضها بعضاً ..
ففي الرواية الأولى وقع الحدث في بيت الرسول وبعد البعثة ..
وفي الرواية الثانية وقع الحدث في البيت الحرام وبعد البعثة ..
وفي الرواية الثالثة وقع الحدث في طفولة الرسول وبالخلاء ..
وفي الرواية الرابعة لم يتحدد المكان ..
وهذا وحده كاف للشك فيها وتبرير رفضها ..
وإذا قدر لنا التسليم بصحتها فأى الروايات سوف نختار .
وعلى أي أساس سوف يتم هذا الاختيار ؟

أما فيما يتعلق بموضوع الرواية فهو أمر مناف للعقل ويصطدم بعصمة النبي التي هي في الأساس مسألة معنوية لا مادية كما تحاول تأكيد ذلك الروايات ..
إن مثل هذه الروايات تشبه إلى حد كبير تلك الروايات المنتشرة في التوراة والإنجيل حول الأنبياء والأحبار والرهبان، ومن جهة أخرى فإن هذه الروايات

١٣٦ - مسلم كتاب الإيمان.

١٣٧ - المرجع السابق.

٢٨٠ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

تحاول تأكيد فكرة جهل الرسول وافتقاده الرصيد العلمي قبل البعثة وحتى بعدها . .

وبدلاً من أن يعمل الفقهاء عقولهم في هذه الروايات والنظر في أمر قبولها قاموا بإخضاع النص القرآني لهذه الروايات، وذلك بتفسير قوله تعالى { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } على ضوء هذه الروايات ١٣٨ . .

عمر والرسول

إن قمة تجهيل الرسول (ص) وامتداده من قبل الرواة تتجلى لنا في تلك الروايات التي يتداولها القوم والتي يطلقون عليها موافقات عمر أي موافقته للوحي . .

يروى عن عبد الله بن عمر قال : قال أبيه : وافقت ربي في ثلاث : في مقام إبراهيم . وفي الحجاب . وفي أسارى بدر ١٣٩ .

وفي رواية أخرى : وافقت ربي في ثلاث، فقلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى . فنزلت { وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى } . وآية الحجاب، قلت : يا رسول الله : لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب .

واجتمع نساء النبي (ص) في الغيرة عليه فقلت لهن عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن . فنزلت هذه الآية ١٤٠ . .

١٣٨ - أنظر تفسير ابن كثير والآلوسي والخازن وغيرهم .

١٣٩ - مسلم . كتاب فضائل الصحابة .

١٤٠ - البخاري . كتاب الصلاة .

ويروى عن ابن عمر قال : لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله (ص) فسأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه، أعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ليصلي عليه . فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله، فقال يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه.. فقال رسول الله: "إنما خيرني الله فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيد على سبعين " .

قال عمر : إنه منافق . فصلى عليه رسول الله وأنزل الله عز وجل: { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ }^١ .

قال الفقهاء : قوله وافقت ربي، قال الطيبي ما أحسن هذه العبارة وما ألفتها حيث راعى الأدب الحسن ولم يقل وافقني ربي مع أن الآيات إنما أنزلت موافقة لرأيه واجتهاده، ولعله أشار بقوله هذا أن فعله حادث لا حق وقضاء ربه قديم سابق .

وقال ابن حجر العسقلاني : ليس في تخصيص الثلاث ما ينفي الزيادة لأنه حصلت له الموافقة في أشياء من مشهورها قصة أساري بدر وقصة الصلاة على المنافقين وأكثر ما وفقنا منها بالتعيين خمسة عشر . قال صاحب الرياض : منها تسعة لفظيات وأربعة معنويات واثنان في التورية^٢ .

ويقول : والمعني وافقني ربي فأنزل القرآن علي وفق ما رأيت، ولكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه^٣ .

١ - مسلم كتاب الصحابة، والبخاري كتاب التفسير .

٢ - مسلم، هامش باب فضل عمر .

٣ - فتح الباري ج ٨ .

وقال السيوطي : قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين، أي عشرين موافقه، ونقل عن مجاهد قوله : كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن. وعن ابن عمر قوله : ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر.

وفي تحريم الخمر قال عمر : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فأنزل الله تحريمها .

وفي نزول قوله تعالى : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ } قال عمر : فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }.

ونقل عن كعب الأحبار قوله : ويل لملك الأرض من ملك السماء، فقال عمر : إلا من حاسب نفسه . قال كعب : والذي نفسي بيده أنها لفي التوراة لتابعتها، فخر عمر ساجداً .

ونقل أن بلالاً كان يقول إذا أذن : أشهد أن لا إله إلا الله حي على الصلاة، فقال عمر : قل في أثرها : أشهد أن محمداً رسول الله . فقال رسول الله (ص) : قل كما قال عمر^١.

ونقل الترمذي عن ابن عمر قوله : ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر^٢.

ونقل ابن حجر الهيتمي لعمر سبع عشرة موافقة للكتاب والسنة والتوراة^٣. إن أدنى تفكر في هذه النصوص يقودنا إلى الحكم بطلانها وضلال معتنقيها، فإن تبني مثل هذه الروايات يحط من قدر الرسول ويشكك في دوره، كما يشكك في الوحي ويدخله في دائرة العبث .

١ - تاريخ الخلفاء، ترجمة عمر، فصل موافقات عمر.

٢ - فتح الباري ج ١

٣ - الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، فصل خلافة عمر.

وإن تبني الفقهاء لمثل هذه الروايات يكشف لنا مدى حجم الجريمة الشنعاء التي ارتكبوها في حق الرسول (ص)، وهو ما يتضح بجلاء عند مناقشة هذه الروايات وتبين نتائجها ومدلولاتها..

وأول ما تؤكد هذه الروايات هو مشاركة عمر للرسول في أمر الوحي وهذا ضلال بعيد، وهو كفر لا محالة، إذ أن الرسول هو المختار من قبل الله تعالى وهو الملهم والمسدد وفوق هذا هو مبلغ ومبين ولا يعلم الغيب ولا يتنبأ إلا وفق ما يوحى إليه، هذه هي صورة الرسول كما يرسمها القرآن..

أما هذه الروايات فترسم لعمر صورة أخرى فوق صورة الرسول فهي تؤكد جهل الرسول وإهماله شؤون الدين وتنبه عمر لذلك ثم موافقة الوحي ونزوله مناصراً لرأي عمر .

ألا يعني هذا مهانة للرسول وحط من قدره وتشكيك في رسالته ؟

أليس هذا يصطدم بدور الرسول ومهمته .. ؟

وثاني نتيجة تظهر لنا من خلال هذه الروايات هي تخطيط الرواة وتناقضهم، فتارة ينسبون لعمر ثلاث موافقات هي ما يتعلق بمقام إبراهيم وما يتعلق بالحجاب وما يتعلق بأساري بدر ..

وتارة ينسبون إليه ما يتعلق بطلاق نسوة النبي بدلاً مما يتعلق بأساري بدر، وينسبون إليه قصة الصلاة على زعيم المنافقين، وغير هذه الموافقات الأربع هي محل خلاف بين المحدثين والفقهاء، وإجماعهم هو على هذه الأربع لكونها رويت في البخاري ومسلم، أما بقية الموافقات فرويت في كتب السنن الأخرى التي أجاز القوم الخوض في رواياتها..

وقد حكم السيوطي وابن حجر الهيتمي بضعف رواية موافقة عمر للآذان،
التي تنسب إليه إضافة محمد رسول الله في الآذان، ومع ذلك استدلا بها واعتمدا
عليها في البرهنة على موافقاته^١.

وإذا كان الفقهاء يشككون في مثل هذه الروايات التي تسند إلى عمر هذه
الموافقات فكيف لهم أن يسندوا إليه موافقته للتوراة..؟

هل يعني هذا أن التوراة مصدر موثوق عندهم..؟

أم أن الرواية من الإسرائيليات..؟

وما الذي يجعل عمر يخر ساجداً لله لما وجد قوله موافقا لنص التوراة؟

هل التوراة محل صدق لديه..؟

أم لم تعد موافقاته للقرآن تكفيه..؟

والرواية لم يتحفونا برواية تثبت لنا سجود عمر لله حين نزل القرآن موافقا

لرأيه، فقط أتحفونا بسجوده لموافقة التوراة له..

فأي عقل يحتمل هذا الهراء..؟

وليتأمل القارئ قول عمر للرسول (ص): "لو أمرت نساءك أن يحتجن فإنه

يكلمن البر والفاجر..؟

هل هذه لغة يخاطب بها الرسول؟

ألا يعني هذا الكلام مساسا ببيت النبي ونساءه..؟

لنترك الروايات تتحدث..

يروى عن عائشة قولها: إن أزواج النبي (ص) كن يخرجن بالليل إذا تبرزن

إلى المناصب وهو صعيد أفيح، وكان عمر يقول لرسول الله: أحجب نساءك فلم

يكن رسول الله يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ليلة من الليالي عشاءا

١ - أنظر تاريخ الخلفاء والصواعق المحرقة.

وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر ألا فقد عرفناك يا سودة، حرصاً على أن ينزل الحجاب، قالت عائشة : فأنزل الله الحجاب^٢.

وفي رواية أخرى : والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين، فرجعت سودة وأخبرت النبي بقول عمر^٣.

قال ابن حجر : والحاصل أن عمر وقع في قلبه نفرة من اطلاع الأجانب على الحريم النبوي حتى صرح بقوله له (ص) أحجب نساءك ؟ وأكد ذلك إلى أن نزلت آية الحجاب^٤.

وقال القسطلاني : فيه - أي في هذه الرواية - منقبة عظيمة ظاهرة لعمر، وفيه تنبيه أهل الفضل والكبار على مصالحهم ونصيحتهم وتكرار ذلك^٥.

ومن خلال هذه الرواية وأقوال الفقهاء حولها يتضح لنا مدى مهانة الرسول في نظر القوم، وبدلاً وكأن عمر أهم من الرسول..

إن الرواية كمضمون ليست في صالح عمر كما أنها لا تشير إلى نزول آية الحجاب موافقة لموقفه، فسلوكه كما تشير الرواية يتجاوز حدود الأدب مع نساء النبي، فهو يعترض طريقهن ليلاً ويؤذيهن بلسانه، ويهددهن مما يبرهن على أن موقفه لا ينم عن علم أو وعي بقدر ما يبرهن عن سلوك غير متحضر . .

والرواية من جانب آخر تحط من قدر الرسول وتصور عمر كموجه له يذكر، بإهماله نساءه وترك الحبل لهن على الغارب، بينما الرسول لا يعبأ بنصحه،

٢ - مسلم ، كتاب الإسلام.

٣ - المرجع السابق.

٤ - فتح الباري ج ٨

٥ - مسلم، كتاب السلام . باب إباحة الخروج للنساء.

وجاء الفقهاء بتأويلاتهم وتبريراتهم ليؤكدوا هذا السلوك المشين من قبل عمر، ويؤكدوا مهانة الرسول وجهله وإهماله، وتفوق عمر عليه الذي لاحظ نظرات الأجانب لنساء النبي ورصد حر كاتهن من قبلهم، فنفر قلبه من ذلك بينما الرسول لم يحرك ساكناً..

فهل بعد هذا كله يصح أن يقال إن هذا السلوك من قبل عمر يعد منقبة عظيمة له...؟

وأن يستنبط من هذا السلوك منهج لدعوة الكبار وأهل الفضل ونصحهم..؟
أما موافقة عمر لمسألة الصلاة على عبد الله بن أبي بن سلول فهي تقودنا إلى نتائج أدهى وأمر وأهم ما نخرج به من هذه القصة هو زيادة اليقين ببطلان مثل تلك الروايات..

إن رواية صلاة الرسول (ص) على ابن سلول وموقف عمر تنطق بالوضع فهي تصرح بالنهي عن الصلاة على المنافقين على لسان عمر من قبل أن ينزل نص التحريم..

فمن أين علم عمر بأمر النهي...؟

هل كان عمر يعلم الغيب، أم هو على اتصال بالوحي..؟^٦

وهذه النتيجة في ذاتها كافية لضرب الرواية بل روايات موافقات عمر، بل عمر ذاته، فالدخول في تفاصيلها ينسفه نفساً، إذ أن جذبه الرسول من ثوبه هذه وحدها طامة كبرى، ومجادلته الرسول أشد نكالاً، هذا بخصوص عمر..

أما بخصوص الرسول فالرواية تؤكد جهله بأحكام الدين وإصراره على هذا الجهل وتحايله على النص القرآني كي يستغفر للمنافقين، فهل هناك جريمة ترتكب في حق الرسول أكثر من هذه..؟

٦ - قال القرطبي: لعل ذلك وقع في خاطر عمر فيكون من قبيل الإلهام، أنظر فتح الباري ج ٨

وإذا كان القرآن ينص على قوله تعالى : { .. وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ } ..

فهل يحق للرسول أن يخالف القرآن ؟

والإجابة بالطبع: لا، لكن القوم عكسوا الآية .

فبدلاً من أن يؤكدوا أنها نزلت لتحذر الرسول من الصلاة على المنافقين وتنهاه عن ذلك، قالوا إنها نزلت موافقة لرأي عمر ضد الرسول المصّر على الصلاة ومخالفة النص ..

إن الفقهاء يريدون التأكيد على أن الرسول (ص) خالف القرآن وتجاوز حدود النص، وأن النابه عمر تصدى له ..

وأن الوحي ناصر عمر ضد الرسول، فأى ضلال بعد هذا ..

وكان أجدر بالفقهاء أن يقولوا إن النص القرآني نزل قبل أن يقوم الرسول بأي خطوة عملية تجاه المتوفى ابن سلول وذلك من باب الدفاع عن الرسول، لكنها عبادة الرجال ..

وقد نقل ابن حجر العسقلاني كلاماً للباقلاني والجويني برفض رواية صلاة الرسول على ابن سلول وموقف عمر^٧.

مصائب أخرى

وينسب الرواة إلى الرسول (ص) الكثير من الأمور المشينة في مجالات الحياة المختلفة والتي لا تتركز حول قضية الجهل وحدها وإنما تشمل قضايا أخرى محصلتها النهائية الحط من قدر الرسول والتشكيك في شخصه وقدراته .. ومن هذه الروايات : عن عائشة قالت : جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي (ص) فقالت يا رسول الله : إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم .

٧ - المرجع السابق.

فقال النبي : " ارضعوه تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة " . قالت :
كيف أرضعه وهو رجل كبير ؟

فتبسم الرسول وقال : " قد علمت أنه رجل كبير " ^٨ .

وعنها قالت : كان رسول الله (ص) مضطجعا في بيتي كاشفاً عن فخذه أو
ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر
فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوى ثيابه،
فتحدث فلما خرج قالت عائشة، دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل
عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال : ألا
أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ^٩ .

ويروى أن حبراً من أحبار اليهود جاء إلى الرسول (ص) فقال : يا محمد . إنا
نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع
والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول : أنا الملك . فضحك
النبي حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ^{١٠} .

ويروى : سئل رسول الله (ص) عن أطفال المشركين من يموت منهم
صغيراً ؟

فقال : " الله أعلم بما كانوا عاملين " ^{١١} .

ويروى أن الرسول (ص) لقي زيد بن عمرو بن نفيل قبل أن ينزل عليه
الوحي فقدم رسول الله سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل، ثم قال : إني لا آكل مما
تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه ^{١٢} .

٨ - مسلم . كتاب الرضاع ، باب رضاعة الكبير .

٩ - مسلم . كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عثمان .

١٠ - مسلم كتاب صفات المنافقين ، والبخاري كتاب التفسير .

١١ - مسلم كتاب القدر .

ويروى : أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياما فخرج إلينا رسول الله (ص) فلما قام في مصلاه ذكر أنه جنب، فقال : "مكانكم" ، ثم رجع فاغتسل ثم رجع إلينا ورأسه يقطر فكبر فصلينا معه^{١٣}.

ويروى عن عائشة قالت : دخل على رسول الله (ص) رجلان فكلماه بشيء لا أدري ما هو ؟ فأغضباه . فلعنهما وسبهما^{١٤}.

ويروى عن الرسول قوله : "إنما أنا بشر وإنني اشترطت على ربي عز وجل أي عبد من المسلمين سببته أو شتمته أن يكون ذلك له زكاة وخير"^{١٥}. وفي رواية أخرى : "أيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته"^{١٦}.

ويروى عن عائشة : أن النبي (ص) مر بقوم يلحقون . فقال : "لو لم تفعلوا لصلح" فخرج شيصاً، فمر بهم . فقال : ما لنخلكم، قالوا : قلت كذا وكذا . قال : أنتم أعلم بأمر دنياكم^{١٧}.

وفي رواية أخرى : مر رسول الله (ص) بقوم على رؤوس النخل . فقال : "ما يصنع هؤلاء ؟"

فقالوا يلحقونه يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح . فقال رسول الله : "ما أظن يعني ذلك شيئاً" . فأخبر بذلك فتركوه، فنفضت (أي فسدت) فأخبر الرسول بذلك..

١٢ - البخاري كتاب الذبائح.

١٣ - مسلم كتاب الصلاة، والبخاري كتاب الغسل.

١٤ - مسلم كتاب البر والصلة.

١٥ - مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، والبخاري كتاب الدعوات.

١٦ - المرجعين السابقين.

١٧ - مسلم، كتاب الفضائل.

فقال : " إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنني لن أكذب على الله عز وجل " ١٨ .

وفي رواية : " إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوه به وإذا أمرتكم بشئ من رأيي فإنما أنا بشر " ١٩ .

ويروى عن عائشة قالت : لاددنا رسول الله (ص) في مرضه، فأشار أن لا تلدونني فكلنا كراهية المريض للدواء فلما أفاق قال : " لا يبقى أحد منكم إلا لدَّ غير العباس فإنه لم يشهدكم " ٢٠ .

ويروى عن عائشة قولها : سمع النبي (ص) قارئاً يقرأ من الليل في المسجد، فقال : " يرحمه الله . لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا " ٢١ .

وفي رواية : " لقد أذكرني آية كنت أنسيتها " ٢٢ .

ويروى : أتى النبي (ص) سباطة قوم خلف حائط فبال قائماً ٢٣ .

ويروى عن عائشة قالت : سحر رسول الله (ص) حتى أنه يخيل إليه أنه يفعل الشئ وما فعله ٢٤ .

وفي رواية أخرى : سحر رسول الله (ص) حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ٢٥ .

١٨ - المرجع السابق.

١٩ - المرجع السابق.

٢٠ - البخاري كتاب الطب وكتاب الديات وكتاب النبي إلى كسرى ومسلم كتاب السلام.

٢١ - مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب فضل القرآن.

٢٢ - المرجع السابق.

٢٣ - مسلم والبخاري كتاب الوضوء.

٢٤ - البخاري كتاب بدء الخلق، ومسلم كتاب الطب.

٢٥ - المرجعين السابقين.

ويروى : أن الرسول كان ينقل الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس : يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة، فحله فجعله على منكبه فسقط مغشياً عليه، فما رُوي عريانا بعد ذلك اليوم^{٢٦} . .

ويروى عن الرسول (ص) قوله : "إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فاقضي له بذلك . فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها"^{٢٧} .

ويروى أن يهودية أتت النبي (ص) بشاة مسمومة فأكل منها، فجئ بها، فقيل: ألا تقتلها، قال : " لا " . قال الراوي : فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله^{٢٨} .

ويروى عن عمر قوله : قال الرسول (ص) " إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه"^{٢٩} .

هذه هي نصوص الروايات التي ينسبها الرواة إلى الرسول (ص) وهي على ما يبدو من ظاهرها يدور معظمها في محيط تجهيل الرسول . . وسوف نعرض أولاً لأقوال الفقهاء حول هذه الروايات ثم نبدي ملاحظتنا بعدها .

قال القاضي بالنسبة لرضاعة الكبير : قوله (ص) " ارضعيه "، لعلها حلبته ثم شربه من غير أنه يمس ثديها ولا انتقت بشرتهما^{٣٠} . وقال النووي : وهذا الذي قاله القاضي حسن^{٣١} .

٢٦ - مسلم كتاب الطهارة باب الاعتناء بحفظ العورة.

٢٧ - مسلم كتاب الأفضية، والبخاري كتاب المظالم.

٢٨ - البخاري كتاب الهبة، ومسلم كتاب السلام.

٢٩ - مسلم والبخاري كتاب الجنائز.

٣٠ - مسلم، هامش باب رضاعة الكبير.

٣١ - المرجع السابق.

والذي نقوله نحن أن هذه الرواية هراء وتبرير الفقهاء لها أكثر من هراء، إذ أن المعلوم شرعاً أن حرمة الرضاع إنما تنبني على سني الرضاعة وهما حولان كاملان أي السنة الأولى والثانية من عمر المولود، بعد ذلك لا عبرة برضاعة من أي ثدي لأن اللبن لن يكون له دور في تكوينه، فهل كان الرسول يجهل هذه الحقيقة..؟

أم كان يمزح مع السائلة..؟

ومثل هذه الأمور محل للمزاح ؟

إن الإجابة على هذه التساؤلات هي أن هذه الرواية لا تخرج عن كونها لهواً مصطنعاً على لسان أصحاب الأهواء والأغراض من الحكام وغيرهم ونسبوا إلى الرسول، ويكفي القول إن أم سلمة وسائر أزواج النبي (ص) رفضن أن يدخل عليهن أحد بتلك الرضاعة عدا عائشة ..

يروى أن أم سلمة زوج النبي (ص) كانت تقول : أبى سائر أزواج النبي (ص) أن يدخلن عليهن أحدا بتلك الرضاعة، وقلن لعائشة والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله لسالم - الراضع - خاصة . فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رئينا^{٣٢} .

ومثل هذا الموقف من قبل نساء النبي إنما يعكس عدم الرضا عن هذا الأمر وعدم قناعتهم به، وهذا الموقف يعني الشك في الرواية ونسبتها للرسول (ص). أما الرواية الثانية الخاصة بعثمان فقد قال الفقهاء فيها : قولها - أي عائشة - كاشفاً عن فحذه أو ساقيه .

قال النووي هذا مما يحتج به المالكية وغيرهم ممن ليست عندهم الفخذ عورة، ولا حجة فيه لأنه مشكوك (أي شك الراوي) في المكشوف هل هو

الساقان أم الفخذان فلا يلزم منه الجزم بجواز كشف الفخذ، ويجوز أن يكون المراد بكشف الفخذ كشفه عما عليه من القميص لا من المترز وهو الظاهر من أحواله (ص).

والحديث فيه فضيلة ظاهرة لعثمان وجلالته عند الملائكة^{٣٣}.

هذا هو ما يعني الفقهاء من مثل هذه الروايات أن يسارعوا لاستنباط الأحكام الفقهية منها ثم يحتج بعضهم البعض على الآخر بما استنبطه منها .. ولا يعينهم أن هذه الرواية تعري الرسول وتنافي الذوق والأعراف والتقاليد وإنما يعينهم أن يشتقوا منها فضيلة لعثمان ..

إن أقل ما يمكن أن تشير إليه هذه الرواية هو علو عثمان على أبي بكر وعمر الذي لم يبدِ لهما الرسول أي احترام عند دخولهما عليه، وأبدى الاحترام كله لعثمان وهو ما لفت نظر عائشة .

وهذا العلو الذي جاء على حساب النبي (ص) جاء علي حساب أبي بكر وعمر أيضاً، وهو ما أوقع القوم في تناقض إذ أن عقيدة الفقهاء تنص على تقديم أبي بكر وعمر على عثمان ..

وعن رواية الحبر قال الفقهاء : قوله - أي الراوي - جاء حبر بفتح الحاء وكسرها والفتح أفصح وهو العالم، وإنما كان يستعمل حينئذ في علماء اليهود، وقوله إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة إلى قوله ثم يهزهن، هذا من أحاديث الصفات وفيها مذهبان: التأويل والامساك عنه مع الإيمان بها، مع اعتقاد أن الظاهر منها غير مراد، فعلى قول المتأولين يتأولون الأصابع هنا على الاقتدار أي خلقها مع عظمها بلا تعب ولا ملل^{٣٤}.

٣٣ - مسلم ، هامش كتاب الفضائل ، باب من فضائل عثمان.

٣٤ - مسلم ، هامش كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

لقد نسي الفقهاء هدف الرواية بل نسوا أن الحبر هو القائل والرسول هو المتلقي والمؤكد لقول الحبر، هذا إذا أخذنا الأمر على المحمل الحسن، وبالطبع فالقول بهذا التصور لا يجوز في حق النبي (ص) فالرواية على ما هو واضح من نصها تؤكد فكرة التجسيم وهو ما نبرئ الرسول منه .

وكان يجب على الفقهاء أن يشككوا في هذه الرواية لكونها جاءت على لسان أحد أحبار اليهود ولم تأت على لسان الرسول، وإن تصديقها يعني تصديق التوراة التي يتكلم هذا الحبر بلسانها . .

وهل يقبل أن يتحول الرسول المبعوث إلى متلقي من أحبار اليهود وفي مسألة تتعلق بصفات الله تعالى ؟

أليس هذا الموقف يعني تشكيكا في شخصه وفي رسالته . . ؟
والرواية الرابعة التي تتحدث عن أطفال المشركين وعدم جزم الرسول (ص) بالحكم في مستقبلهم الجنة أم النار ؟ بقوله " الله أعلم بما كانوا يعملون " .
يقول فيها الفقهاء : وحقيقة لفظه الله أعلم بما كانوا يعملون لو بلغوا أو لم يبلغوا إذ التكليف لا يكون إلا في البلوغ^{٣٥} ..

وقول الفقهاء هذا فيه تضليل وغفلة إذ أن الرواية تتحدث عن أطفال المشركين الذين يموتون صغارا قبل البلوغ لا الذين هم على قيد الحياة، وهم الذين لم يقطع فيهم الرسول بحكم حسب نص الرواية .
وموقف الرسول هذا يضعنا بين أمرين : إما أن نحكم بجهله وهذا لا يصح في حقه (ص) ..

وإما أن نحكم ببطلان الرواية ..

وهو ما يجب اختياره بلا شك إذ أنه لا يعقل أن يصدر مثل هذا الحكم من الرسول الذي يتابعه الوحي ..

أما رواية أكل الرسول (ص) مما ذبح على النصب فهي من سفه القوم وضلال عقولهم إذ يربطونها بمرحلة ما قبل البعثة أي مرحلة ما قبل العصمة، وإذا صح هذا التصور فعلى أي أساس اختير الرسول لتبليغ الرسالة وهناك من هو أكفأ وأعلم منه بالتوحيد والشرك وهو زيد بن عمرو بن نفيل ؟ ..

لقد أباح القوم لأنفسهم الخوض في شخص الرسول على أساس أنهم يخوضون في جانبه غير المعصوم، وعلى هذا الأساس قبلوا مثل هذه الروايات وباركوها وهم لا يشعرون أن هذا التقسيم غير المبرر لشخص الرسول يلحق أكبر الضرر به وبالرسالة التي جاء بها ..

والقوم يروون الرواية بصيغة أخرى تجمع بين الرسول (ص) وبين أبي سفيان على مائدة واحدة تحوي ما ذبح على النصب، ومر عليهما زيد بن عمرو فدعوا إلى الغداء، فقال يا ابن أخي إنني لا آكل مما ذبح على النصب، قال الراوي وهو أبو هريرة : فما رأي الرسول من يومه ذاك يأكل مما ذبح على النصب حتى بعث^{٣٦}.

كيف تستقيم مثل هذه الروايات مع كون أن الرسول لم يسجد لصنم وكان يتعبد في غار حراء قبل بعثته ..؟

هل مثل هذا الموقف يدل على علم ..؟

والرواية السادسة التي تتحدث عن الرسول وقد دخل الصلاة وهو جنب فهي من شر البلية وزيادة الطين بلة، وهو أمر ليس بالغريب على قوم ينسبون لرسولهم نسيان القرآن الذي جاء به..

إن جنابة الرسول في وقت الصلاة تعني أنه كان يواقع النساء وفرغ من موافقتهن ثم هرع إلى الصلاة دون أن يتطهر .

والرواية لم يخبرونا أي صلاة هذه التي وقع فيها هذا الحدث، وآي ما تكون فهي ليست بالوقت الملائم للجماع وفيها تعرية للرسول وفضح لحياته الخاصة، هذا على فرض التسليم بصحتها ، أما وأنها رواية لا تصح عقلاً ولا شرعاً، فالرسول نهاراً مشغول بالدعوة وأمور المسلمين وليلاً هو يتعبد، فمتى وقع هذا الحدث..؟

هذا كلام أصحاب العقول ..

أما الفقهاء فيقولون : ومما يستفاد من هذا الحديث جواز النسيان على الأنبياء (ص) في أمر العبادة والتشريع^{٣٧}.

وإذا كان الأنبياء ينسون أمر العبادة والتشريع فماذا يتذكرون إذن..؟ ويتمادى القوم في مهانة الرسول والطعن في شخصه الكريم بنسبة السب والشتم والجلد إليه (ص) وهو أمر يتنافى مع خلقه العظيم ويصوره كملك طاغ يستبد بالرعية ويجور عليها، غير أن الفارق بين الرسول وبين الملك هو أن الرسول يتراجع ويطلب الصفح داعياً الله أن يكون هذا التعدي على العباد من قبله زكاة وخيراً للمتعدى عليه عند الله سبحانه ..

يقول الفقهاء : هذه الروايات كلها مبينة ما كان عليه (ص) من الشفقة على أمته والاعتناء بمصالحهم والاحتياط لهم والرغبة في كل ما ينفعهم، وإنما يكون دعاؤه - أي الرسول - عليه رحمة وكفارة وزكاة ونحو ذلك إذا لم يكن أهلاً للدعاء عليه والسب واللعن ونحوه وكان مسلماً، وإلا فقد دعا (ص) على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك لهم رحمة^{٣٨} ..

لقد اعتبر الفقهاء السب واللعن والجلد مصلحة وعناية بالأمة وكفارة ورحمة لها من قبل الرسول .

وهم لم يطرحوا على أنفسهم سؤالاً : هل يجوز للرسول أن يسب ويلعن ويجلد وهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وهو صاحب الخلق العظيم، وهو صاحب العفو والتسامح، وسيرته اللين والرفق؟..

مثل هذا السؤال لا يوجه إلى قوم يعتبرون مثل هذه الروايات سنداً في تبرير مواقف الحكام وظلمهم للرعية، وقد جعلوا من دعوة الرسول إلى معاوية منقبة له وبركة حين قال فيه : " لا أشيع الله له بطنا " ..

لنترك روايات القوم تدينهم وتثبت تناقضهم ..

يروى عن الرسول (ص) قوله : " إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة " ^{٣٩} .

ويروى عنه (ص) : " لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا " ^{٤٠} ..

ويروى عنه (ص) " لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة " ^{٤١} .

ويروى عنه (ص) : " من يحرم الرفق يحرم الخير " ^{٤٢} .

ويروى عنه (ص) : " النهي عن لعن الدواب " ^{٤٣} .

٣٨ - مسلم ، هامش باب من لعنه النبي أو سبه أو دعا عليه ، كتاب البر والصلة.

٣٩ - مسلم، كتاب البر والصلة.

٤٠ - المرجع السابق.

٤١ - المرجع السابق.

٤٢ - المرجع السابق.

ويروى : "لم يكن النبي (ص) فاحشاً ولا متفحشاً" ^{٤٤}.

ومثل هذه الروايات إنما تنسف الروايات السابقة، ومن جهة أخرى هي تنسجم مع نصوص القرآن وخلق الرسول . .
وعن روايات النخل يقول الفقهاء : قوله (ص) "إنما أنا بشر" هذا كله اعتذار لمن ضعف عقله خوف أن يزل الشيطان فيكذب النبي، وإلا فلم يقع منه ما يحتاج إلى عذر غاية ما جرى أنها مصلحة دنيوية لقوم خاصين من يعرفها لمن يباشرها .

وقال القاضي : "قوله (ص) " وإذا أمرتكم بشئ من رأيي " يعني برأيه في أمر الدنيا لا برأيه في أمر الشرع على القول إن له أن يحكم باجتهاده، فإن رأيه في ذلك يجب العمل به لأنه من الشرع، ولفظ الرأي إنما أتى به عكرمة - الراوي - على المعنى لا أنه لفظ (ص) ^{٤٥}.

ومثل هذا التبرير من قبل الفقهاء أخرج الرسول زيادة على الحرج الذي وضعته فيه الرواية، فهو تبرير يقوم على أساس الجانب غير المعصوم من شخصية الرسول حسبما يعتقدون، فمن ثم فإن نقل هذا الموقف من الرسول لا حرج فيه من وجهة نظرهم للرسول أو للرسالة . .

إلا أن بالتأمل في روايات تأبير النخل يتبين أن الأمر يختلف عن ذلك تماماً وأن تبريرات الفقهاء لا تخرج عن كونها محاولة لتسطيح الأمر والتمويه على حقيقته، ففي ظل فكرة بشرية الرسول (ص) تم تمرير الكثير من المواقف والممارسات التي تتعلق بالنساء وبالصحابة وبالاجتهد على أنها مواقف وممارسات مقبولة لكونها تتعلق ببشرية الرسول لا بنبوته، وقد فات الفقهاء أن

٤٣ - المرجع السابق.

٤٤ - البخاري كتاب الأدب.

٤٥ - مسلم ، هامش كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً.

هذا التقسيم لشخص الرسول من شأنه أن ينعكس على الأحكام والرسالة بشكل عام لا على شخص الرسول فقط ..

وفيما يتعلق بروايات تأبير النخل فإن الشك يحيط بها لما يلي :

أولاً : إنها تشير إلى جهل الرسول بمسألة تلقيح النخل وهذا أمر غير مقبول عقلاً، لأن الرسول من بيئة عربية تعيش على التمر واللبن ولا يعقل أن يكون فيها من لا يفقه في أمر النخل ..

ثانياً : إننا إذا ما سلمنا بصحة الرواية ففضلاً عن كونها تتهم الرسول بالجهل في أمر دنيوي بَيْن، فهي تتهمه أيضاً بالتطفل والتدخل فيما لا يعنيه وهو ما لا يجوز في حق نبي ..

ثالثاً : إن مثل هذا الموقف من النبي - على فرض التسليم بالرواية - من شأنه أن يفتح باب الشك في شخصه ودعوته، وهذا ما دفع بالفقهاء إلى ربط هذا الموقف ببشرية الرسول كمحاولة منهم لتبرير الموقف وقطع دابر الشك في الرسول ..

رابعاً : إن هذا الموقف من الرسول يصطدم بقوله تعالى { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } وما دمنا نقف في صف النص القرآني فإن هذا يدعونا للحكم ببطلان الرواية ..

وحول رواية عائشة لدنا رسول الله قال الفقهاء : اللدود هو الدواء الذي يصب في أحد جانبي فم المريض ويسقاه أو يدخل هناك بإصبع أو غيره ويحنك به، وقوله : لا يبقى أحد منكم إلا لدّ، أي تأديباً لئلا يعودوا وتأديب الذين لم يباشروا ذلك لكونهم لم ينهوا الذين فعلوا بعد نهيه (ص) أن يلدوه ..

وقال آخرون : النفي هنا بمعنى النهي إنما أمر النبي (ص) أن يلد من في البيت عقوبة لهم لأنهم لدوه بغير إذنه بل بعد نهيه عن ذلك بالإشارة، وفيه دلالة

٣٠٠ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

على أن إشارة العاجز كتصريحه وعلى أن المتعدي يفعل به ما هو من جنس الفعل الذي تعدى به إلا أن يكون فعلاً محرماً^{٤٦} ..

وكما عودنا الفقهاء دائماً أنهم لا يأتون بجديد فجميع أقوالهم تدور في محيط التأويل والتبرير المنافي للعقل والمصادم للنص، وليس له من هدف سوى تبرير الوضع السائد وإبقاء الأمة في دائرة عبادة الرجال ..

ورواية عائشة هذه تتحدث عن فترة مرض الرسول الذي توفي فيه ذلك المرض الذي نتج عن المحاولة اليهودية لقتله بالسم كما ذكرت الروايات .. ومتابعة روايات مرض الرسول يكشف لنا أنه تعذب كثيراً (ص) قبل موته حتى ضاق بنفسه وبمن حوله ..

وهو هنا في هذه الرواية كره المرض والدواء وأشار برفضه، ولما أعطوه الدواء رغما عنه غضب وقرر الانتقام من الجميع بسقيهم من نفس الكاس الذي تجرعه ..

فهل هذا كلام يجوز في حق الرسول ؟
وهل من خلق الرسول (ص) الانتقام، وممن من أهل بيته ..؟
وما هو مبرر هذا الانتقام، ألا أنهم يحرصون على صحته ؟
إن العقل يأبى أن يعذب الله رسوله هذا العذاب قبل موته بينما الكفار يموتون مorte هادئة ناعمة ..

وإذا كان الرسول هذا حاله قبل قبضه، فكيف يكون حال أفراد أمته حين يأتيهم الموت .. ؟

ولما كنا لم نسمع عن أحد من الصحابة تعذب عذاب الرسول قبل موته فدل هذا على أن روايات مرض الرسول وتعذيبه لا أصل لها، والهدف منها هو

ضرب شخص الرسول وامتهانه وتصويره وكأنه يعذب بذنوبه وجرائمه، مما يبرر للحكام من بعده استغلال مثل هذه الصورة لتبرير جرائمهم وانحرافاتهم^{٤٧}.
وتأتي بعد ذلك رواية نسيان الرسول (ص) للقرآن لتضرب القوم في مقتل إذ أنهم طالما يبررون مثل هذه الأفعال ويحملونها على بشرية الرسول، فعلى أي جانب يحمل نسيان الرسول للقرآن على جانبه البشري أم جانبه النبوي؟
فإذا حملوه على الجانب البشري فيكون بهذا القرآن من أمور الدنيا التي يجتهد فيها الرسول ويخطأ ويصيب حسب اعتقادهم أن الرسول مجتهد ، وتلك مصيبة ..

وإذا حملوه على جانبه النبوي المعصوم فقد وقعوا في تناقض إذ كيف للمعصوم أن ينسى القرآن، وهنا تكون المصيبة أعظم ..
وإذا كان الرسول ينسى القرآن الذي أنزل إليه وأمر بتبلغه وتبيينه للناس فأى شيء يمكنه تذكره بعد .. ؟

والعجيب أن القوم يتداولون من الروايات ما يناقض نسبة النسيان للرسول ..
يروى عن الرسول قوله : "بئسما للرجل أن يقول نسيت سورة كيت وكيت أو نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي"^{٤٨}.

٤٧ - يروي القوم الكثير من الروايات عن مرض الرسول (ص) وموته منها : قالت عائشة : إن النبي (ص) كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وامسح عنه بيده ، وتروي عائشة عن الرسول قوله في مرضه " : اللهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلى " ..

وتروي قول الرسول : "أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك" ، (مسلم كتاب السلام) ، ولم نخبرنا الروايات أن الله استجاب لدعاء رسوله، بل تركه يتعذب حتى مات.
٤٨ - مسلم . كتاب صلاة المسافرين، باب فضائل القرآن.

وفي رواية أخرى : "استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم بعقلها" ^{٤٩} ..

ويروى عنه : "إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المتعلقة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقتها ذهبت" ^{٥٠} ..

ولقد حسم القرآن المسألة بقوله تعالى { سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنسَى } فلم يعد هناك مجال لنسبة النسيان للرسول في القرآن لكون الرسول والقرآن في رعاية الله وحفظه وهو مضمون العصمة..

وفيما يتعلق ببول الرسول (ص) قائماً فقد حشد القوم عشرات التبريرات لهذا السلوك الذي يتنافى مع أدب النبوة، فالبعض استمد منه حكماً بجواز البول واقفاً والبعض الآخر برره بوجع أصاب الرسول وحال دون جلوسه.. والبعض قال : إنه لم يجد مكاناً للجلوس، وآخرون باركوا هذا السلوك واعتبروه أحسن للفرج..

وأى ما تكون هذه التبريرات فإنها تؤكد جميعها أن القوم كارهون لهذا السلوك ويحاولون التماس العذر للرسول فيه ^{٥١} .

ويكفي لدحض هذه الرواية قول عائشة : من حدثك أن رسول الله (ص) بال قائماً فلا تصدقه ^{٥٢} .

٤٩ - المرجع السابق.

٥٠ - المرجع السابق.

٥١ - أنظر فتح الباري ج ١ / ٢٦٣. والنووي شرح مسلم ج ٣ / ١٦٥ ، والسيوطي شرح النسائي ج ١

وإرشاد الساري ج ١ / ٢٩٣ و ج ٤ / ٢٦٥

٥٢ - سنن ابن ماجه ج ١ / ١١٢

وتبدو لنا قمة الاستخفاف بالعقل ومصادمة النصوص القرآنية في رواية سحر النبي (ص) وسيطرة السحر على سلوكه وعقله ..

يقول الفقهاء : قولها - أي عائشة - سحر رسول الله (ص)، فذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة ، وقد ذكره الله تعالى في كتابه الحكيم فلا يلتفت إلى قول من أنكره، وقولها يخيل إليه أنه يفعل الشيء أي كان يتخيل إليه أنه وطأ زوجاته وليس بواطئ، وهذا التخيل بالبصر لا لخلل طرق إلى العقل والقلب، بل السحر تسلط على جسده الشريف وظواهر جوارحه اللطيفة وهذا ما يدخل لبسا على الرسالة^١.

الرسالة^١.

وليتأمل القارئ كيف جاري الفقهاء الرواية دون أن يعملوا عقولهم فيها، وأولوها على أنها ترتبط بالجانب غير المعصوم من شخص النبي (ص) حسبما يعتقدون، وهم لن يتحرروا من هذا الاعتقاد الباطل الذي لبس عليهم دينهم طالما ظلوا يدورون في فلك الرجال، تائهين بين الروايات المختلفة غارقين في كم من المتناقضات التي توجب النفرة منهم.

وهم هنا يؤكدون أن السحر تسلط على جسده الشريف وليس على عقله وقلبه فكيف يكون هذا..؟

أليس العقل والقلب جزء من الجسد ..؟

وإذا كان السحر قد جعل الرسول يتخيل فعل الشيء ولا يفعله ألا يعني هذا أنه سيطر على العقل والقلب ..؟

١ - مسلم ، هامش باب السحر، كتاب السلام.

وما دام السحرة قد استطاعوا أن يسحروا الرسول إلى هذه الدرجة أفلا يستطيعون أن ينطقوا على لسانه ما يريدون لإثارة البلبلة والتشكيك في الوحي؟..
ثم كيف يترك الرسول نهياً للسحر والسحرة وهو يدعو ويتحرك في ظل العناية الإلهية وتوجيه الوحي؟..

هل غابت عنه العناية الإلهية وفقد عصمته فانتهاز السحرة الفرصة وسحروه؟..
إننا في مواجهة هذه الرواية المنكرة يكفيننا القول إن القوم هم المسحورون..
الذين غفلوا عن قوله تعالى: { وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنْ النَّاسِ }^١.

وما يمكن قوله حول حادثة تعري الرسول (ص) قبل البعثة وأثناء إعادة بناء الكعبة بعد أن هدمها السيل هو أن هذه الرواية من ركش القوم، وإن كانوا يبررونها بأنها خاصة بمرحلة ما قبل البعثة حيث لم يدخل الرسول - حسب عقيدتهم - في دائرة العصمة، إلا أن مسألة ستر العورة من سنن الفطرة يلتزم بها عامة الناس فكيف بالرسول؟..

ومثل هذه الرواية إنما تصم الرسول بالجهل والسفاهة حيث لم يعتن بلباسه ودخل في عمل شاق دون أن يحتاط لنفسه فكانت النتيجة إن سقط عنه لباسه وكشفت عورته ..

ومن عجائب القوم أنهم يروون رواية أخرى على لسان الرسول (ص) تناقض هذه الرواية ، تقول الرواية : قال المسور بن مخرمة أقبلت بحجر أحمله ثقيل وعلي إزار خفيف فأنحل إزاري ومعني الحجر لم أستطع أن أضعه حتى بلغت به إلى موضعه . فقال رسول الله : " إرجع إلى ربك فخذ و تمشوا عرا " ^٢..

١ - سورة المائدة آية رقم 67 وانظر رأي الشيخ محمد عبده في تفسير المنار جزء عم.

٢ - مسلم، كتاب الطهارة، باب الاعتناء بحفظ العورة، وهو نفس الباب الذي يحوي الرواية السابقة.

وعن رواية الخصومة والقضاء يقول الفقهاء : ومعناه أنه خطاب للمقتضي له أنه أعلم من نفسه هل هو محق أو مبطل، فإن كان محققاً فليأخذ وإن كان مبطلاً فليترك، وفيه من الفوائد إثم من خاصم في باطل حتى استحق به في الظاهر شيئاً هو في الباطن حرام عليه، وفيه أن من احتال لأمر باطل بوجه من وجوه الحيل حتى يصير حقاً في الظاهر ويحكم له به أنه لا يحل له تناوله في الباطن، ولا يرتفع عنه الإثم بالحكم، وفيه أن المجتهد قد يخطأ فيرد به على من زعم أن كل مجتهد مصيب، وفيه أن المجتهد إذا أخطأ لا يلحقه إثم بل يؤجر^١.

ومثل هذا الكلام إنما ينطبق على القضاء والحكام لا على الرسول المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، فهؤلاء القضاء والحكام هم الذين يمكن أن يخدعوا بالحيل وبقوة الحجة لا رسول الله، فهل فات الفقهاء الفرق بين الرسول وبين القضاء والحكام ؟ ..

إلا أن الاستناد إلى قوله تعالى: { نَأْتِيْعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْنَا } [الأنعام :

[٥٠

وقوله: { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ }.

وقوله: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

{ [النساء : ١٠٥] ..

هذه النصوص القرآنية الصريحة كافية وحدها لإبطال تلك الرواية مؤكدة أن الرسول دائماً في حراسة الوحي ولا يملك أن يصدر حكماً غير صائب في غيبته ..

أما رواية الشاة المسمومة فهي امتداد للرواية التي سبقتها عن الخصومة، فكلاهما تؤكدان أن الرسول وقع في شرك أعداء الدين وخصوم الدعوة، أو حتى أصحاب الحيل في غيبة الوحي . .

فهذه اليهودية قدمت الشاة المسمومة للرسول فأكل منها هكذا ببساطة مما دفع بآخرين إلى الأكل منها ففضى عليهم، بينما أصيب الرسول بتسمم استمرت آثاره تتضاعف في جسده حتى مات . .

وفي رواية أخرى حول هذه الحادثة : فجئ بها - أي باليهودية - إلى رسول الله (ص) فسألها عن ذلك، فقالت : أردت لأقتلك، قال : " ما كان الله ليسلطك على ذاك " ^١.

قال الفقهاء : قوله (ص) " ما كان الله ليسلطك على هذا " لقوله تعالى { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } ويعارضه قوله في رواية أخرى (الآن قطعت أبهري) فإنه يقتضي أنه مات بذلك، ولذلك قال العلماء أن الله تعالى قد جمع بذلك بين كرم النبوة وفضل الشهادة، ويجاب بأن معنى ما كان الله ليسلطك على قتلي الآن..

وقال القاضي عياض : واختلف الآثار والعلماء هل قتلها النبي (ص) أم لا؟ فوقع في صحيح أنه قال لا ، ووقع أنه قتلها، وفي رواية دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور وكان أكل من الشاة المسمومة فمات بها فقتلوا، ووجه الجمع بين هذه الروايات أنه لم يقتلها أولاً حين اطلع على سمها فلما مات بشر سلمها لأولياءه فقتلوا قصاصاً ^٢.

إن الفقهاء يعترفون أن الشاة المسمومة أكل منها الرسول وفعلت به ما فعلت، وقد اختار الله له ذلك ليدخله في زمرة الشهداء كما أدخله في زمرة الأنبياء .

١ - مسلم، باب السم، كتاب السلام.

٢ - مسلم هامش باب السم.

فهل الرسول الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في حاجة إلى أن يحشر في زمرة الشهداء . . ؟

وهل مرتبة النبوة أعلى أم مرتبة الشهادة..؟

فإذا كانت الإجابة هي مرتبة النبوة، فما الحاجة إذن إلى مرتبة الشهادة..؟
وإذا كان الله سبحانه يريد أن يميت رسوله شهيداً حسبما أفتى الفقهاء،
أليس من الأفضل أن يميت في ميدان القتال لتكون لشهادته أثراً في الأمة لا أن
يميت بسبب شهوة البطن . . ؟

ثم هل كانت هناك علاقة ثقة وود بين الرسول واليهود حتى يقبل منهم
طعاماً..؟

والفقهاء من واقع النص السابق في حيرة بين النص القرآني وبين الرواية،
فهم قد رجحوا أن اليهودية لن تنال من الرسول بشأنها المسمومة، وأن الله لن
يسلطها على رسوله كما جاء على لسان الرسول نفسه وذلك لقوله تعالى: { وَاللَّهُ
يَعِصْمُكَ مِنَ النَّاسِ } وهذا هو المطلوب عقلاً وشرعاً، إلا أنهم سرعان ما
تراجعوا عن الاستناد على النص القرآني ومالوا إلى الرواية التي تقول: الآن
قطعت أبهري، وعارضوا بها النص القرآني..

ومعنى هذا الكلام الخطير هو رد النص القرآني من أجل رواية، وبدلاً من
أن يحكموا بعصمة الرسول وبطلان الرواية حكموا بصحتها على حساب القرآن
والرسول . .

أما رواية تعذيب الميت ببكاء أهله التي رواها عمر، ورواها عنه ولده عبد
الله فهي رواية تناقضها روايات أخرى كثيرة يتداولها القوم . .
يروى أن عائشة قالت: والله ما حدث رسول الله (ص) إن الله ليعذب المؤمن
ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله قال: "إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله
عليه".

وقالت : حسبكم القرآن { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى }^١.
ويروى أن الرسول (ص) بكى لصبي مات . فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله؟

قال : " هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء "^٢.

ويروى أن رسول الله (ص) زار سعد بن عباد في مرضه وبكى، فلما رأى القوم بكاء الرسول بكوا، فقال : " ألا تسمعون ، إن الله لا يعذب بدمع العين ولا يحزن القلب ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم "^٣.
قال الفقهاء تعليقا على سكوت ابن عمر عن نفي عائشة لروايتهما : سكوته لا يدل على الازعان فلعلة كره المجادلة..

وقال القرطبي : ليس سكوته لشك طراً بعد ما طرح برفع الحديث، ولكن احتمل عنده أن يكون الحديث قابلاً للتأويل ولم يتعين له محمل يحمله عليه إذ ذاك، أو كان المجلس لا يقبل الممارسة ولم تتعين الحاجة حينئذ..
وقال الخطابي : الرواية إذا ثبتت لم يكن في دفعها سبيل بالظن وقد رواه عمر وابنه، وليس فيما حكى عائشة ما يرفع روايتهما لجواز أن يكون الخبران صحيحين معاً ولا منافاة بينهما، فالميت إنما تلزمه العقوبة بما تقدم من وصيته

١ - مسلم والبخاري كتاب الجنائز.

٢ - مسلم، باب البكاء على الميت ، كتاب الجنائز.

٣ - المرجع السابق.

إليهم به وقت حياته وكان ذلك مشهوراً من مذاهبهم، وعلى ذلك حمل الجمهور قوله: "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه".^١

ويظهر لنا من هذا الكلام أن الفقهاء لم يقتنعوا بنفي عائشة للرواية، كما لم يقتنعوا بالروايات الأخرى التي تؤكد هذا النفي، والسبب واضح وهو أن القوم عز عليهم كثيراً أن ينفوا رواية لعمر وولده، إذ أن هذا يعني إتهامهما بالجهل وسوء التلقي من الرسول (ص) وهذا لا يصح في عقيدتهم التي تقوم على عبادة الرجال، فسوف ينبني على مثل هذا الموقف التشكيك فيهما، وفي رواياتهما التي يعتمد عليها القوم، بالإضافة إلى روايات عائشة وأبي هريرة، فمن ثم هم اتخذوا موقفاً وسطاً وإن كان جاء على حساب رواية عائشة . .

وقد عمد القوم فوق هذا كله إلى نسبة الفقر إلى الرسول (ص) وتصويره بمظهر المتسول الباحث عن شيء يأكله فلا يجد، فيضطر إلى الاستدانة من أراذل الناس حتى أدى به الحال إلى رهن درعه عند يهودي، ومات ودرعه مرهونة، ويبدو أن حالة الفقر والجوع هذه كانت الدافع الأكبر لقبول الرسول شاة اليهودية المسمومة التي أودت بحياته وحياة غيره . .

يروى : كان لرجل على رسول الله (ص) دين ، فهم به أصحابه . فقال : "دعوه فإن لصاحب الحق مقالا" ، وقال " اشترؤا له سنا فأعطوها إياه " .^٢

ويروى : أن رسول الله كان يقول " اللهم أحيني فقيراً وأمتني فقيراً واحشرنني في زمرة الفقراء " . .^٣

١ - هامش اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان لمحمد فؤاد عبد الباقي ج ١ / ١٨٦ كتاب الجنائز .

٢ - البخاري كتاب الهبة، وهذه الرواية تشير إلى أن صاحب الدين أساء الأدب في الرسول مما دفع بالصحابه إلى التصدي له، والسؤال هنا: هل يعقل أن يضع الرسول نفسه في موضع الشك والالتهام؟ ثم إن الرسول تخلص من الموقف في النهاية بواسطة الصحابة الذين أمرهم أن يشتروا له سنا.

٣ - تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ج ١ / ١٦٧

ويروى أن رسول الله مات ودرعه مرهونة عند يهودي^١.
إن هذه الروايات وغيرها إنما الهدف منها هو تبرير حالة الفقر التي سادت
واقع المسلمين بفعل سياسة الحكام الذين نهبوا ثروات الأمة ..
هذه الروايات لا تخرج عن كونها وسيلة لتخدير المسلمين وقتل روح
الثورة والتغيير في نفوسهم ..

وما يرد هذه الروايات ليس كونها من صنع السياسة وتصطدم بفطر الناس
التي تأبى الفقر وتكرهه فقط، وإنما تردها النصوص والشواهد التاريخية التي
تؤكد أن الرسول لم يعيش فقيراً ولم يمت فقيراً، وإن ذلك التصور فيه زيغ
وضلال، لكونه ينسب الظلم إلى الله سبحانه الذي اختار رسوله للرسالة وفرغه
لهذا الدور ثم تركه يتضور جوعاً ..

ألا يعني مثل هذا التصور تشكيكا في الرسالة وصاحبها..؟
ألا يفتح هذا الأمر الباب لرشوة الرسول أو دعمه من آية جهة لتحقيق
مآرب وأهداف ما..؟

إن الله سبحانه عندما اختار رسوله للدعوة قد أوجد له بدائل مادية تعينه على
مواجهة أعباء الحياة، تلك البدائل التي تتركز في حكم الخمس الذي أحله الله له
من الغنائم، وهو ما كان يعيش الرسول منه ويتصدق على الفقراء والمساكين
وينفق على زوجاته ..

فلا يعقل أن يكون الرسول بهذه الحال التي تصورها الروايات ويتزوج تسع

نسوة ..

١ - أنظر كتب السيرة، والبخاري كتاب البيوع، ومسلم كتاب المساقاة.

ومن المعروف أن الرسول قد ترك ميراثاً عند وفاته تمثل في إقطاعية فداك وهي التي صااارها أبو بكر فور توليه الحكم، واصطاااا به السيدة فاطمة (ع) بسببها وماتت وهي غاضبة عليه..^١

* * *

١ - انظر حاوااا عام ١١ هـ من تاريخ ابن كااا ، وانظر البخاري كتاب الخماا ، باب فرض الخماا ، ومسلم كتاب الجهاا حااا رقم ٥٤ ، وشرح ابن حجا للحااا في فاا البخاري شرح البخاري ، وشرح النواي على مسلم..



الرسول الظالم

الرسول يبشر بالظلم ويدعو لقبوله
والرضا به..



جاء الإسلام ليبشر بالعدل والإحسان والمساواة بين الناس وتحقيق التكافل الاجتماعي والنهوض بالأمة وحرية الرأي والاعتقاد وكثير من القضايا التي سبقت عصره والتي ميزته عن سائر الأديان التي سبقته . .
جاء الإسلام رحمة للعالمين وكان الرسول رحمة مهداة . .
هذه هي الصورة الربانية لدين الله كما تبرزها نصوص القرآن . .
لكن الصورة الأخرى التي جاءت بها الروايات إنما تناقض هذه الصورة وتضطدم بها ، فقد بشرت الروايات بالظلم والقهر وسيادة الطغاة على واقع الأمة، وأوجبت على المسلمين التعايش مع هذا الوضع والرضا به . .
وبشرت الروايات بظلم الله سبحانه للعباد، وإن صنعوا الخير وساروا على الصراط المستقيم، فمصيرهم إلى النار حتى الرسول نفسه مهدد بدخولها . .

ظلم العباد

يروى عن النبي (ص) أنه قال : " كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انساناً ثم خرج يسأل، فأتى راهباً فسأله، فقال له : هل من توبة ؟ . قال : لا . فقتله، فجعل يسأل . فقال له رجل : ائت قرية كذا وكذا ، فأدركه الموت، فناء ب صدره نحوها ، فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدتي، وقال : قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب يبشر، فغفر له " ١.

قال الفقهاء : قوله (ص) " رجل قتل تسعة وتسعين " قال النووي أفتاه عالم بأن له توبة هذا مذهب أهل العلم وإجماعهم على صحة توبة القاتل عمداً ولم يخالف أحدا منهم إلا ابن عباس، وأما ما نقل عن بعض السلف من خلاف هذا فمراد قائله الزجر عن سبب التوبة لا أنه يعتقد بطلان توبته^٢.

إن قضية القتل وإراقة الدماء في تاريخ المسلمين كان لها ما يبررها على الدوام من عشرات النصوص المنسوبة للرسول (ص) والتي كانت سند القوى الحاكمة وأداتها في تصفية الخصوم، ولم يكن للفقهاء من دور سوى تأويل هذه النصوص وتبرير جرائم الحكام التي ترتكب باسمها ..

وهذه الرواية التي بين أيدينا واحدة من عشرات الروايات التي تتعلق بالدماء والتي شوهت صورة الإسلام وأبرزته كدين يستهين بالدماء ويعشق هدرها، وهي رواية بمثابة صك من صكوك الغفران، لقاتل اتخذ القتل حرفة له فلم ينل عقوبته في الدنيا ولا في الآخرة ..

ومثل هذه الرواية تفتح الباب أمام المجرمين وعشاق الدماء كي يتمادوا في جرائمهم دون أن تشوب نفوسهم آية نزعة من نوازع الخشية، بل تتقوى بالاتكال على التوبة ..

وإذا كان قاتل المائة قد غفر له . فكيف الحال بقاتل الخمسة أو العشرة؟..
لا شك أنه سوف ينال جائزة ..

إن منطق العقل يقول إن أحدا لا يمكن أن يقتل هذا العدد من الناس الذي ذكرته الرواية دون أن يكون له نفوذ أو سلطان، مما يدعونا إلى القول إن هذه الرواية ومثيلاتها إنما هي من صنع السياسة لتبشر الحكام بالغفران والثواب على ما ارتكبوه من جرائم في حق الرعية ..

٢ - مسلم ، هامش باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، كتاب التوبة.

ويروى عن الرسول قوله : " لن ينجي أحداً منكم عمله " .
قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟
قال : " ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته " ^٣ .
وفي رواية : " إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة " ^٤ .
قال الفقهاء : في ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد
الثواب والجنة بطاعته .

وأما قوله تعالى { ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [النحل: ٣٢] .
و { وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الزخرف: ٧٢] .
ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا يعارض
هذه الأحاديث، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب، ثم التوفيق للأعمال
والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله وفضله، وقيل إن الآية تدل على سببية
العمل والمنفي في الحديث عليته وإيجابه فلا منافاة بينهما .
وقال النووي : وقوله (ص) : " إلا أن يتغمدني " معناه يلبسنيها ويغمدني بها
ومنه أغمدت السيف وغمدته إذا جعلته في غمده وسترته .
وقال العيني : قيل كيف الجمع بينه وبين قوله تعالى : { وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي
أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } .
وأجاب ابن بطال أن الآية تحمل على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال،
وأن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال ويحمل الحديث على دخول
الجنة والخلود فيها..
وقوله تعالى : { سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } .

٣ - مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، والبخاري كتاب الرقاق .

٤ - مسلم، المرجع السابق .

إنه لفظ مجمل بينه الحديث والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون^٥ ..

ويبدو من كلام الفقهاء أنهم في مواجهة النصوص القرآنية الصريحة بوجوب العمل لاستحقاق دخول الجنة وقعوا في حيرة بين هذه النصوص وبين الروايات، إلا أنهم في النهاية عملوا على إخضاع النصوص القرآنية للروايات أو محاولة التوفيق بينهما لتحقيق الديمومة والاستمرار لعقيدتهم التي تقوم على الروايات..

ومحاولة التوفيق لا تقل شناعة عن عملية الإخضاع إذ أنها تساوي نصوص القرآن بهذه الروايات وهي صورة من ضلال القوم ..

لقد أوغل الفقهاء في عملية التوفيق وأهملوا جوهر الرواية الذي ينسب الظلم إلى الله سبحانه على لسان الرسول، وذلك بالتشكيك في أهمية العمل الصالح ودوره في نجاة المسلم ودخوله الجنة، بل التشكيك في عمل الرسول نفسه، وبالتالي التشكيك في نجاته ودخوله الجنة هو أيضاً ..

وما ذنب المسلم الذي يعمل الصالحات ويلتزم بالصراط المستقيم ثم يفاجأ يوم القيامة بعدم شموله للرحمة ودخوله النار ؟

أين العدل الإلهي إذن .. ؟

وأين هذا من قوله تعالى { وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ } {

إن فكرة الظلم الإلهي التي تبثها الرواية تتضح من خلال شمولها للرسول الذي هو بنصوص القرآن خارج دائرة الحساب والعقاب، وإن شمول هذه الرواية للرسول هو البرهان الساطع والدليل القاطع على بطلانها .

٥ - مسلم هامش باب لن يدخل الجنة أحد بعمله ، كتاب صفة القيامة .

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٣١٩

وكيف يوضع الرسول (ص) في هذا الموضع الذي يعني التشكيك في هذه النصوص القرآنية، ويعني التشكيك في وعد الله له بالمقام المحمود...؟
والعجيب أن القوم يؤمنون بشفاعته الرسول يوم القيامة، فكيف يستقيم هذا الاعتقاد مع هذه الروايات..؟

ويروى عن الرسول (ص) قوله: "إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق. والنفس تمنى وتستهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه".^٦

قال النووي: معنى الحديث أن ابن آدم قدر عليه نصيب من الزنا، فمنهم من يكون زناه حقيقياً بإدخال الفرج في الفرج الحرام، ومنهم من يكون زناه مجازاً، بالنظر الحرام أو الاستماع إلى الزنا وما يتعلق بتحصيله، أو بالمس باليد بأن يمس أجنبية بيده أو يقبلها أو بالمشي بالرجل إلى الزنا، أو النظر أو اللمس أو الحديث الحرام مع أجنبية ونحو ذلك، أو بالكفر بالقلب فكل هذه أنواع من الزنا المجازي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه معناه أنه قد يحقق الزنا بالفرج وقد لا يحققه بأن لا يولج الفرج في الفرج وإن قارب ذلك.^٧

وكلام النووي هذا يؤكد فكرة الجبرية أي أن الإنسان مسير لا مخير في فعل الشر، وقد قاله سيراً مع نص الرواية التي يشير ظاهرها إلى ذلك أيضاً...
ونص الرواية وكلام النووي كلاهما ينسبان الظلم إلى الله سبحانه، إذ كيف يكتب الزنا على عباده ثم يعاقبهم على فعله...؟

ولما كان نسبة الظلم إلى الله تعالى أمر منافٍ للعقل فهذا يقودنا بالتالي إلى رفض هذه الرواية والحكم ببطلانها وهو الخيار الوحيد إمامنا.

٦ - مسلم كتاب القدر، والبخاري كتاب الاستئذان.

٧ - شرح النووي على مسلم كتاب القدر، وانظر هامش اللؤلؤ والمرجان ج ٣ / ٢١٢

ويروى عن الرسول (ص) قوله : " إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة"^٨.

وهذه الرواية يفيد ظاهرها الشك في جدوى العمل الصالح إذ أن من الممكن أن ينتهي بسوء العاقبة في الوقت الذي من الممكن فيه أن ينتهي العمل الفاسد بخير العاقبة، وهو ما يقود في النهاية إلى نفس النتيجة التي نحن بصدددها وهي نسبة الظلم إلى الله سبحانه الذي قدر للرجل الصالح أن يختم عمله بما يقوده إلى النار، وقدر للرجل الفاسد أن يختم عمله بما يقوده إلى الجنة، وهو تصور يتناقض مع عدل الله، ونتيجة هذا التصور هو الشك في جدوى العمل الصالح وفي عدل الله تعالى . .

وهل يعقل لمن يعمل العمل الصالح طوال حياته أن يأتي في آخرها فينقلب باختياره ليصبح من أهل النار..؟

ويروى عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : " قال رجل لم يعمل خيراً قط، إذا مات فحرقوه، واذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذاباً لا يعذبه أحدًا من العالمين، فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال : لم فعلت ؟ قال : من خشيتك وأنت أعلم . فغفر له"^٩. وفي رواية أخرى : " أوصى بنيه فقال : إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في الريح في البحر"^{١٠}.

قال الفقهاء : ذكر النووي أن العلماء اختلفوا في تأويل هذا الحديث، فقالت طائفة : لا يصح حمل هذا على أنه نفي قدرة الله فإن الشاك في قدرة الله تعالى كافر، وقد قال في آخر الحديث أنه إنما فعل هذا من خشية الله تعالى، والكافر

٨ - مسلم كتاب القدر.

٩ - مسلم كتاب التوبة ، والبخاري كتاب التوحيد.

١٠ - مسلم ، المرجع السابق.

لا يخشى الله تعالى ولا يغفر له، فيكون له تأويلان أحدهما أن معناه لئن قدر علي العذاب، أي قضاءه، يقال منه (قدر وقدر) بمعنى واحد .
والثاني أن (قدر) هذا بمعنى ضيق علي . قال تعالى : { فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ } وهو أحد الأقوال في قوله تعالى { فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ } وقالت طائفة : اللفظ علي ظاهره ولكن قاله الرجل وهو غير ضابط لكلامه ولا قاصد لحقيقة معناه ومعتقد لها . بل قاله في حالة غلب عليه فيها الدهش والخوف وشدة الجزع بحيث ذهب تيقظه، وتدبر ما يقوله فصار في معنى الغافل وهذه الحالة لا يؤاخذ فيها^{١١} ..

إن ظاهر هذه الرواية يفيد الكفر فصاحب الرواية الذي أسرف في حق نفسه وارتكب من الموبقات ما جعله ييأس من حصوله على مغفرة الله وعفوه، سعى للتحايل على الله سبحانه كمحاولة للهروب من العذاب الذي ينتظره في الآخرة، بأن أوصى بحرق جثمانه وذره في الهواء والبحر ظنا منه أن ذلك يخرج منه من محيط القدرة الإلهية..

وهذا الفعل في ذاته صورة من صور الكفر والضلال إذ يحوي استهانة بقدرة الخالق وإحاطته بالكون الذي هو من مخلوقاته، والفقهاء لم يعنهم هذا الأمر وإنما كان يعينهم تبرير موقف صاحب هذا الفعل المنكر وتبرئة ساحته، لا يعينهم أن تبرير مثل هذا الفعل يعني نسبة التسامح إلى الله سبحانه في قضايا الكفر، بينما يعاقب كفاراً آخرين لنفس الفعل أو نفس الاعتقاد، أي الشك في قدرة الله، وهو ما يقود في النهاية إلى نسبة الظلم إلى الله ..

وعلى ضوء تصور الفقهاء هذا يمكن تبرير أفعال الهندوس الذين يحرقون موتاهم ويذرون رمادهم في نهر الجانجا لنفس السبب..

١١ - هامش اللؤلؤ والمرجان ج ٣ / ٢٤١ كتاب التوبة، وانظر شرح النووي، وفتح الباري كتاب الرقاق.

ويروى عن الرسول (ص) قوله : " إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فكاكك من النار " ١٢ .
وفي رواية : " لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً " ١٣ .

ويروى عن الرسول (ص) قوله : " يجيئ يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى " .
قال الراوي : فيما أحسب أنا ، قال أبو روح لا أدري ممن الشك ١٤ .

وقد اعتبر الفقهاء هذا التصريح المنسوب للرسول بمثابة بشارة عظيمة للمسلمين أجمعين أوجبت على عمر بن عبد العزيز أن يستحلف الراوي ثلاث مرات أنه سمع هذه الرواية عن أبيه عن الرسول (ص) فحلف له ١٥ .

وقال النووي : قوله (ص) يجيئ يوم القيامة ناس معناه أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم ، فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين ولا بد من هذا التأويل لقوله تعالى : { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } ١٦ .

وهذا الكلام من قبل الفقهاء إنما يمثل قمة التعصب الديني ضد الآخرين ذلك التعصب الذي برر لهم استحلالهم في الحياة الدنيا على ضوء الروايات المنسوبة للرسول ، وبرر لهم استحلالهم في الآخرة أيضاً على ضوء هذه الروايات التي تفوح منها رائحة العنصرية والاستعلاء على الآخرين . .

١٢ - مسلم كتاب التوبة .

١٣ - المرجع السابق .

١٤ - المرجع السابق .

١٥ - مسلم ، كتاب التوبة هامش باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله .

١٦ - المرجع السابق .

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٣٢٣

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : كيف يستقيم مثل هذا التصور مع قوله تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ }.

والظاهر أن النووي شعر بالحرَج وعدم استقامة مثل هذه الروايات مع نصوص القرآن فقال إن الله يدخل اليهود والنصارى النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، وأنه لا سبيل إلا الالتزام بهذا التأويل مخافة التصادم مع قوله تعالى {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى }.

وشعر بهذا الحرَج من قبله عمر بن عبد العزيز فاضطر أن يستحلف الراوي ثلاث مرات..

حتى أن الراوي نفسه شكك في نص الرواية وهو ما يبدو من قوله فيما أحسب أنا، وقول الآخر لا أدري ممن الشك ..

ومثل هذا كثير في عالم الرواة والرواية وهو كاف وحده لأمثال الفقهاء أن يحكموا عقولهم فيما ينقلون، لا أن يسارعوا إلى التبرير واستنباط الأحكام من روايات قليل من التأمل فيها يكفي لدحضها ..

ولا أدري هل مثل هذه الروايات تقرب أصحاب الديانات الأخرى من الإسلام أم تباعدهم عنه .. ؟

إنها بلا شك تنفرهم منه وتقوي من نزعة العداء لديهم تجاهه، وبهذه المناسبة نحن نبشر المسلمين العصاة أن تقر أعينهم ويستريح بالهم فعدد اليهود والنصارى اليوم هو أكثر من المسلمين بكثير، وفكاكهم من النار يوم القيامة واقع لا محالة وبأكثر من فرد منهم ..

وعلى ضوء هذه الروايات وغيرها أجمع الفقهاء على نسبة الظلم إلى الله سبحانه وأن ذلك الأمر يدخل في نطاق مشيئته فإن شاء أدخل العصاة الجنة وأدخل الطائعين النار ..

يقول الأشعري : أجمع الفقهاء على أن الله كان قادراً على أن يخلق جميع الخلق في الجنة متفضلاً عليهم بذلك، لأنه تعالى غير محتاج إلى عبادتهم، وأنه

قادر أن يخلقهم كلهم في النار ويكون بذلك عادلاً عليهم لأن الخلق خلقه والأمر أمره { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ }^{١٧}.

ويقول ابن حنبل : والقدر خيره وشره وقليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحجوبه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله بقضاء قضاءه وقدر أقداره عليهم، لا يعدو واحد منهم مشيئة الله عز وجل لا يجاوز قضاءه بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له واقعون فيما قدر عليهم لأفعاله وهو عدل منه عز ربنا وجل، والزنا والسرقه وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك بالله والمعاصي، كلها بقضاء وقدر من غير أن يكون لأحد من الخلق على الله حجة بل لله الحجة البالغة على خلقه، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ومن زعم أن الله شاء لعباده الذين عصوا الخير والطاعة وأن العباد شأؤوا لأنفسهم الشر والمعصية فعملوا على مشيئتهم، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلظ من مشيئة الله تبارك وتعالى، فأبي افتراء أكثر على الله عز وجل من هذا.^{١٨}

ويقول ابن تيمية : والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم عبادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم.^{١٩}

ويذهب البخاري وسائر الفقهاء إلى أن أفعال العباد مخلوقة، وقد عقد ابن حجر فصلاً واسعاً للدفاع عن هذه الفكرة في شرحه للبخاري.^{٢٠}

وهذه النصوص كلها تشير إلى فكرة الجبرية التي تقوم عليها عقيدة أهل السنة والتي ليس لها إلا نتيجة واحدة وهي نسبة الظلم إلى الله سبحانه، تلك

١٧ - أصول أهل السنة والجماعة المسماة رسالة الثغر ، ط القاهرة.

١٨ - الرد على الجهمية والزنادقة ط السعودية.

١٩ - العقيدة الواسطية.

٢٠ - فتح الباري ج ١٣ / ٤٥٢ ، باب قول الله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) . كتاب التوحيد.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٣٢٥

الفكرة التي قامت على أساس روايات مشكوك فيها ثم تفسير النصوص القرآنية الخاصة بالمشيئة الإلهية والقضاء والقدر على ضوءها..

الرسول والحكام

وإن مما يلفت النظر في كتب السنن هو تلك الروايات المنسوبة للرسول (ص) المتعلقة بالحكام ، فهذه الروايات تبدو وكأنّ الذين نطقوا بها هم الحكام أنفسهم لا الرسول، فهي تدفع بالأمة نحو الحكام وتربط مصيرها بهم وتبارك مواقفهم وممارساتهم، وتوطن في أذهان المسلمين فكرة الحكم الإلهي الذي لا يجوز الطعن فيه أو المساس به بأي صورة من الصور ..

ولم يحدث أن اجتمع الفقهاء في تاريخهم على قضية مثلما اجتمعوا على قضية الحكام ووجوب طاعتهم وتجريم محاولات الخروج عليهم .. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هؤلاء الفقهاء ورواياتهم وفقههم قد تم تسييسه وإخضاعه ليكون في خدمة الوضع الذي ساد بعد وفاة النبي (ص) والذي ظل سائداً حتى اليوم ..

وأول هذه الروايات تلك التي تتعلق بقريش وحصر دائرة الحكم في محيطها ..

يروى عن النبي (ص) قوله : " لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان " ٢١ .

وفي رواية أخرى : " الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم " ٢٢ .

يقول الفقهاء : هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقريش وعلى هذا انعقد الاجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم، ومن خالف

٢١ - مسلم كتاب الإمارة ، والبخاري كتاب المناقب وكتاب الأحكام.

٢٢ - المرجعين السابقين.

في هذا فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين فمن دونهم بالأحاديث الصحيحة..

قال القاضي : اشتراط كونه قرشياً هو مذهب العلماء كافة، وقد احتج به أبو بكر وعمر على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد، ولم ينقل عن أحد من السلف قول أو فعل يخالف ما ذكرنا، وكذلك من بعدهم ولا اعتداد بقول النظام - المعتزلي - ومن وافقه من الخوارج أنه يجوز كونه من غير قریش^{٢٣}.

وقال ابن حجر : ذهب جمهور أهل العلم أن شرط الإمام أن يكون قرشياً^{٢٤}.
إن الوقائع التاريخية تؤكد أن هذه الروايات مختلفة ومن صنع السياسة وأن الفقهاء يكذبون، فالمسلمون على مر تاريخهم منذ توفي الرسول وحتى اليوم خضعوا لأصناف شتى من الحكام من قریش ومن غيرها وحتى من المماليك العبيد والأتراك ..

من هنا فنحن أمام هذا الشاهد بين أمرين :

إما أن نكذب الروايات وبالتالي نكذب الفقهاء ..

وإما أن نكذب التاريخ والوقائع ..

والأرجح بالطبع هو الأمر الأول ، فحتى على فرض التسليم بصحة هذه الروايات فإن الاجماع لم ينعقد على حاكم قرشي واحد في تاريخ المسلمين،

٢٣ - مسلم كتاب الإمارة ، هامش باب الناس تبع لقریش والخلافة في قریش .

٢٤ - فتح الباري ج ١٣ / ١٠١ ، كتاب الأحكام باب الأمراء من قریش .

بداية من السقيفة وحتى سقوط الدولة العباسية، فجميع هؤلاء الحكام فرضوا أنفسهم على المسلمين بقوة السيف، ولم تكن هناك شورى ولا شئ من هذا^{٢٥}.
وقد وقع الخلاف حول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية وبني أمية وبني العباس من قبل الصحابة والتابعين وجماهير المسلمين، وهذا ما تؤكده الوقائع التاريخية في فترة السقيفة والفترات التي بعدها^{٢٦}.

والفقهاء إنما يسايرون الوضع القائم والذي يستمد شريعته من مرحلة السقيفة، فمن ثم يجب عليهم أن يدافعوا عن هذه المرحلة التي نبع منها النهج القبلي، الذي أنجب إسلام الروايات الذي يتعبدون به^{٢٧}.

يروى أن عبد الله بن عمر كان يتحدث أنه سيكون ملك من قحطان، فبلغ معاوية الأمر فغضب وخطب في الناس قائلاً: بلغني أن رجلاً منكم يتحدثون الأحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله وأولئك جهالكم فياكم والأمانى التي تضل أهلها فإني سمعت رسول الله يقول: "إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحدٌ إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين"^{٢٨}.

ونخرج من هذه الرواية بما يلي:

أولاً: إن معاوية استفزه تصريح ابن عمر أنه سيكون ملك من خارج قريش وهذا التصريح بلا شك منسوب للرسول (ص).

ثانياً: إن معاوية سب ابن عمر واتهمه بالجهالة.

ثالثاً: إن معاوية اعتبر تصريح ابن عمر مناقضاً لكتاب الله ولم يؤثر عن

الرسول .

٢٥ - أنظر لنا هذه القضية في كتابنا السيف والسياسة.

٢٦ - أنظر المرجع السابق وكتب التاريخ فترة السقيفة وما بعدها.

٢٧ - أنظر السيف والسياسة.

٢٨ - البخاري ، كتاب الأحكام باب الأمراء من قريش.

رابعاً : إنه لم يصدر نفي من ابن عمر أو ردّ على معاوية ..
خامساً : إن معاوية هدد الذين يفكرون في الخروج عن الخط القرشي ..
سادساً : إن معاوية اعتبر معاداة قريش معاداة الله سبحانه ..
وأمام هذه النتائج التي خرجنا بها من هذه الرواية نقول : إن القوم يشهدون
بأن ابن عمر من حملة علم الرسول، ولم يشهدوا بذلك لمعاوية، وهذا يعني أن
موقف ابن عمر يقوم على أساس علمي . إذن كيف يحق لمعاوية تجهيله؟
نقل ابن حجر قول بعضهم : وإنما أنكر معاوية خشية أن يظن أحد أن
الخلافة تجوز في غير قريش فلما خطب بذلك دل على أن الحكم عندهم
كذلك إذ لم ينقل أن أحدا منهم أنكر عليه^{٢٩}..
ولكن هل كان ابن عمر يجهل أن الخلافة في قريش ؟
ثم إن معاوية لم يقيم الدليل على أن الحكم القرشي يوافق كتاب الله؟
كما لم يقيم الدليل على أن كلام ابن عمر يناقض القرآن؟
لقد نسي الفقهاء أن معاوية أنكر رواية ابن عمر برمتها ولم يقيم بتأويلها ،
وإن تصدي معاوية للدفاع عن فكرة القرشية وهو على كرسي الحكم يعني أنه
يدافع عن نفسه وعن حكمه، إذ أن أي خطر يهدد هذه الفكرة هو بالتالي يهدد
عرشه الذي قام على أساسها ..
ولا يخفى على أحد كيف وصل معاوية إلى الحكم وأقام أول نظام ملكي
في تاريخ المسلمين ؟ ..
لذا يمكن القول إن فكرة القرشية هي فكرة قبلية برزت في سقيفة بني
ساعدة لدعم المهاجرين ضد الأنصار ثم استثمرت سياسياً من بعد هذه المرحلة
في مواجهة التيارات المعارضة ..

ولو كانت فكرة القرشية صحيحة لكان من الواجب أن يتم تطبيقها بغير هذه الصورة..

إذ أن التطبيق الصحيح لا يقتضي أن يختار من يقوم بالأمر من أفضل بيوتات قريش وأعلاها مقاماً .

وبتحديد أكثر فإن الأمر يصب في البيت الهاشمي أشرف بيوتات قريش وهو بيت الرسول الذي نص في الرواية الصحيحة عند القوم: على أن الله اصطفى من قريش بني هاشم واصطفاه من بني هاشم فهو خيار من خيار من خيار^{٣٠}.
إلا أن فكرة القرشية انحرفت إلى بيت أبي بكر ثم بيت عمر ثم عثمان ثم استقرت عند معاوية الذي أورثها ولده، وهذا دليل على كونها فكرة من اختراع مرحلة السقيفة . .

ونظراً لإيماننا المطلق أن الرسول (ص) لا يطلق الكلام من باب العبث وإنما يتكلم بقدر ولغرض نفع الإسلام لا الإضرار بهم أو إيقاع الظلم عليهم، فإننا من هذا الباب نحكم بطلان مثل هذه الروايات، إذ لا يعقل أن يشير الرسول بقريش ويحصر الحكم فيها بينما كل الحكام الذين خرجوا منها عاثوا في الأرض فساداً واستباحوا دماء المسلمين وأموالهم . .

وهل يشير الرسول بالقبيلة والظلم والفساد وهو الذي جاء رحمة للعالمين؟ وإذا ما تبين لنا هذا فلنتأمل الروايات الأخرى التي تتعلق بهؤلاء الحكام القرشيين والحكام عامة . .

يروى عن الرسول (ص) قوله : " من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني " ^{٣١}.

٣٠ - مسلم كتاب الفضائل ، فضل نسب النبي . وانظر الترمذي وكتب السنن الأخرى .

٣١ - مسلم كتاب الإمارة ، البخاري كتاب الأحكام .

٣٣٠ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

ويروى عنه (ص): "من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج عن السلطان شبر مات ميتة جاهلية" ٣٢.

ويروى عنه (ص): "من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له . ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" ٣٣.

ويروى عنه (ص): "ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن أنكر سلم ولكن من رضي وتابع . قالوا أفلا نقاتلهم . قال لا ما صلوا" ٣٤.

وفي رواية أخرى إضافة: "وإذا رأيتم من ولا تكلم شيئا تكرهونه فأكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة" ٣٥.

ويروى عنه (ص): "ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان" ٣٦.

وفي رواية أخرى: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه" ٣٧.

ويروى عنه (ص): "يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنسي"، قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟

قال تسمع وتطيع الأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع" ٣٨.

٣٢ - مسلم كتاب الإمارة ، والبخاري كتاب الفتن .

٣٣ - مسلم كتاب الإمارة .

٣٤ - مسلم كتاب الإمارة .

٣٥ - المرجع السابق .

٣٦ - المرجع السابق .

٣٧ - المرجع السابق .

٣٨ - المرجع السابق .

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٣٣١

قال الفقهاء : قوله (ص) : " من أطاعني فقد أطاع الله هذا مقتبس من قوله تعالى { مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ } أي لأني لا آمر إلا بما أمر الله به فمن فعل ما أمره به فإنما أطاع الله الذي أمرني أن آمره "٣٩.

وذكر الخطابي سبب اهتمام النبي (ص) بشأن الأمراء حتى قرن طاعتهم إلى طاعته فقال : كانت قريش ومن يليهم من العرب لا يعرفون الإمارة ولا يدينون لغير رؤساء قبائلهم، فلما كان الإسلام وولى عليهم الأمراء أنكرت ذلك نفوسهم، وامتنع بعضهم من الطاعة فأعلمهم (ص) أن طاعتهم مربوطة بطاعته ومعصيتهم بمعصيته حثا لهم على طاعة أمرائهم لثلا تتفرق الكلمة ٤٠.

وقال النووي : ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم ولا تتعرضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق أينما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام وإن كانوا فسقة ظالمين وسبب هذا التحريم ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين، هذا ما عليه جمهور العلماء وقد رد عليه بعضهم هذا بقيام الحسين وابن الزبير وأهل المدينة على بني أمية، وقيام جماعة عظيمة من التابعين والصدر الأول على الحجاج مع ابن الأشعث ٤١.

وزعم بعض الفقهاء أن هذه الروايات خاصة بالأنصار أي الهدف منها الزامهم بطاعة المهاجرين الذين سوف ينحصر الحكم فيهم ٤٢.

٣٩ - مسلم هامش باب وجوب طاعة الأمراء كتاب الإمارة.

٤٠ - المرجع السابق.

٤١ - المرجع السابق هامش باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، وانظر شرح النووي.

٤٢ - فتح الباري ج ١٣ / ٤ كتاب الأحكام.

قال ابن حجر: قد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وإن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حق الدماء وتسكين الدهماء^{٤٣}.

وقال آخر: قوله (ص) "فإنما عليهم - أي على الحكام - ما حملوا وعليكم ما حملتم" تعليل لقوله "اسمعوا وأطيعوا"، أي هم يجب عليهم ما كلفوا به من إقامة العدل وإعطاء حق الرعية، فإن لم يفعلوا فعليهم الوزر والوبال، وأما أنتم فعليكم ما كلفتم به من السمع والطاعة وأداء الحقوق، فإن قمتم بما عليكم يكافئكم الله سبحانه بحسن المثوبة^{٤٤}.

ويعتبر الفقهاء أن من خرج عن طاعة الإمام وفارق جماعة الإسلام ومات على تلك الحالة يموت ميتة جاهلية أي على هيئة موت أهل الجاهلية، فإنهم كانوا لا يطيعون أميراً ولا ينضمون إلى جماعة واحدة بل فرقاً وعصائباً يقاتل بعضهم بعضاً^{٤٥}.

وقد أشرنا سابقاً إلى أن الفقهاء تبنا موقف ابن عمر ومذهبه تجاه الحكام وحظروا القيام على الحكام الفاسق^{٤٦}.

والسؤال هنا: لماذا ابن عمر لا عليّ أو حذيفة أو أبو ذر أو ابن مسعود أو غيرهم؟

والجواب ببساطة أن ابن عمر مثل التوجه المهادن للحكام من بعد مقتل أبيه، ومن ثم اعتمدت رواياته ومواقفه من قبل معاوية وبني أمية.

٤٣ - المرجع السابق.

٤٤ - مسلم . هامش باب طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق، كتاب الإمارة.

٤٥ - المرجع السابق باب الأمر بلزوم الجماعة.

٤٦ - أنظر باب الرسول المشرع من هذا الكتاب.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٣٣٣

أما علي أو حذيفة أو أبو ذر أو ابن مسعود فقد مثل هؤلاء جميعاً وغيرهم الاتجاه الرافض للوضع الذي ساد من بعد وفاة الرسول (ص) بداية من حكم أبي بكر وحتى حكم معاوية وولده..

وأما منا واقعة تاريخية معتمدة تلقي الضوء على ابن عمر وموقفه المداهن شديد السلبية من الحكام، فهو أولاً لم يبايع علياً حين اجتمع عليه الناس، ووقف يرقب النزاع الذي دار بينه وبين معاوية حتى إذا ما استتب الأمر لمعاوية قام بمبايعته على السمع والطاعة، ثم بايع من بعده ولده يزيد . .

يروى أن عبد الله بن عمر دخل على أخته حفصة وقال : قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لي من الأمر شيئ..

قالت : إلحق فإنهم ينتظرونك وأخشى أن يكون احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال : من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه فلنحن أحق به ومن أيه..

قال حبيب بن مسلمة : فهلا أجبته ؟

قال ابن عمر : فحللت حبوتي وهممت أن أقول : أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك ، فذكرت ما أعد الله في الجنان . قال حبيب : حفظت وعصمت^{٤٧} .

وهذه الرواية وقعت أحداثها حين طرح معاوية فكرة توليه ولده يزيد من بعده، ويظهر منها أن معاوية عرض بابن عمر وبأبيه واستهان بالجميع، ولم يجد له

٤٧ - البخاري ، كتاب المغازي . باب غزوة الخندق.

معارض، وقد هم ابن عمر بمعارضته ثم تراجع عن ذلك بحجة الحفاظ على وحدة الكلمة وخوف الفتنة، والحقيقة أنه خاف على نفسه لأنه كان جباناً ولا يقوى على مواجهة معاوية أو غيره .

والرواية تشير إلى أنه كان يعلم أن هناك من هو أحق من معاوية بالحكم فكيف له أن يكتنم هذا ؟ . .

وهل كانت كلمة ابن عمر مسموعة في تلك الفترة بحيث يمكن لكلمته في مواجهة معاوية أن تحدث فرقة وقتال ؟ . .

يقول ابن حجر : وكان رأي معاوية في الخلافة تقديم الفاضل في القوة والرأي والمعرفة على الفاضل في السبق إلى الإسلام والدين والعبادة فلماذا أطلق أنه أحق، ورأي ابن عمر بخلاف ذلك وأنه يبايع المفضول إلا إذا خشي الفتنة . ولهذا بايع معاوية ثم ابنة يزيد ونهى بنيه عن نقض بيعته^{٤٨} .

وكلام ابن حجر هذا فيه اعتراف بأن معاوية لم يكن أحق الناس بالحكم وأنه فرض نفسه بالقوة لا بالسبق إلى الإسلام والعبادة، أما ابن عمر فلم يكن هذا رأيه، وهو كلام فيه وهن وسفاهة إذ يعتبر أن موقف معاوية وجرائمه هي مجرد رأي..

أما موقف ابن عمر الذي بايع حسماً للفتنة - كما يروى - فكأنه يشير إلى أن هناك ثقل ووزن جماهيري لابن عمر يخشى منه الدخول في صدام مع معاوية، وهو غير صحيح وكل ما في الأمر أن شخصية ابن عمر كانت شخصية سلبية وعاجزة عن اتخاذ القرار، المناسب في مواجهة الواقع، وهو ما يظهر لنا من خلال علاقته بزوجه المشاكسة التي لم يكن يقوى على طلاقها ، كما كانت شخصية ابن عمر شخصية قشرية مسطحة ليس لها إلا ظاهر الأمر وهو ما يتضح

من خلال تشدده في اللباس (تقصير ثوبه) واللحية وقيام الليل والمبالغة في الوضوء حيث كان يعتمد إدخال الماء في عينيه حتى ذهب بصره، وشخصية كهذه لا شأن لها بالسياسة والحكم، وهو ما يفسر لنا تمسكه بظاهر الروايات الخاصة بالحكام وتطبيقها على بني أمية ..

يروى : لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية (عام ٦٣ هـ) جمع ابن عمر حشمه وولده فقال : إني سمعت النبي (ص) يقول : " ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة وأنا قد بايعنا هذا الرجل - يزيد - على بيع الله ورسوله وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال ، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر - أي غير يزيد - إلا كان الفيصل بيني وبينه " ٤٩ .

ووقت هذه الرواية هو يوم وقعة الحرة حين اقتحمت جيوش يزيد المدينة واستباحتها ثلاثة أيام حتى لم تبقى في المدينة عذراء واحدة، وحملت أكثر من ألف امرأة سفاحاً، وأسرفوا في القتل ثم أجبروا أهلها على البيعة ليزيد على أنهم عبيد له ٥٠ .

وبالطبع لم يمس جيش يزيد ابن عمر أو أهله بسوء، وابن عمر بدوره آثر أن يقوم بدور المتفرج على هذه المجزرة الوحشية لأبناء الرسول والأنصار في المدينة ولعله كان يتشفى فيهم لمخالفتهم إياه ..

٤٩ - البخاري كتاب الفتن .

٥٠ - أنظر كتب التاريخ أحداث وقعة الحرة ، وانظر فتح الباري ج ١٣ / ٥٩ كتاب الفتن .

ولكن هل غفل ابن عمر عن النصوص الصريحة التي جاءت على لسان الرسول (ص) والتي تحرم انتهاك المدينة^{٥١} ؟

إن مثل هذا الموقف من ابن عمر يكشف لنا مدى جبنه وانهزاميته ..

وإن تعلقه برواية الغدر يكشف لنا مدى قشريته وفهمه السطحي للنص، وقد استمر ابن عمر على موقفه الانهزامي المدهن للحكام حتى عصر الحجاج سفّاح الأمة والذي كان يصلي وراءه، وليس هناك أكثر من الصلاة وراء مجرم كالحجاج كدليل على جبن هذا الرجل وسفاهته.. ولا يقال إن موقف ابن عمر هذا من باب حسم الفتنة وتوحيد الكلمة فالحجاج لم يكن إلا ذنب من أذنان بني أمية ولم يكن إمام المسلمين ..

هل بعد هذا كله يجوز أن نضع مثل هذا القشري الجبان قدوة لنا نتلقى منه الدين وعلم الرسول ؟

والإجابة بالطبع لا ، ولكنها السياسة والفقهاء الذين استنبطوا من صلاته وراء الحجاج قاعدة تقول بجواز الصلاة وراء كل بر وفاجر، واعتبروها من العقيدة كما اعتبروا طاعة الحكام والحج معهم والجهاد من ورائهم من العقيدة التي

٥١ - يروى عن الرسول (ص) قوله : " من حمل علينا السلاح فليس منا " (البخاري كتاب الفتن ومسلم كتاب الإيمان) يروى عنه (ص) " آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار " (مسلم والبخاري وكتاب الإيمان)

ويروى عنه (ص) : " لا يكيد أهل المدينة أحد إلا إنماع كما ينماع الملح في الماء " (مسلم كتاب الحج والبخاري كتاب فضائل المدينة)، ويروى عنه (ص) " من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " (مسلم كتاب الحج والبخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) وإذا كان ابن عمر قد غفل عن هذه الروايات فهو جاهل، وإذا كان يعلم بها ولم يتخذ موقفا فهو جبان، والأمر الثاني هو الأرجح بالطبع.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٣٣٧

يجب على المسلم أن يتمسك بها، وإلا كان من الهالكين وفقد الأمل في النجاة من النار^{٥٢}.

ويروى أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يجلس في ظل الكعبة والناس مجتمعون حوله فقال : . . من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر، فدنا منه أحد السامعين وقال له: أنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله (ص) فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال سمعته أذناي ووعاه قلبي . فقال له : هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله يقول : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } قال فسكت ساعة ثم قال - أي ابن عمرو - أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله^{٥٣} ..

يقول الفقهاء : المقصود بهذا الكلام أن هذا القائل لما سمع كلام عبد الله بن عمرو، وذكر الحديث في تحريم منازعة الخليفة الأول وأن الثاني يقتل، أعتقد أن هذا الوصف في معاوية لمنازعة علياً وكانت قد سبقت بيعة علي، فرأى هذا أن نفقة معاوية على أجناده وأتباعه في حرب علي ومنازعة ومقاتلته إياه من أكل المال بالباطل، ومن قتل النفس لأنه قتال بغير حق ..

وقوله أطعه في طاعة الله واعصه . . الخ . فيه دليل لوجوب طاعة المتولين للإمامة بالقهر من غير إجماع ولا عهد، كذا ..

٥٢ - أنظر كتب عقائد أهل السنة مثل العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية وعقيدة أهل السنة لابن

حنبل، وأصول أهل السنة للأشعري وغيرها من كتب العقائد.

٥٣ - مسلم ، كتاب الإمارة ، باب الوفاء ببيعة الخلفاء .

قال النووي وقيل يشكل قول عبد الله هذا مع وجود علي وانعقاد الخلافة له بأهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار، يريد بذلك الإشارة إلى ما نص الحديث من قوله فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر إلى ما جاء في الحديث الآخر من وجوب الوفاء ببيعة الأول وقد كان علي هو الأول فكيف يأمر بطاعة من خرج عليه وهو إشكال وارد إلا أن يكون حديث عبد الله هذا قد جرى بعد موت علي واستتاب الأمر لمعاوية^{٥٤}.

وقد لخص السيوطي تاريخ الخلفاء في كتاب من أبي بكر حتى بقايا خلفاء بني العباس بعد سقوط دولتهم على يد التتار الذين احتضنهم المماليك وكانت خلافتهم مجرد صورة وواجهة لحكم المماليك العبيد في مصر . .

يقول السيوطي عن كتابه : ولم أورد أحداً ممن ادعى الخلافة خروجاً ولم يتم الأمر له ككثير من العلويين وقليل من العباسيين ولم أورد أحداً من الخلفاء العبيديين - الفاطميين - لأن إمامتهم غير صحيحة^{٥٥}.

وما يمكن قوله حول كتاب السيوطي هذا هو أنه قدم لنا خدمة كبيرة بجمعه كل هذه الروايات عن الحكام وأحكامهم وهي كافية للدلالة على انحرافهم وفساد حكمهم وعدم جدارتهم بتولي أمر المسلمين^{٥٦}.

ومثل هذه النتيجة التي نخرج بها من تاريخ الحكام تضعنا بين أمرين :

٥٤ - مسلم . كتاب الإمامة ، هامش باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول.

٥٥ - مقدمة تاريخ الخلفاء.

٥٦ - ألقى كتاب السيوطي الضوء على حالات السكر والعردة والزنا والشذوذ الجنسي وحتى الإلحاد والاستهانة بالإسلام من خلال عرضه لتاريخ الحكام الأمويين والعباسيين.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين.....
٣٣٩

إما أن نقر بصحة هذه الروايات الواردة على لسان الرسول عنهم وبالتالي نتهمه بالظلم وإضفاء الشرعية على الفساد ..
وإما أن نقر بأن هذه الروايات باطلة أو قصد بها أناس صالحون وتم تحريفها ..

والأمر الثاني هو المختار بالطبع ..
أما أقوال الفقهاء وتبريراتهم لهذه الروايات فقد أكدت لنا أن هؤلاء الفقهاء وقعوا في فخ السياسة ودانوا لها وعاشوا في خدمتها، وبدلاً من أن يدافعوا عن الرسول (ص) بنقض هذه الروايات الواضح بطلانها ومخالفتها للقرآن وروح الدين الذي جاء يبشر بالعدل والإحسان لا بالظلم والفساد، شمروا عن سواعدهم وسخروا أقلامهم وألسنتهم في الدفاع عن الحكام حتى أنهم جعلوا طاعتهم والولاء لهم من العقائد^{٥٧}.

* * *

٥٧ - أنظر كتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي، وهو يحوي كم هائل من التبريرات لسلوك ومواقف الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ثم معاوية وولده، وانظر كتب العقائد.



الرسول المتطرف

الرسول يبشر بإهدار الدماء..



هل جاء الرسول ليهدد ويتوعد ويحرق بيوت الناس..؟

هل جاء ليهدد أهل الكتاب ويعزلهم عن المجتمع ويحط من قدرهم ..؟

هل جاء لنصرة الحكام ومنحهم شرعية ذبح المخالفين لهم والخارجين عليهم ..؟

هذا ما تصوره الروايات ..

لقد أظهرت الروايات وتبريرات الفقهاء لها الرسول بمظهر التطرف والعدوانية على المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى ..

وكان أن استثمرت القوى الحاكمة هذه الروايات وتبريرات الفقهاء لها في قمع المسلمين وإراقة الدماء وزرع الطائفية في المجتمع الواحد، كما استثمرها أعداء الإسلام في حملتهم الشعواء ضد هذا الدين ..

وجاءت الحركة الوهابية الحنبلية في العصر الحديث لتؤكد هذا المفهوم حيث تبنت جميع الروايات المتطرفة المنسوبة للرسول (ص) وأعملت السيف في رقاب المسلمين، وتمكنت من إقامة دولة شعارها السيف لا الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ..

وبدعم من الحركة الوهابية تم زرع التطرف في ربوع العالم الإسلامي عن طريق شراء الرموز والمؤسسات والتيارات الإسلامية التي تشبعت بالفكر الوهابي، وقامت بنشر الارهاب الفكري وإراقة دماء المخالفين وزرع بذور الشقاق بين المسلمين ..

وفي ظل هذا الجو بدا وكأننا نعيش عصر محاكم التفتيش خاصةً وبعد أن تمكن المد الوهابي من التغلغل في الحكومات .. وعاش أصحاب الفكر والرأي في خوف من فرعون وملأه بعد أن أصبح الرأي المخالف مجرماً ومناهضاً للحكم القائم ومبرراً للبطش والتنكيل ..

ضد المسلمين

يروى عن الرسول (ص) قوله : "بعث بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم" ^{٥٨}. قال ابن رجب الحنبلي : والذي يظهر أن في القرآن أربعة سيوف: سيف على المشركين حتى يسلموا أو يؤسروا فإما مناً بعد وإما فداء.. وسيف على المنافقين وهو سيف الزنادقة ، وقد أمر الله بجهادهم والاغلاظ عليهم في سورة براءة وسورة التحريم وآخر سورة الأحزاب .. وسيف على أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية.. وسيف على أهل البغي وهو مذكور في سورة الحجرات، ولم يسئل (ص) هذا السيف في حياته ^{٥٩}.

ويبدو من كلام ابن رجب أنه استند إلى القرآن لدعم موقفه من هذه الرواية المتطرفة المنسوبة للرسول، وهذه نادرة من نواذر الفقهاء إذ أنهم لا يلجأون إلى القرآن ليدعموا به الروايات فهم قد استغنوا بها عن القرآن ..

٥٨ - رواه أحمد والطبراني ، أنظر الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي (ص) "بعث بالسيف بين يدي الساعة لابن رجب الحنبلي.
٥٩ - أنظر الحكم الجديرة بالإذاعة.

إلا أن هذه الرواية تفوح منها رائحة السياسة، واستناد ابن رجب إلى القرآن استناد في غير موضعه وهو لا يخرج عن كونه محاولة لتسييس النص القرآني، فهذه السيوف الأربعة التي ذكرها إنما هي سيوف خاصة بالرسول وهو المختار من قبل الله سبحانه لتطبيق أحكامه، وهو الشخصية الوحيدة التي سوف تغمد هذا السيف في موضعه، فإن أحكام الدماء لا يؤتمن عليها إلا الرسول (ص)..

لكن الفقهاء أعطوا الأحكام صلاحيات العمل بالسيف وهم أحلّوهم بذلك مكان الرسول وفق روايات مخترعة سبق استعراضها في باب الرسول الظالم .. ومن هنا فإن هذه السيوف الأربعة التي ذكرها ابن رجب هي من صلاحيات الأحكام أو من أطلقوا عليهم لفظ الأئمة زوراً وبهتاناً لكي يضلوا الأمة عن الأئمة الحقيقيين الذين أشار إليهم الرسول (ص) ..

ومن هنا أيضاً أعملت السيوف في رقاب المسلمين من قبل الأحكام بتهمة الزندقة تارة والبغي تارة والخروج على جماعة المسلمين تارة أخرى .. قال النووي : الزنديق هو الذي يعترف بالدين ظاهراً وباطناً . لكنه يفسر بعض ما ثبت من الدين ضرورة بخلاف ما فسرته الصحابة والتابعون وأجمعت عليه الأمة^{٦٠}.

إن الفقهاء قد عبّدوا الأمة للرجال وعلى رأسهم الأحكام الذين منحوهم شرعية تصفية الخارجين عن هذا الخط بتهمة الزندقة، ولأن الأمة من بعد الرسول لم تلتزم بوصيته وتتبع الأئمة الذين أشار إليهم، فمن ثم هي قد وقعت في براثن الأحكام الذين أحلّوا أنفسهم مكان الأئمة وحملوا السيوف ليضعوها في غير موضعها ..

والفقهاء يريدون منا أن نساير هذا الوضع ونقره ..

٦٠ - المرجع السابق.

يريدون منا أن نقر تلك المجازر الوحشية التي ارتكبتها الحكام باسم الإسلام تحت شعار الجهاد في سبيل الله..

يريدون منا أن نقر تلك المذابح التي قام بها هؤلاء الحكام ضد المسلمين باسم البغي والخروج على جماعة المسلمين..

يريدون منا أن نقر عمليات التصفية الجسدية والإطاحة بمرقاب أصحاب الرأي تحت شعار الزندقة..

إن المتابع لسلوك ومواقف الإمام علي من بعد الرسول تتجلى له هذه الحقيقة بوضوح فهو أولاً لم يشارك فيما سمي بحركة الفتوحات ..

وهو ثانياً الشخص الوحيد الذي بشر به الرسول (ص) كشاهر للسيف في مواجهة أهل القبلة . فهو قاتل عائشة وطلحة والزبير وغيرهم، ثم قاتل الخوارج من بعدهم ، ثم قاتل معاوية من بعد ذلك^{٦١}.

ونظرة إلى حركة الإمام علي وكيفية تطبيقه لأحكام السيف يتبين لنا أنه لا فرق بين تطبيقه وتطبيق الرسول ..

يتبين لنا أنه لم يكن يقاتل لغرض القتال وإنما لغرض الدفاع ..

ويتبين لنا أنه كان يقاتل بخلق الإسلام لا بخلق الحكام ..

يتبين لنا ذلك بوضوح إذا ما نظرنا إلى الجبهات الأخرى التي كانت تواجهه والتي كانت تقاتل من أجل الدنيا ، فهو قد رد عائشة آمنة مطمئنة إلى بيتها رغم ما ارتكبتها من جرائم، وما تسببت فيه من مفاصد وإراقة دماء المسلمين ..

وهو لم يقاتل الخوارج لأنهم قد خرجوا عليه وخالفوا نهجه وإنما قاتلهم عندما رفعوا شعار التكفير واستحلوا أموال المسلمين ودمائهم ..

وهو لم يقاتل معاوية من أجل الحكم وإنما قاتل معاوية دفاعاً عن الإسلام الذي جاء معاوية لهدمه وتزييفه ..

٦١ - أنظر تفاصيل هذه المعارك في كتب التاريخ، وانظر الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي، والعواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي، وانظر لنا السيف والسياسة.

يروى أن رجلاً قال لعبد الله بن عمر : ألا تغزو ؟

فقال : إني سمعت رسول الله (ص) يقول : " إن الإسلام بني على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت "٦٢.

وابن عمر الذي يعتمد القوم على رواياته لم يكن له دور فيما سمي بحركة الفتوحات وهذا الموقف من قبله يضعنا بين أمرين :

الأول : أن يكون له برهان شرعي تجاه هذه الغزوات ..

الثاني : أن يكون جباناً لا يقوى على القتال ..

ونحن نرجح الأمرين معاً ..

يروى أن رسول الله (ص) رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه..

وقال : " يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده " ، ف قيل للرجل

بعد ما ذهب رسول الله . خذ خاتمك فانتفع به..

قال : لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ٦٣.

قال الفقهاء : قوله فنزعه فطرحه ، وهذا أبلغ في باب الإنكار ، ولذا قدمه (ص)

في قوله : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده " ..

وقال النووي : فيه إزالة المنكر باليد لمن قدر عليها ، وقيل : نزع الخاتم من

يده وطرحه دليل على غضب عظيم وتهديد شديد ، وفيه أن النهي للتحريم

المتوعد عليه بالنار وقول صاحبه لا آخذه مبالغة في اجتناب النهي ، إذ لو آخذه

لجاز ولكن تركه تورعاً لمن يأخذه من الضعفاء لأنه نهاه عن لبسه خاصة لا عن

التصرف فيه بغير اللبس ٦٤.

٦٢ - مسلم ، كتاب الإيمان .

٦٣ - مسلم ، كتاب اللباس والزينة .

٦٤ - مسلم ، هامش باب في طرح خاتم الذهب ، كتاب اللباس والزينة .

إن الفقهاء لم يتطرقوا إلى هذا السلوك الذي بدر من الرسول (ص) وكونه لا يتلاءم مع خلقه العظيم فهو لا يخرج عن كونه تصرف شائن، ومعالجة متطرفة لسلوك فرد لا يصطدم بجوهر الدين، وهو يتناقض مع دعوة الرسول إلى الرفق واللين والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة التي نص عليها القرآن . . .

وكل ما يعني الفقهاء هو تبرير هذا السلوك ثم استنباط أحكام تشريعية منه، دون إعمال العقل في الرواية والعمل على مطابقتها بالقرآن . .

ومثل هذا التبرير هو الذي خلق التيارات المتطرفة في تاريخ المسلمين، وعلى رأسها تيار الحنابلة الذي يتعبد بالروايات ويقدمها على القرآن وعلى العقل حتى ولو كانت ضعيفة ومشكوك في صحتها سنداً . .

وتيار الحنابلة هو الذي خلق الفقيه المتطرف ابن تيمية الذي خلق بدوره وبطرحة التيار الوهابي الذي ساد واقع المسلمين اليوم بالدنانير والريالات، وخلق لنا في النهاية التيارات الإسلامية التي جعلت من هذه الأمور الشكلية (القبور والصور والموسيقى) وغيرها قضاياها الأساسية التي تبرر لها شهر السيوف وإراقة الدماء من أجلها..

ويروى عن أبي هريرة أن الرسول (ص) قال : " لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار " ٦٥ .

وفي رواية أخرى : " ثم تُحرق بيوتٌ على من فيها " ٦٦ .

قال الفقهاء : المراد أناس من المنافقين فإنه لا يظن بالمؤمنين أنهم يؤثرون العظم السمين على حضور الجماعة مع سيد المرسلين، وقيل هذا مختص

٦٥ - مسلم ، كتاب المساجد ، باب فضل صلاة الجماعة والتشدد في التخلي عنها، وانظر أبو داود كتاب الصلاة.

٦٦ - المرجع السابق.

بزمانه (ص) لأنه لم يتخلف عن الجمعة في ذلك الوقت إلا منافق، ويحتمل أن يحصل عاما فيكون تشديدا على تارك الجمعة بغير عذر وتنبهها على عظم إثمهم^{٦٧}.

وكلام الفقهاء هذا فيه إدانة للرسول (ص) فهو قد هم بإحراق بيوت تارك الصلاة بمن فيها من الأطفال والشيخ والنساء، وهذا حكم لا يوجد ما يبرره شرعاً لا في القرآن ولا في الروايات، فضلاً عن كونه يتسم بالوحشية والهمجية التي تضع الرسول في موضع طغاة القرون الوسطى ورجال محاكم التفتيش، الذين كانوا يحرقون المخالفين أحياء وعلى الملأ، وإذا كان قتل الشيخ والأطفال والنساء وحرق الأشجار والبيوت والزرع لا يجوز في زمن الحرب على المشركين وهو ما نصت عليه الروايات التي يتعبد بها القوم، فهل يجوز إحراق المسلمين وفي زمن السلم؟^{٦٨}

وما نخرج به من هذه الرواية وتبريرات الفقهاء أن مسألة الصلاة من الضخامة بمكان بحيث تباح دماء تاركها والمتخلفين عن أدائها جماعة .. وهذا التصور إنما هو نابع من عدة روايات منسوبة للرسول بخصوص الصلاة وهي روايات لا تخرج عن موضوع الباب ..

يروى عن الرسول (ص) قوله : " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان " ^{٦٩}.

٦٧ - مسلم ، هامش الباب السابق.

٦٨ - أنظر أبواب الجهاد في كتب السنن.

٦٩ - مسلم، كتاب الإيمان.

ويروى عن الرسول (ص) قوله : " إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر " ٧٠ .

ويروى عن أبي هريرة أن الرسول (ص) قال : " إن أول ما يحاسب به العبد بصلاته، فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر " ٧١ .
ومن هنا أفتى ابن حنبل بكفر تارك الصلاة وعدم جواز دفنه في مقابر المسلمين ..

وقال آخر يحتمل أن يكون المراد بهذا الكفر كفراً يبيح الدم لا كفراً يرده إلى ما كان عليه في الابتداء، وقيل إن المقصود بالكفر من تركها جحوداً ٧٢ .
وكون أن الصلاة من أركان الإسلام الخمس، أو أنها الفيصل بين الإسلام والكفر، أو أنها وسيلة صلاح العمل والنجاة في الآخرة، فجميع ذلك هو من اخترع السياسة كي تتجه الأمة نحو الصلاة وتعتقد أن فيها خلاصها، وتهمل جوهر الدين، وتصبح أداة طيعة للحكام الذين يقيمون الصلاة أيضاً ما دامت هي وسيلة إخضاع الأمة لهم وإلزامها بطاعتهم ٧٣ .

ضد أهل الكتاب

يروى عن الرسول (ص) قوله : " لا تبدأوهم - أي أهل الكتاب - بالسلام . وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيق الطريق " ٧٤ .
ويروى عنه (ص) : " إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم " ٧٥ .

٧٠ - النسائي، كتاب الصلاة.

٧١ - المرجع السابق.

٧٢ - النسائي ، هامش باب المحاسبة على الصلاة ، شرح السيوطي وحاشية السندي.

٧٣ - سيراً مع رواية: لا ما صلوا، التي أشرنا إليها سابقاً.

٧٤ - أبو داود ، كتاب الأدب ، باب السلام على أهل الذمة.

٧٥ - مسلم ، كتاب السلام.

ويروى جاء يهودي إلى النبي (ص) فقال : يا أبا القاسم ضرب وجهي رجل من أصحابك..

قال: "من" ؟

قال : رجل من الأنصار ..

قال : " ادعوه " ..

فقال : " أضربته " ..

قال سمعته بالسوق يحلف والذي اصطفى موسى على البشر ، قلت : أي خبيث ، على محمد ، فأخذتني غصبة ضربت وجهه .
فقال النبي : " لا تخيروا بين الأنبياء " ^{٧٦}.
ويروى: " لا تساكنا المشركين ولا تجامعهم " ^{٧٧}.

ومثل هذه الروايات وغيرها إنما تقوي نزعة العداء في نفوس المسلمين تجاه أهل الكتاب وأصحاب الديانات الأخرى الذين يشاركونهم العيش في أوطانهم، وتخلق الصراعات الطائفية التي تحول دون استقرار المجتمع الذي يحوي ديانات أخرى بجوار المسلمين ..

ولقد أسهم الفقهاء بتبريراتهم وتأويلاتهم خاصة الحنابلة منهم في دفع المسلمين إلى معاداة أصحاب الديانات الأخرى والنظر إليهم كمواطنين من الدرجة الثانية، ومثل هذه النظرة إنما تنبع من ذلك الكم الهائل من الروايات التي تصور أهل السنة وكأنهم شعب الله المختار ^{٧٨}.

ومن خلال الرواية الأولى تبدأ عملية التعبئة المعنوية ضد أهل الكتاب وتأسيس الموقف النفسي منهم ثم تجاوز ذلك إلى العمل على التضييق عليهم

٧٦ - البخاري كتاب الخصومات، ومسلم كتاب الفضائل .

٧٧ - الطبراني في المعجم الكبير ج٧/٢١٧ والحاكم في المستدرک .

٧٨ - أنظر لنا كتاب أهل السنة شعب الله المختار .

في الطرقات، وهو سلوك لا يتسم بالعقلانية والخلق الحسن الذي نادى به الإسلام ..

والنتيجة ذاتها يمكن أن نخرج بها من خلال الرواية الثانية . .
أما الرواية الثالثة فتكشف انحياز الرسول للمسلم ضد اليهودي في قضية سلوكية ترتبط بالأدب والأخلاق ولا صلة لها بأمر الاعتقاد، فهو لم يقتص لليهودي من المسلم وكل ما أظهرته الرواية هو أن الرسول زكى موسى^{٧٩}.
والرواية الرابعة تهدف لتقييم المجمع على أساس طائفي وعزل أصحاب الديانات الأخرى.

ومثل هذه الروايات المتطرفة المتعلقة بأهل الكتاب إنما هي خاصة بمرحلة الرسول (ص) وما كان يقوم به اليهود من دور تأمري ضد الرسول والإسلام، أما اليوم فما هو ذنب الشعوب المستضعفة التي تدين بالمسيحية أو غيرها من الأديان؟..

إن على المسلمين أن يدركوا أن نزعة العداة هذه يجب أن تتجه إلى الحكام لا إلى هذه الشعوب، فهذا العداة هو المقصود من النصوص القرآنية المتعلقة بأهل الكتاب التي تزدحم بها سورة التوبة وغيرها من سور القرآن . .
أما نصوص الفقهاء التي تنادي بهدم الكنائس والبيع وغيرها من المعابد وإلزام أهل الكتاب بلباس خاص ومنعهم من إشهار شعائرهم إلى آخر تلك النصوص التي تكتظ بها كتب الفقه، فهذه النصوص جميعها لا تخرج عن كونها أقوال رجال نبعت من واقع لا صلة له بالإسلام، وهو واقع تلك الدول الملكية المنحرفة وفي مقدمتها الدولة الأموية والدولة العباسية، تلك الدول العنصرية التي كان هدفها هو جمع الأموال وكنز الذهب والفضة والنفائس عن طريق الجزية والخراج^{٨٠}.

٧٩ - أنظر شرح هذه الرواية في النووي كتاب الفضائل، وفتح الباري كتاب الخصومات.

٨٠ - أنظر أحكام أهل الذمة لابن القيم ومجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية ، والمختصر للشافعي.

ومثل هذه السياسة هي التي دفعت بعمر بن عبد العزيز أن يصدر قرار بعدم الحيلولة دون دخول أهل الكتاب في الإسلام، وقد كان الحكام من قبله يحولون بينهم وبين ذلك مخافة أن يقل إيراد الدولة من الجزية والخراج ، وقال قوله المشهورة : إن الله ابتعث محمد داعياً لا جابياً^{٨١}.

إلا أنه بالتعمق في مواقف الرسول (ص) يتبين لنا أن تلك الصورة المتطرفة المنسوبة للرسول غير صحيحة إذ تصطدم بنصوص قرآنية صريحة كما تصطدم بمواقف واضحة للرسول من أهل الكتاب، فالقرآن قد نص على جواز نكاح نساء أهل الكتاب، كما نص على جواز أكل ذبائحهم وهذا يعني الموافقة على قيام العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين وأهل الكتاب، والعلاقات تعني الاحتكاك الدائم والتواصل، فهل يمكن أن يتحقق ذلك في ظل المقاطعة التي تبشر بها هذه الروايات..؟

يروى أن النبي (ص) مرت عليه جنازة يهودي فقام، فقليل له إنها جنازة يهودي ؟

فقال : "أليست نفساً" ..^{٨٢}

ويروى أنه دخل رهط من اليهود على النبي (ص) بحضور عائشة، فقالوا : السام عليك يا محمد . فردت عائشة : عليكم السام واللعنة ..

فقال الرسول : "مهلاً يا عائشة . فإن الله يحب الرفق في الأمر كله"^{٨٣}.

ويروى أن الرسول (ص) كلف الإمام علي لينام مكانه ليلة هجرته من مكة ويتولى رد الأمانات التي كانت بحوزة الرسول إلى أصحابها من المشركين^{٨٤}.

٨١ - أنظر سيرة عمر بن عبد العزيز في كتب التاريخ.


٨٢ - مسلم، كتاب الجنائز ، باب القيام للجنازة.

٨٣ - مسلم ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

٨٤ - أنظر كتب السيرة.

٣٥٤ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

* * *



الرسول والأنبياء

ما طال الرسول طال بقية الرسل...



امتدت الروايات لتشمل الرسل والأنبياء (ع) الذين نالهم ما نال الرسول (ص) من طعن وتجريح وتشويه على ألسنة الرواة، وهذا التعميم من قبل الرواة إنما يدعونا للشك في مصادر هذه الروايات التي توجد لها نظائر في الكتب القديمة مثل التوراة والإنجيل ..

والملفت للنظر أن هذه الروايات جميعها رويت على لسان أبي هريرة الذي كان على صلة وثيقة بكعب الأحبار اليهودي الذي نسبته للإسلام الرواة، والملفت أيضاً أن الذين صنفوا كتب الروايات وضعوا هذه الروايات التي تحط من قدر الأنبياء تحت أبواب الفضائل ..

وسوف نعرض هنا لنماذج من هذه الروايات التي تتعرض لنوح وإبراهيم وموسى وسليمان وعيسى وحتى آدم (ص) ..

إبراهيم

يروى عن الرسول (ص): "اختتن إبراهيم (ع) وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم" ٨٥.

ويروى عنه (ص): "لم يكذب إبراهيم (ع) إلا ثلاث كذبات، إثنان منهن في ذات الله عز وجل . قوله - إني سقيم - وقوله : بل فعله كبيرهم هذا - وقال : بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى علي جبار من الجبابرة . فقيل له : إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه، فسأله عنها فقال : من هذه ؟

قال : أختي، فأتى سارة..

قال : يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك ، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني . فأرسل إليها ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده، فأخذ فقال : ادعى الله لي ولا أضرك ، فدعت الله، فأطلق ، ثم تناولها الثانية، فأخذ مثلها أو أشد ، فقال ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت ، فأطلق، فدعا بعض حجبته فقال : إنكم لم تأتني بإنسان إنما آتيتوني بشيطان، فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلي فأوماً بيده، مهيا ، قالت : رد الله كيد الكافر (أو الفاجر) في نحره وأخدم هاجر " ، قال أبو هريرة - الراوي - : تلك أمكم يا ماء السماء^{٨٦}.

ويروى عنه (ص) : "نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي"^{٨٧} ..

ويبدو من الرواية الأولى أنها تصادم العقل والعرف إذ كيف يختن رجل في مثل هذا السن فضلا عن كونه نبي مرسل .. ؟

إن هذه الرواية تمثل مهانة لإبراهيم (ع) وتصفه بالاهمال في أمر الاختتان فإذا كان الاختتان واجبا ، فقد أهمل إبراهيم هذا الواجب حتى بلغ الثمانين، وإذا كان أمراً عرفياً فما الذي يجعل إبراهيم يقدم عليه وهو في هذا السن؟
أما الرواية الثانية فهي فاضحة ولا يمكن أن تنسب إلى الرسول (ص) فليس من الأدب أن ينسب الكذب إلى إبراهيم على لسان الرسول ، إلا أن قول إبراهيم إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا ، لا يعد من باب الكذب وإنما هو من باب الذكاء والكياسة..

فالقول الأول قصد به التهرب من ممارسة عبادة الأصنام مع قومه..

٨٦ - المرجعين السابقين.

٨٧ - المرجعين السابقين.

والثاني قصد به توريط قومه وتشكيكهم في الأصنام التي يعبدونها، فبعد أن قام بتحطيمها وأدانوه بذلك نسب الفعل إلى كبير الأصنام حتى يضعهم في حرج ما بين الاعتراف أن الأصنام لا تنفع ولا تضر، وأنها لم تستطع أن تدفع الضر عن نفسها، وما بين إدانة إبراهيم، وهو يؤدي إلى نفس النتيجة وهي أن الأصنام لا تضر ولا تنفع ولا تدفع الضر عن نفسها^{٨٨}.

أما الثالثة التي هي كذبة ليست في ذات الله حسب تعبير الرواية فهي كذبة ضارة لا تنم عن عقل وخلق وهو ما لا يجوز في حق إبراهيم (ع)، فإن ادعائه بأن سارة شقيقته يفسد الأمر لا يصلحه وكان من الأولى أن يعترف بكونها زوجته، وكيف لنبي أن يترك شقيقته لطاغية يعبث بها بينما هو يلجأ إلى الصلاة..؟

مثل هذا السلوك لا يبدر عن عامة الناس فكيف الحال بنبي مرسل ..؟
والرواية لم تخبرنا هل كان إبراهيم يتوقع معجزة إلهية تنقذ سارة وهل أنبئ بهذا، أم أن القدرة الإلهية تدخلت في الوقت المناسب لتوقف الملك الطاغية عند حده..؟

إن الرواية تهدف من أولها إلى آخرها إلى إلقاء الضوء على هاجر أم إسماعيل، ولكن أليس من الأفضل أن تبرز هاجر في حياء إبراهيم بسبيل آخر غير هذا السبيل الذي فيه امتهان لإبراهيم..؟

ولقد أغفل الفقهاء كعادتهم جوهر الرواية وانغمسوا في متاهات لغوية حول نصب ورفع كلمات وجمل الرواية في الوقت الذي ركزوا فيه على جملة: تلك أمكم يا بني ماء السماء، التي قالها أبو هريرة واختلفوا هل المقصود بقوله: العرب من ولد إسماعيل الذين اعتمدوا في حياتهم على الأمطار يرعون على

٣٦٠ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

أساسها دوابهم، أم أراد بها ماء زمزم الذي تفجر لهاجر وعاشت عليه هي وولدها وذريته^{٨٩}.

قال ابن حبان : كل من كان من ولد إسماعيل يقال له ماء السماء، لأن إسماعيل ولد هاجر وقد ربي بماء زمزم وهي من ماء السماء^{٩٠}.

وتعد هذه من نوادر الفقهاء إذ اعتكفوا على قول أبي هريرة يمحصونه ويكشفون مراده وأهملوا إبراهيم وأهله، وكأنهم بهذا قد وضعوا أبا هريرة في مصاف حكماء الصحابة الذين لا يجب أن تهمل كلماتهم، وهو موقف طبيعي من أناس اعتبروه وارث علم الرسول والناطق بلسانه..

وقد أتحفنا القوم برواية وفرت علينا الكثير من الجهد وألزمتهم الحجة في إثبات وقوع الكذب من إبراهيم . يروى أن الناس يوم القيامة تهرع إلى الأنبياء طلباً للشفاعة وعندما يأتون إلى إبراهيم يقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنني كنت قد كذبت ثلاث كذبات، نفسي . نفسي . نفسي، اذهبوا إلى غيري^{٩١}.

وبهذه الرواية يكون القوم قد أكدوا وقوع الكذب من إبراهيم وهو ما أدى إلى غضب الله عليه . فهل الأنبياء يكذبون . وهل الله الذي اختارهم يغضب عليهم . . ؟ والإجابة بالطبع لا عند أصحاب العقول . . ونعم عند الرواة والفقهاء . أو أهل السنة والجماعة . .

٨٩ - أنظر هامش مسلم، كتاب الفضائل، وهامش اللؤلؤ والمرجان ج ٣ / ١١٦ ، كتاب الفضائل . وانظر فتح الباري شرح كتاب الأنبياء .

٩٠ - أنظر سنن ابن حبان .

٩١ - البخاري كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل .

موسى

يروى عن النبي قوله : " كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة ، ينظر بعضهم إلى بعض ، وكان موسى يغتسل وحده ، فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ، فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ، ففر الحجر بثوبه ، فخرج موسى في أثره يقول : ثوبي يا حجر ، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى ، فقالوا: والله ما بموسى من بأس ، وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا " ..

قال أبو هريرة - الراوي - : والله إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضرباً بالحجر^{٩٢} .

وفي رواية : فانطلق الحجر يسعى واتبعه بعصاه يضربه ثوبي حجر حتى وقف على ملأ من بني إسرائيل ونزلت { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آدُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا }^{٩٣} ..

قال الفقهاء : قوله إلا أنه آدر ، أي عظيم الخصيتين ، والأنبياء منزهون عن النقص في الخلق والخلق سالمون من المعاييب ، ولا يلتفت إلى ما نسب بعض المؤرخين إلى بعضهم من العاهات ، فإن الله سبحانه رفعهم عن كل ما هو عيب يغض العيون وينفر القلوب ونزول يا أيها الذين آمنوا .. الآية ، والظاهر أن قضية الحجر هذه إنما كانت بعد النبوة لقوله فضربه بعصاه ولأن لقياه لبني إسرائيل إنما كان بعد النبوة^{٩٤} .

٩٢ - البخاري كتاب الغسل ، ومسلم كتاب الفضائل .

٩٣ - مسلم ، كتاب الفضائل وانظر تفسير هذه الآية في كتب التفسير سورة الأحزاب / ٦٩

٩٤ - مسلم ، هامش باب من فضائل موسى .

وقال النووي : وفي هذا الحديث فوائد منها أن فيه معجزتين ظاهرتين لموسى (ع) إحداهما مشى الحجر بثوبه إلى ملائكة بني إسرائيل، والثانية حصول الندب في الحجر^{٩٥}.

والذي نخرج به من هذه الرواية اللامعقولة أن القوم قد ذهبوا عقولهم وسعوا إلى إذهاب عقولنا أيضاً بعملهم على تبرير مثل هذه الرواية بدلاً من رفضها والظن فيها ، فمهما بالغوا في هذا التبرير فإن العقل والفطرة تأبى قبول مثل هذا الكلام في حق نبي مكرم هو موسى (ع) ..
إن ستر العورة من سنن الفطرة التي دعا لها الأنبياء فكيف يغفل عنها موسى .. ؟

ونحن لن ندخل قصة الحجر في ميزان الرضا والقبول العقلي وإنما يعيننا هو أمر موسى كيف يجري وراء الحجر وهو عريان .. ؟
وإذا كان صحيحاً ما يشيع بنو إسرائيل أن بموسى عيب خلقي لا يريد أن يطلع الناس عليه وهو ما يبرر اغتساله وحده ، أفلا توجد سوى هذه الطريقة المعيبة لإبطال هذه الإشاعة.

إن أخطر ما تبرزه هذه الرواية هو أن تحرك الحجر بملابس موسى وجرى موسى وراءه قد تم بأمر الله وإرادته كي ينزل نص تبرئته ويقطع دابر الإشاعات، وهذا قمة السفه والضلال، إذ فيه مساس بذات الله سبحانه وحكمته، ولو كان هذا التصور صحيحاً فلماذا اعترض موسى على أمر الله وأوسع الحجر ضرباً .. ؟
لقد اعتبر الفقهاء إضافة أبي هريرة على الرواية كنص الرواية وامتداد لها كما فعلوا مع رواية إبراهيم السابقة وعكفوا على تفسيرها، واعتبرها النووي جزء من الرواية وهو ما يظهر من اعتماد إضافته كمعجزة ثانية لموسى ..

ويروى عن الرسول (ص) قوله : " جاء ملك الموت إلى موسى (ع) فقال له: أجب ربك، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، فرجع الملك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني، فرد الله إليه عينه وقال ارجع إلى عبدي فقل الحياة تريد، فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعره فإنك تعيش بها سنة، قال - أي موسى - ثم مه . قال الملك : ثم تموت " ٩٦.

قال الفقهاء : قوله أرسل ملك الموت إلى موسى في هذا الحديث مناقشات لبعض الملاحدة وأجوبة عديدة وتوجيهات حسنة للعلماء ومن جملة تلك ما ذكر القسطلاني : أرسل ملك الموت إلى موسى في صورة آدمي اختباراً وابتلاءً كابتناء الخليل بالأمر بذبح ولده، فلما جاءه ظنه آدمياً حقيقة تسور عليه منزله بغير إذنه ليوقع به مكروهاً، فلما تصور ذلك (ع) صكه أي لطمه على عينه التي ركبت في الصورة البشرية التي جاء فيها دون الصورة الملكية ففقأها ٩٧.

وهذه الرواية لا تقل سخافة عن سابقتها وإن كانت أدهى وأمر إذ تصور نبي الله موسى متحدياً لقضاء الله معتدياً على رسوله ملك الموت ومحدثاً به عاهة، ولا يخفى أن الاعتداء على رسول الله هو اعتداء على الله سبحانه، وهو ما نبرئ منه موسى الرسول المختار مما يدفعنا بالتالي إلى الحكم ببطالان مثل هذه الروايات التي تهين الأنبياء وتحط من قدرهم وتشوه صورتهم، وعلى فرض التسليم بصحة هذه الرواية فإن هذا يعني المساس بذات الله سبحانه كما هو حال الرواية السابقة، إذ أن الرواية تصور تراجع الله سبحانه عن أمره لملك الموت بقبض

٩٦ - مسلم كتاب الفضائل، والبخاري كتاب الجنائز.

٩٧ - مسلم ، هامش باب من فضائل موسى .

٣٦٤ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

موسى، بعد ما عاد إليه مصابا وإتاحة الفرصة لموسى ليعيش سنوات أخرى، ما دام متعلقا بالحياة الدنيا بعدد الشعرات التي يحتويها كفه من جسد الثور، ومثل هذا التصور لا يليق بالله سبحانه وهو على هذه الصورة يعد تدليلاً لموسى المعتدي والرافض لأمر الله ..

ومن جانب آخر يمكن الحكم برفض ذه الرواية عقلاً لكون ملك الموت ذا قوة خارقة لا طاقة للبشر بها ولا يقدر أحد على منعه من قبض روحه، فكيف استطاع موسى أن يمنعه ؟ ..

وإذا كان الأمر كما يصور الفقهاء من أن ملك الموت جاء إلى موسى في صورة بشر وتمكن من صده والاعتداء عليه ظناً منه أنه لص، فإن هذا يعطي الفرصة للآخرين ليعتدوا عليه ويمنعوه من تنفيذ حكم الله، لأن عقيدة القوم تنص على أن ملك الموت كان يأتي إلى بني إسرائيل في صورة آدمي حتى اعتدى عليه موسى فاختنفى بعدها ..

يروى عن أبي هريرة أيضاً: أن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقا عينه^{٩٨}.

ويبدو من هذه الرواية أن أبا هريرة أراد أن يتدارك بها روايته السابقة ويقطع دابر الشك فيها..

وآخرون

يروى عن الرسول قوله: "قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على مائة امرأة، و تسع وتسعين كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له الملك:

٩٨ - أنظر مسند أحمد ج ٢ / والمستدرك على الصحيحين ج ٢.

قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعين" ٩٩.

ويروى عنه (ص) قال : " قرصت نملة نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله " ١٠٠. قال الفقهاء : قوله لأطوفن أي لأجامعن واللام جواب القسم كأنه قال مثلاً والله لأطوفن، ورواية سبعين امرأة وتسعين امرأة لا تعارضهما، ورواية ستين لأنه ليس في ذكر القليل نفي الكثير ، وتوهم التعارض إنما هو من جهة مفهوم العدد وهو غير معمول به عند كثير من الأصوليين، وليس المراد أنه غفل من التفويض إلى الله بقلبه فإن اعتقاد التفويض مستمر له، لكنه نسي أن يقصد الاستثناء الذي يرفع حكم اليمين ١٠١.

وقالوا حول الرواية الثانية : قوله (ص) أن نملة قرصت . هذا الحديث محمول على أن شرع ذلك النبي كان فيه جواز قتل النمل وجواز الاحراق بالنار، ولم يعتب عليه في أهل القتل والاحراق بل في الزيادة على نملة واحدة، وأما شرعنا فلا يجوز الاحراق بالنار للحيوان ١٠٢.

إن قضية الطواف على النساء التي تنسبها الرواية لسليمان (ع) غير مقبولة عقلاً، وشأنها شأن روايات الطواف المنسوبة للرسول (ص) وما قيل هناك يقال هنا ، بل إن الرفض هنا له ما يبرره بصورة أكبر، فقد نسب للرسول هناك تسع نسوة ، بينما نسب لسليمان هنا مائة ، وفي رواية ستين ، وأخرى سبعين ، وأخرى

٩٩ - مسلم كتاب الأيمان ، والبخاري كتاب الجهاد وكتاب النكاح.

١٠٠ - البخاري كتاب فضل الجهاد والسير ، ومسلم كتاب قتل الحيات.

١٠١ - مسلم هامش باب الاستثناء كتاب الأيمان.

١٠٢ - مسلم هامش باب النهي عن قتل النمل ، كتاب الحيات.

تسعين ، وهو عدد يستحيل عقلاً الطواف عليه في ليلة واحدة ، كما يستحيل عقلاً نسبته لنبي فإن أقل ما ينتج عن رعاية هذا العدد هو إهمال شؤون الدعوة وحتى الوحي، والتفرغ لهن لن يجدي شيئاً إذ أن هذا العدد من المستحيل أن يهيمن عليه رجل واحد..

ولأن الأنبياء ليس لهم شغل سوى الدين والوحي فمن غير الجائز عقلاً نسبة النسيان أو الإهمال لهم في مسألة تتعلق بجوهر دورهم ومهمتهم، كما تصور الرواية أن سليمان أهمل نصيحة الملك أو نساها ، فهو لا يجوز أن يذكر بذلك من الأصل . .

وتبرير الفقهاء لما نسب لسليمان ما زاد الطين إلا بلة إذ أن اختلاف الروايات في عدد نسوة سليمان دليل قاطع على ضعف الرواية وبطلانها^{١٠٣}. أما رواية النمل فهي من المطاعن التي ألحقها الرواة بالأنبياء وهي امتداد للروايات الأخرى التي قام بتأليفها أبو هريرة، والفقهاء يقرون بأن ذلك النبي ما كان يجب عليه أن يعاقب قرية النمل بأكملها وإنما كان يجب أن يعاقب النملة التي قرصته وحدها ، فمن ثم فهو سلوك غير مبرر من نبي وانتقام لا يدل على نفس سوية، ومثل هذا الخلق لا يجوز أن ينسب لنبي مختار فهو يشكك في سلوكه ومواقفه ويصفها بالعداونية وعدم الأهلية للقيام بأعباء الرسالة^{١٠٤}.

وختاماً لهذا الباب نضع أمام القارئ رواية من روايات أبي هريرة شملت آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ثم رسولنا (ص)، وهي رواية لا تختلف عن الروايات السابقة في شأن الأنبياء غير أن ما يميزها هو شمولها لهذا العدد من الأنبياء ضمن قضية واحدة هي قضية الشفاعة التي تصور الرواية فرار هؤلاء

١٠٣ - أنظر هذه الروايات في مسلم باب الاستثناء.

١٠٤ - ذكر الترمذي وابن حجر والقسطلاني أن هذا النبي هو موسى ، أنظر فتح الباري وإرشاد الساري.

الأنبياء منها، وإعلانهم صراحة عدم أهليتهم لقيام بها كاشفين عن أخطائهم التي أوجبت غضب الله عليهم، مما حط من مكانتهم، وقلل من شأنهم أمام الله بما يوجب عدم استحقاقهم للقيام بالشفاعة لأقوامهم الذين لم يجدوا نبيا مؤهلاً للقيام بها سوى محمد (ص) فاندفعوا نحوه فقبل المهمة على الفور . .

وما تبرزه هذه الرواية هو الحط من قدر الأنبياء ورفع مقام نبينا عليهم حيث تبرز أن كل نبي له سيئة أوجبت الله عليه عدا رسولنا، كما تبرز هذه الرواية أيضاً أن الأنبياء والرسل تخلوا عن أقوامهم ونادوا بالنجاة لأنفسهم، وبهذا يكونوا قد تساوا مع أقوامهم . .

يروى أبو هريرة : أتى رسول الله (ص) بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال : " أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بما ذلك ؟ يُجمع الناس الأولون و الآخرون في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفد بهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون. فيقول الناس : ألا ترون ما قد بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم ، فيأتون آدم (ع) فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك . اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما قد بلغنا. فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي ، نفسي ، نفسي، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول : إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله وأنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليفه من

أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون إلى موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبيّاً اشفع لنا ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد (ص) فيأتون محمد فيقولون يا محمد ، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فأنتقل فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي عز وجل ، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقال : يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسي بيده إن ما بين المصرّاعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى^{١٠٥}.

إن هذه الرواية تشير إلى أن الأنبياء الخمسة وهم أولو العزم من الرسل أي أصحاب الرسالات الكبرى في التاريخ البشري يشكون في أنفسهم

وخلقهم، فينسبون لأنفسهم ذنباً أنزلت عليهم غضب الله، وبالتالي أصبحوا لا يضمنون النجاة من النار ولأجل ذلك تخلوا عن أقوامهم، وهذا يعني التشكيك فيهم، وهذه أولى النتائج التي تدعونا إلى الشك في الرواية..

النتيجة الثانية هي أن الرواية ذكرت لكل نبي ما أوجب غضب الله عليه عدا عيسى فقد لحقه هذا الغضب دون أن تحدد الرواية ذنبه . فهل عجز أبو هريرة عن اختراع ذنب لعيسى؟..

النتيجة الثالثة أن أقوام الرسل أجمعين بعد أن تخلى عنهم رسلهم هرعوا نحو محمد (ص)، لكن محمد عندما رفع رأسه ليشفع شفع لأمته فقط . وذلك واضح من خلال قوله : " أمتي يا رب " .. فهل غفل أبو هريرة عن سد هذه الثغرة في الرواية، أم أن أمة محمد هي التي هرعت نحو آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ؟ ..

وفي كلتا الحالتين فإن الأمم السابقة لم يتحدد مصيرها من خلال الرواية كما لم يتحدد مصير الأنبياء الخمسة ..

وهل يستقيم مثل هذا التصور عن الأنبياء مع تلك الرواية التي جاءت على لسان أبي هريرة وابن عمر وعائشة وأنس وغيرهم من الصحابة المبشرين بالجنة تلك الروايات التي تكتظ بها كتب السنن ؟ ..

هل من الممكن أن نقبل روايات تشكك في الأنبياء في الوقت الذي نقبل فيه روايات تنزه الصحابة وتضفي عليهم العدالة وتبشرهم بالجنة وتريهم منازلهم فيها وهي جاءت عن طريق نفس الرواة ؟ ..

لقد شوهت الروايات الرسول وسائر الرسل ورفعت من قدر الصحابة وهذا وحده دليل كافٍ على بطلانها وكونها مخترعة ..

مراجع الكتاب

- ١- ابن باز فقيه آل سعود، الورداني صالح ، مؤلف الكتاب
- ٢ - الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (م ٩١١هـ).
- ٣ - الأجوبة الفاضلة، السخاوي، محمد بن عبدالرحمن بن محمد المصري الشافعي (م ٩٠٢هـ).
- ٤ - أحكام أهل الذمة، ابن الجوزي أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (م ٥٩٧هـ).
- ٥ - إرشاد النقاد الى تيسير الاجتهاد، محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير (م ١١٨٢هـ).
- ٦ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني المصري، أبو العباس أحمد ابن محمد بن أبي بكر (م ٩٢٣هـ).
- ٧ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، الشيباني ابن الأثير الجزري ، أبو الكرم محمد ابن محمد بن عبدالكريم (م ٦٣٠هـ).
- ٨ - إسعاف المبطأ برجال الموطأ، السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن ابن الكمال أبي بكر (م ٩١١هـ).
- ٩ - الاستيعاب في أسماء الأصحاب، القرطبي، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر المالكي (م ٤٦٣هـ).
- ١٠ - الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر (م ٨٥٢هـ).
- ١١ - إمعان النظر شرح نخبة الفكر، السندي ، الدكتور أكرم عبدالرحمن السندي
- ١٢ - أهل السنة شعب الله المختار، الورداني، صالح، مؤلف الكتاب.

٣٧٢ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

- ١٣ - الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث، الدمشقي، ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (م ٧٧٤ هـ).
- ١٤ - البداية والنهاية (تاريخ ابن كثير) الدمشقي، ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (م ٧٧٤ هـ).
- ١٥ - بغية الفحول ، الموسوي أبو تراب عليّ بن أبي القاسم الخوانساري النجفي (م ١٣٤٦ هـ).
- ١٦ - تاريخ الحركة الوهابية، الرومي، أيوب صبري باشا (م ١٣٠٨ هـ).
- ١٧ - تاريخ الخلفاء، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال (م ٩١١ هـ).
- ١٨ - تاريخ الصحابة (الصحابة)، البستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (م ٣٥٤ هـ).
- ١٩ - تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (م ٣١٠ هـ).
- ٢٠ - تاريخ القرآن، الزنجاني، أبو عبدالله بن نصر الله (م ١٣٦٠ هـ).
- ٢١ - تاريخ القرآن، عبدالصبور شاهين.
- ٢٢ - تاريخ اليعقوبي (تاريخ ابن واضح)، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (م ٢٨٤ هـ).
- ٢٣ - تأويل مختلف الحديث، الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (م ٢٧٦ هـ).
- ٢٤ - تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي، المباركفوري، أبو العلا محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم (م ١٣٥٣ هـ).
- ٢٥ - تدريب الراوي شرح تقريب النووي، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر (م ٩١١ هـ).

مراجع الكتاب..... ٣٧٣

- ٢٦ - تذكرة الحفاظ (تذكرة حفاظ الحديث)، الذهبي، شمس الدين، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الدمشقي الفارقي (م ٧٤٨ هـ).
- ٢٧ - تطهير الجنان واللسان، الهيثمي، ابن حجر أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمد بن عليّ بن حجر المصري الشافعي (م ٩٧٤ هـ).
- ٢٨ - تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ابن كثير الدمشقي إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي (م ٧٧٤ هـ).
- ٢٩ - تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، الشّحي ، علي بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن (م ٧٤١ هـ).
- ٣٠ - تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، القلموني، محمد رشيد بن عليّ رضا بن محمد (م ١٣٥٤ هـ).
- ٣١ - التمهيد، القرطبي، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبرّ المالكي (م ٤٦٣ هـ).
- ٣٢ - تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن عليّ (م ٨٢٥٢ هـ).
- ٣٣ - التوحيد، النجدي ، محمد عبدالوهاب (م ١٢٠٦ هـ).
- ٣٤ - الجرح والتعديل، القاسمي، جمال الدين أبو محمد بن محمد بن سعيد بن قاسم (م ١٣٣٢ هـ).
- ٣٥ - الجرح والتعديل، التميمي الرازي، أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد ابن إدريس بن المنذر (م ٣٢٧ هـ).
- ٣٦ - جامع العلوم والحكم في شرح أربعين حديثاً، البغدادي، الحنبلي ابن رجب زين الدين عبدالرحمن بن أحمد (م ٧٩٥ هـ).
- ٣٧ - حاشية السندي علي سنن النسائي، الهندي الحنفي، نور الدين محمد بن عبدالهادي (م ١١٣٨ هـ).
- ٣٨ - حاشية السندي على سنن ابن ماجه، الهندي الحنبلي، نور الدين محمد بن عبدالهادي (م ١١٣٨ هـ).

٣٧٤ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

٣٩ - الحكم الجدير بالإذاعة من قول النبي ﷺ، ابن رجب الحنبلي، زين الدين
عبدالرحمن بن أحمد البغدادي (م ٧٩٥ هـ).

٤٠ - الحلال والحرام، القرضاوي، الشيخ يوسف.

٤١ - الخدعة، صالح الورداني، مؤلف الكتاب.

٤٢ - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر
الكناني (م ٨٥٢ هـ).

٤٣ - دفاع عن القرآن، الورداني، صالح، مؤلف الكتاب.

٤٤ - دفع شبه الشبيه بأكف التنزيه، ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن
محمد التيمي القرشي (م ٥٩٧ هـ) ط القاهرة.

٤٥ - رسالة أهل الثغر، الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق (م ٣٢٤ هـ)،
ط القاهرة.

٤٦ - رسالة السنة بذيّل الردّ على الجهمية والزنادقة، الحرّاني، أحمد بن
عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر ابن تيمية (م ٧٢٨ هـ)، ط السعودية.

٤٧ - الرسالة، المطلبي، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (م ٢٠٤ هـ).

٤٨ - الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، اللكنوي، أبو الحسنات محمد
عبدالحّي بن الحافظ عبدالحليم بن محمد الأنصاري الأيوبي (م ١٣٠٤ هـ).

٤٩ - روح المعاني في تفسير القرآن الحكيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي)،
الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود شكري بن عبدالله الحسيني (م ١٣٤٢ هـ).

٥٠ - زواج المتعة حلال في الكتاب والسنة، الورداني، صالح، مؤلف الكتاب.

٥١ - سنن ابن حبان (صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان)، الفارسي، علاء الدين
ابن بلبان (م ٧٣٩ هـ).

٥٢ - سنن ابن ماجه، القزويني محمد بن يزيد بن ماجه (م ٢٧٥ هـ).

- ٥٣ - سنن أبي داود، السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي (م ٢٧٥) تحقيق محيي الدين عبد الحميد.
- ٥٤ - سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (م ٢٩٧ هـ).
- ٥٥ - سنن الدارمي، الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (م ٢٥٥ هـ).
- ٥٦ - سنن النسائي بشرح السيوطي، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر (م ٩١١ هـ).
- ٥٧ - سنن النسائي، النسائي، أحمد بن شعيب بن علي (م ٣٠٣ هـ).
- ٥٨ - السيرة النبوية، الحميري، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب (م ٢١٨ هـ).
- ٥٩ - السيف والسياسة، الورداني، صالح، مؤلف الكتاب.
- ٦٠ - شرح الألفية للعرافي، ابن الجماعة الكناني، إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالله (م ٨٦١ هـ).
- ٦١ - شرح صحيح مسلم، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الشافعي (م ٦٧٦ هـ).
- ٦٢ - شرح العقيدة الطحاوية، الغنيمي الدمشقي، عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم (م ١٢٩٨ هـ).
- ٦٣ - شرح لمعة الاعتقاد، ابن عثيمين، محمد بن عبدالله (م ١٣٦٣ هـ)، ط القاهرة.
- ٦٤ - شرح نخبة الفكر، القاري المكي، نور الدين نور الدين علي بن السلطان محمد الهروي الحنفي (م ١٠١٤ هـ).
- ٦٥ - صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (م ٢٥٦ هـ).
- ٦٦ - صحيح مسلم، القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم (م ٢٦١ هـ)، ط اسطنبول، وط دار الجيل.

٣٧٦ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

٦٧ - الصواعق المحرقة، الهيثمي المكي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر
(م ٩٧٤ هـ).

٦٨ - الطبقات الكبرى، الزهري، أبو عبدالله محمد بن سعد البصري كاتب الواقدي
(م ٢٣٠ هـ).

٦٩ - عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد، الورداني صالح، مؤلف الكتاب.
٧٠ - عقيدة أهل السنة، الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبدالله الوائلي
(م ٢٤١ هـ).

٧١ - العقيدة الطحاوية، الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي
(م ٣٢١ هـ).

٧٢ - العقيدة الواسطية، ابن تيمية الحراني، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن
عبدالسلام الدمشقي (م ٧٢٨ هـ).

٧٣ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني القاهري، محمود بن أحمد بن
موسى الحلبي (م ٨٥٥ هـ).

٧٤ - العواصم والقواصم، ابن العربي المعافري الإشبيلي، محمد بن عبدالله بن محمد
المالكي (م ٤٥٣ هـ).

٧٥ - الفتاوى الكبرى، ابن تيمية الحراني، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن
عبدالسلام الدمشقي (م ٧٢٨ هـ).

٧٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن
محمد بن حجر (م ٨٥٢ هـ).

٧٧ - فضل آل البيت ^، المقرئ، أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر
الحسيني العبيدي (م ٨٤٥ هـ).

- ٧٨ - فتح المغيث بشرح ألفية مصطلح الحديث، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن أبي بكر المصري الشافعي (م ٩٠٢ هـ).
- ٧٩ - الفتنة الكبرى، الدكتور طه حسين المصري (م ١٣٩٣ هـ).
- ٨٠ - الفصل في الملل والنحل، ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (م ٤٥٦ هـ).
- ٨١ - الفصول في إعتقاد الأئمة الفحول، الكرجي، محمد بن عبد الملك بن محمد ابن عمر الشافعي (م ٥٣٢ هـ).
- ٨٢ - فقه السيرة، السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر (م ٩١١ هـ).
- ٨٣ - الفقه الأكبر، أبو حنيفة، النعمان بن ثابت بن زوطي (م ١٥٠ هـ).
- ٨٤ - القول المسدد في الذبّ عن مسند أحمد بن حنبل، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (م ٨٥٢ هـ).
- ٨٥ - الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (م ٦٣٠ هـ).
- ٨٦ - كشف المشكل، البكيللي اليمني، علي بن سليمان بن أسعد التميمي الملف بـ (حيدة أو حيدرة) (م ٥٩٩ هـ) ولا بن ابن الجوزي (م ٥٩٧ هـ) كتاب بنفس الاسم.
- ٨٧ - الكلمة والسيف، الورداني صالح ، مؤلف الكتاب.
- ٨٨ - اللؤلؤة المرجانة فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح (م ١٣٨٨ هـ).
- ٨٩ - لسان الميزان، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (م ٨٥٢ هـ).
- ٩٠ - لمعة الاعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد، ابن قدامة المقدسي الحنبلي عبد الله ابن محمد بن قدامة (م ٦٢٠ هـ)، ط القاهرة.
- ٩١ - مجمع الزوائد، الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (م ٨٠٧ هـ).

٣٧٨ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

- ٩٢ - مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية الحراني، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام الدمشقي (م ٧٢٨ هـ).
- ٩٣ - المختصر، الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس القرشي المكي الزرعي الدمشقي (م ٧٥١ هـ).
- ٩٤ - مختصر الصواعق المرسلّة، ابن قيم الجوزية الحنبلي، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (م ٧٥١ هـ).
- ٩٥ - مدافع الفقهاء التطرف بين فقهاء السلف وفقهاء الخلف، الورداني، صالح.
- ٩٦ - مروج الذهب ومعادن الجواهر، المسعودي، عليّ بن الحسين (م ٣٤٦ هـ).
- ٩٧ - المستدرک علی الصحیحین، الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (م ٤٠٥ هـ).
- ٩٨ - المسند، الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن حنبل (م ٢٤١ هـ).
- ٩٩ - مشكل الحديث، ابو الجوزي القرشي، أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي (م ٥٩٧ هـ).
- ١٠٠ - معالم السنن في شرح سنن أبي داود، الخطابي البستي، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب (م ٣٨٨ هـ).
- ١٠١ - المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد بن مطير (م ٣٦٠ هـ).
- ١٠٢ - مقالات الإسلاميين، الأشعري، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق (م ٣٢٤ هـ).
- ١٠٣ - مقدّمة ابن صلاح في علوم الحديث، الشهرزوري، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (م ٦٤٣ هـ).
- ١٠٤ - الملل والنحل، الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (م ٥٤٨ هـ).

- ١٠٥ - منتخب كنز العمال في سنن الأقوال ، المتقي الهندي، الشهرزوري، محمد
ابن إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الشافعي الكوراني (م ١١٤٥ هـ).
- ١٠٦ - موسوعة أهل البيت ^٨، الورداني، صالح، مؤلف الكتاب.
- ١٠٧ - الموطأ، الأصحبي المدني، أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر
التمي (م ١٧٩ هـ).
- ١٠٨ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد
(م ٧٤٨ هـ).
- ١٠٩ - النكت على مقدمة ابن صلاح، الزركشي، بدر الدين أبو عبدالله محمد بن
بهادر بن عبدالله التركي المصري (م ٧٩٤ هـ).
- ١١٠ - نقد المنطق، ابن تيمية الحراني، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام
(م ٧٢٨ هـ)، ط القاهرة.
- ١١١ - هدي الساري (مقدمة فتح الباري)، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن
حجر (م ٨٥٢ هـ).
- ١١٢ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين
أحمد بن محمد بن أبي بكر (م ٦٨١ هـ).

الفهرس

٥	تقديم
٩	- الرواية بين الشك واليقين
١٢	* حال الرواة والروايات
٢٤	* عدالة الصحابة
٣٠	* بين السند والمتن
٣٩	* نهج التأويل
٤٣	- الرسول الدور والشخصية
٤٥	* بين الكتاب والسنة
٥٥	* دور الرسول
٦١	- الرسول العلق (١)
٦٥	* تاريخ عائشة
٦٩	* أرجوحة ودمى
٧٣	* عائشة ونساء النبي
٨٦	* عائشة والنبي
١٠٥	- الرسول العلق (٢)
١٠٨	* نماذج الروايات
١١٧	* في الحرب
١٢٢	* معارك نسائية
١٣٣	- الرسول المشرع
١٣٧	في النكاح ومتعلقاته

٣٨٢ دفاع عن الرسول ضد الفقهاء
والمحدثين

١٥١	* في الدماء
١٦٢	* في العبادات والمعاملات
١٦٦	* في الزينة والسلوكيات
١٧٥	* في القبور والتماثيل
١٨٧	* في الغناء والموسيقى
١٩١	* في سب الصحابة
١٩٦	* في حجاب المرأة
٢٠٥	* صور أخرى
٢١٣	- الرسول المجسم
٢١٦	* نصوص الروايات
٢٢٢	* أقوال الفقهاء
٢٣٠	* نصوص القرآن
٢٣٥	- الرسول المهمل
٢٣٨	* إهمال القرآن
٢٤٤	* إهمال الوصية
٢٤٨	* تناقض الروايات
٢٥٤	* نصوص الوصية
٢٥٨	* الفقهاء والوصية
٢٦٥	- الرسول الجاهل
٢٦٧	* الرسول والوحي
٢٧٢	* عمر والرسول
٢٧٩	* مصائب أخرى

٣٨٣مراجع الكتاب

٣٠٣ - الرسول الظالم

٣٠٥ * ظلم العباد

٣١٥ * الرسول والحكام

٣٢٩ - الرسول المتطرف

٣٣٢ * ضد المسلمين

٣٣٨ * ضد أهل الكتاب

٣٤٣ - الرسول والانبياء

٣٤٥ * إبراهيم

٣٤٩ * موسى

٣٥٢ * وآخرون

359 مراجع الكتاب

369 الفهرس

* صدر للمؤلف *

- E الحركة الإسلامية في مصر..
- E مذكرات معتقل سيلسي..
- E مصر وإيران..
- E فقهاء النفط..
- E الخدعة: رحلت من خط معاوية الى خط الإمام علي..
- E السيف والسيلسة
- E مدافع الفقهاء..
- E الكلمة والسيف..
- E الإمام علي سيف الله المسلول..
- E ابن باز فقيه آل سعود
- E زواج المتعة حلال في الكتاب والسنة..
- E فرق أهل السنة..
- E أهل السنة شعب الله المختار..
- E الحق والحقيقة بين الشيعة والسنة..
- E فراعنة وعبيد: مصر الوجه الآخر..